

الطفيات

المقولة والإجراء النقدي

د. علي كاظم المصلاوي

إصدار

٧١

بسم الله الرحمن الرحیم

الطفيات: المقوله والاجراء النقدى

كاتب:

على كاظم المصلاوى

نشرت فى الطباعة:

العتبه الحسينيه المقدسه

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الطفیات: المقوله والاجراء النقدی

اشاره

رقم الإیداع فی دار الکتب والوثائق ببغداد لسنه ۲۰۱۱ ۲۱۹۳

الرقم الدولی: ۹۷۸۹۹۳۳۴۸۹۱۰۶

المصلاوی، علی کاظم.

الطفیات: المقوله والإجراء النقدی / [تألیف] علی کاظم المصلاوی؛ [تقدیم محمد علی الحلو]. - کربلاء: العتبه الحسینیه المقدسه، قسم الشؤون الفکریه والثقافیه ۱۴۳۳ق. = ۲۰۱۲م.

ص۲۴۸. — (جداول)، (قسم الشؤون الفکریه والثقافیه؛ ۷۱).

المصادر: ص ۲۳۳ - ۲۴۳؛ وکذلک فی الحاشیه.

۱ . واقعه کربلاء، ۶۱ق. — شعر رثاء — دراسه وتحقیق. ۲. الحسین بن علی (ع)، الإمام الثالث، ۴ — ۶۱ ق. — شعر رثاء. ۳ . الأربعه عشر معصوما — شعر . ۴ . الشریف الرضی، محمد بن حسین، ۳۵۹ — ۴۰۶ ق. — شعر — دراسه وتعریف. ۵. الکواز الحلی، صالح، ۱۸۱۸ — ۱۸۷۳م. — شعر — دراسه وتعریف. ۶. أبو الحب، محسن، ۱۳۰۵ — ۱۳۶۹ق. — شعر — دراسه وتعریف. ۷. الشعر المذهبی العربی. ۸. شعراء الطف — القرن ۴ — ۱۴ ق. — نقد وتفسیر. ۹. محمد بن الحسن (عج)، الإمام الثانی عشر، ۲۵۵ق. — شعر. ألف. الحلو، محمد علی، ۱۹۵۷ - م.، مقدم. ب. العنوان.

۷ ط ۸ ص / PJA ۴۸۷۰

تمت الفهرسه قبل النشر فی مکتبه العتبه الحسینیه المقدسه

ص: ۱

اشاره

الطفيات

المقوله والاجراء النقدى

د. على كاظم المصلاوى

إصدار

وحده الدراسات التخصيصه فى الامام الحسين صلوات الله وسلامه عليه

فى قسم الشؤون الفكريه والثقافيه

فى العتبه الحسينيه المقدسه

الطبعه الأولی

۱۴۳۳ه - ۲۰۱۲م

العراق: کربلاء المقدسه - العتبه الحسینیه المقدسه

قسم الشؤون الفکریه والثقافیه - هاتف: ۳۲۶۴۹۹

www.imamhussain-lib.com

البرید الالکترونی: info@imamhussain-lib.com

مقدمه اللجنه العلميه

إذا أردنـا أن نقرأ الواقعه العـاشورائيه على أسـاس القضـيه التاريخيه فإن ثمه وقائع تتوالى على المخيله البحثيه فتحيل الصوره إلى مشـهد تصويرى تتـداعى فيه المواقف بين مشاهـدات تراجيـديه تـدفع بالهاجس الذاتى إلى شـعور اسـتلاب القدره على التحكم بـالعواطف، فتنهمر المشاعر إلى إحالات تعجيزيه تقهر الإراده على التماسك والصـمود... وهـذا نوع إبـداع يـدفع بالواقعه الطفيه إلى تصـدّر الجهود البحـثيه التى راودت الجميع، فبين مبـدع فطرى، وبين مخفق ينـدرج فى سـلك الاخفـاق السياسـى، أو الوهم الفكرى المتعثر، ولـم يقتصـر هـذا الإبـداع البحثى على الواقعه التاريخيه حتى أتبعه الإبـداع الأدبى المنطلق من وجـدانيات تعايش الحـدث الكربلائى لتتكلل بإبـداعات القصـيده الطفيه، ولعل تراكم الوجـدانيات الطفيه للشاعر الحسـينى تنامى حساً أدبياً جديـداً يتعايش مع الأنساق الوجـدانيه الممتلئه بالعاطفه لتحدث الصوره، المخيله، النسق، الوحده، الانبعاث، الرغبه ومن ثم الانطلاق إلى «لونٍ أدبيٍ تجسـيدى» يحتفر الحادثه ليخرجها قصـيده، وتتصاعـد امكانيه الأديب إلى إمكانيات إبداعيه تولد القصـيده التى أطلق عليهـا الأسـتاذ البـاحث «الطفيـات» ولعل اختيار المصـطلح ينطلق من إبـداع آخر اسـتثمره الباحث لتتولـد فنيه الطفيات. فالطفيات غرض كربلائى يوظفه الشاعر

لـدراساته والـذى تكفله كتاب «الطفيات، المقوله والإجراء» للـدكتور على كاظم المصـلاوى، الـذى اسـتعرض هـذا اللون الأدبى لشعراء ثلاثه الشريف الرضى، والشيخ محسن ابو الحب، والشيخ صالح الكواز، فالأول من رواد الشعر للقرن الثالث للهجره والثانى من رواده للقرن الثانى عشر للهجره والثالث من رواد الشعر للقرن الثالث عشر، مما يعنى أن الباحث حاول أن يجمع فى مطاوى بحثه عينات طفيه متباعده بعضها ومتقاربه أخرى...

وقد أبدع الباحث فى إثاره مثل هذه الإثارات الأدبيه التى كانت تستقر فى حافظه الرواه أكثر من كونها تشكّل بحوثاً أدبيه بكراً تضيف للذاكره الأدبيه نسقاً أدبياً آخر، وللخزين الأدبى ثروه أدبيه جديره بالبحث كما هى جديره بالتقدير.

السيد محمد على الحلو

النجف الأشرف

تقديم الكتاب

إن العقليه التنظيريه، أى القادره على صناعه مقوله أو نظريه جديده، لا تتمكنها جميع الذوات، بل تتفرد بعضها بحيازتها؛ ذلك أنها تحتاج إلى جمله أمور أهمها مقدره التأمل الفاعل، والنظر إلى المعلومه من زوايا لا يلتفت إليها الآخرون، ولاسيما تلك التى توصف بالنضج أو الاكتمال.

وفى ظل معاناه المثقف العراقى تزداد مسافه التوتر بين قطبى الثبات على المعلومه المتوافره والحفر عن معلومه جديده، والمفترض أن القحط الذى نثرته الظروف على قبعتنا الوطنيه تجعل من القطب الأول (التقليدى) هو المتفشى فى أنساقنا الثقافيه، لكننا نفاجأ بوفره المركوزين فى القطب الثانى (غير التقليدى)؛ ولعل المعلل الرئيس المقنع لهذه الحاله الشاذه (المبدعه) هو المعلل الأناسى الذى يقول:

إن العمق الحضارى لذوات المعاصره يؤثر فى إمكانات التفكير ومعطيات التعامل الثقافى على مسيره حياتها عبر الأجيال، فالعمق السومرى والاكدى لا محاله يلقى بظلاله على الذات العراقيه طيله تناسلها السابق والآنى والآتى.

ولو رجعنا إلى مسوغ آخر مفاده إفرازات المعاناه لوجدنا داعماً آخر لانفلات المثقف العراقى من أزمه الثبات التى يحتمها الظرف، فالراسخ فى عقيده الثقافه (أن الإبداع ابن المعاناه)، ويجمع الدعامتين السابقتين نصل إلى قناعه، ولو أوليه، لبروز

عقليات عراقيه تنظيريه فى ظل مرحله لم يرد لها أن تعطى هذه النتائج.

الأمثله فى الواقع كثيره وسنقف عندها فى فرص قابله إن أتيحت، لكننى أردت الوقوف عند أطروحه مصطلحيه عراقيه ذات بُعد مفاهيمى انطلق من سياق التقليد، فالراسخ فى عقيده الثقافه العربيه والعراقيه منها على وجه الخصوص أن (الطف) تلك الواقعه التاريخيه تستبطن العَبره والعِبره، بفتح العين مره وكسرها أخرى.

لكننا لم نجد منذ مده مديده طرح مصطلحات جديده ولاسيما فى منظومه النقد الأدبى تنبثق من خصوصيه هذه الواقعه؛ ربما لغلبه العَبره، بفتح العين.

لكننا قرأنا قبل مده أطروحه (الطفّيّات) للأستاذ المساعد الدكتور على المصلاوى التى جعلت من دخول أدب هذه الواقعه فى النقد الأدبى الحديث دخولاً مرحباً به بعيداً عن القالبيه الجاهزه لتصنيف فريقها.

فالمهم هو تفريغ النص من حمولاته السياقيه إلا الرابط التاريخى وشحنه بحمولات نصيّه يقدمها ما قيل من أدب آنذاك.

فالطفيات مصطلح جديد يعنى بدراسه أدب واقعه الطفّ وفقاً لبعدى المتن الرئيس (كل ما قيل فى الطفّ) والملازمات أو المصاحبات (أى ما يصاحبها من متون مجاوره تعمل على كشف الدلاله القديمه أو استضافتها لتوليد دلاله جديده).

هذا المصطلح أراه نقله نوعيه للسماح بتداول (أدب الطفّ) بعيداً عن الحساسيات العقائديه التى تتولد عند الآخر؛ لأنه يعنى بالجماليات وعناصر الإبداع الأدبى، وهى مستويات نقديه يشترك فيها الجميع.

بقلم الدكتور مشتاق عباس معن

المقدمه

لم يزل الشـعر المتعلق بواقعه الطف يحتفظ بحراره فى قلوب مسـتمعيه كلما تجددت ذكرى هذه المأساه فى كل عام، وهذا دليل على انه شـعر ملىء بالمشاعر والأحاسـيس، فضـلا عن الأفكار والأهداف الساميه التى يدعو لها ويريد ان يثبتها فى قلوب مستمعيه وعقولهم.

وما ترجو من شـعر اخلص صاحبه فى إنتاجه وتسامى هدفه فى نظمه، وحشد كل طاقاته فى سبيل إخراجه بأبهى حله ليكون سـببا عن طريقه ينال الشـفاعه فى الدار الآخره ممن كانوا له عونا وسـندا فى حياته وملهما لقصـيده وأشعاره: محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام وبابهم الواسعه الحسين سيد الشهداء عليه السلام.

فارتفع هذا الشـعر عن حضيض الماديات والنفعيات إلى مرتبه الإخلاص والصدق فى التعبير عن قضيته لذا كان جديرا ان يدرس وان يتمعن فى اسـتكناه خصـائصه الأسـلوبيه والجمـاليه لان صاحبه يحاول الخروج به من حيز التقليـديه إلى حيز الإبـداع والتفنن والتفرد، فهو ليس أمام سلطه ما بقدر ماهو أمام حاله من التأمل والتفاعل والاستشعار بقضيته والتعبير عنها باللغه.

هـذه المساله أحسـها الأعـداء ووعوا عليها فحاولوا لسـنين متطاوله ان يغمطوا حق هـذا الشـعر بالظهور والسـطوع، فنعتوه بأوصاف دلَّت على استحقاره والتهوين من شأنه، والمفارقه المحزنه انهم سمحوا لأنفسهم دون غيرهم بدراسه هذا الشعر وإصدار

الأحكام والمفتريات الكثيره فى حقه؛ ولم يستطع احد إلى وقت قريب ان ينتصرلهذا الشعر أو ينتصف له، أو يأتى ببراهين تفند ما ذهبوا إليه والى غير ذلك..

من هنا تولَّدت عندى قضيه إعاده النظر فى هذا الشعر والتعامل معه على أسس منهجيه بعيدا عن الاطروحات التى مسته أو حاولت المساس به، متخذا مدخلا جديدا اشتققته من المصدر الرئيس له وهو واقعه الطف فأسميته (الطفيات) ليسلط الضوء على الشعر الذى خصَّ فى هذه الواقعه وأبعادها وما عرضته من صور البطوله والفداء والتضحيه.

ومشروع (الطفيات) هذا كان على شكل خطى وئيده، وكلما مشيت خطوه فيه فتح لى الباب واسعا أمام الخطوه الثانيه والى الآن..، وهذا الكتاب حصيله تلك الخطى وثمره أولى فى هذا المشروع الضخم الذى أدعو من خلاله جميع الباحثين والمهتمين ليثوِّروه بمختلف الاتجاهات والرؤى، فلم يزل كثير من الدواوين لشعراء كان لهم الأثر الكبير فى مسيره هذا الشعر لم تحقق، والتى حققت أو جمعت لم تدرس، والتى درست لم تستكمل جوانب الدراسه فيه، وغير ذلك فضلا عن ظواهر عده تتعلق ب(الطفيات) وما يتفرع منها جديره بالدرس والبحث لم يسلط الضوء عليها إلى الآن وبخلدى ان ادرسها أو تكون مشاريع لطلبتنا فى الماجستير أو الدكتوراه ان شاء الله تعالى.

و الجدير بالذكر انه من خلال طرحى لمقوله (الطفيات) والإجراء عليها أردت تثبيت وتوجيه النظر إلى جمله من الأمور أهمها:

أولا: ان قصيده الحسين عليه السلام التى نعتها ب(الطفيه) قصيده لها بناؤها الفنى الخاص الذى اكتسبته من خلال موضوعها المتعلق بواقعه الطف. والطفيه إفراز من قصيده أوسع تعلقت بأهل البيت عليهم السلام؛ فالمعروف فى تطور هذا اللون من الشعر انه نشأ نتفاً ومقطعات ثم اندمج فى القصائد التى خصَّت أهل البيت عليهم

السلام، ثم بدا ينفرد بقصائد كالذى وجدناه فى شعر الشريف الرضى وهو ما حمله الإجراء الأول.

ثانيا: حاولت من خلال مقوله الطفيات والإجراء عليها ان أُدلل على ان مدرسه شعراء الشيعه كان لها أصول ينطلقون منها، وكان أعظم وأقوى أصل هو قضيه الطف، إذ كانت محورا يلتقى عنده وفيه شعراء الشيعه ويتنافسون ويتبارون مهما تباعد الزمن بينهم لينظموا أفضل ما تجود به قريحتهم من إبداع، فالتفنن فى إنتاج القصيده الطفيه عندهم جعلهم يصلون إلى نمط من الأداء لم يكن معروفا عند غيرهم من الشعراء.

ثالثا: أردت من خلال اختيارى شاعرين من حقبه القرن التاسع عشر ان أبرهن على ان أدب تلك الحقبه عند شعراء الشيعه وأدبائهم ومثقفيهم لم تكن بالحقبه المظلمه كما نعتها بعضهم بل هى حقبه مضيئه يمكننا ان نفخر بها ونعتز لا ان ندير وجوهنا عنها ضاربين بها عرض الحائط دون ان نكون علميين موضوعيين ممسكين بقلم الذوق والخبره فى سبيل الكشف الجمالى فى تلك النصوص التى لم تر الضوء منذ عشرات السنين. اما مصطلح (الحقبه المظلمه) فهو مصطلح ظالم أو غير دقيق للنصوص الأدبيه الشيعيه على وجه الخصوص.

رابعا: مثلت (القرآنيه) فى (الطفيات) إحدى الظواهر البارزه عند الشيخ صالح الكواز الحلى ومن خلالها استشفينا طبيعه تعامل الشاعر مع القران وتوظيفه فى بناء (الطفيات) وكان ذلك البناء مثير للدهشه والاستغراب فضلا عن الانبهار والتعجب من هذا الأداء الغريب على الشعر العربى بشكل عام، والذى انعكس على بناء القصيده بشكل كلى.

خامسا: ومن خلال الإجراء الأخير على ديوان الشيخ محسن (أبو الحب) الكبير

فتح الباب أمام توسيع مقوله (الطفيات) نتيجه لامعان الشاعر بقضيه الطف ورجالاته وتفصيلات الأحداث التى وقعت، فتعدى الشاعر مرحله نظم الطفيات العامه التى خصت الحسين عليه السلام ومن استشهد معه فى واقعه الطف وما جرى بعدها من أحداث إلى طفيات خاصه برجالات الطف ك: العباس عليه السلام وعلى الأكبر عليه السلام والحر الرياحى عليه السلام والشهداء عموما عليهم السلام... ونعتها ب(المصاحبه للطفيات) وخصوصيتها متأتيه من إعطائها أبعادا جديده فى التعبير عن واقعه الطف وألوانا زادت من وضوح ملامح الأحداث التى وقعت.

سادسا: ومن خلال الإجراء الأخير أيضا كشف البحث عن تطور جديد اتجهت إليه الطفيه وهو ما وسمته ب(قصيده الاستنهاض) التى نشأت من رحم (الطفيات) إذ كان الاستنهاض بذكر الإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف من الأمور الموضوعيه التى تذكر فى الطفيه ثم اخذ هذا الأمر بالتنامى والاستقلال على يد مجموعه من شعراء حقبه القرن التاسع عشر وما بعده حتى أصبح ظاهره ملفته للنظر فى دواوينهم.

وتجدر الإشاره إلى ان ماده الكتاب اشتملت على تمهيد اوضحتُ فيه جذور المصطلح (الطفيات) اللغويه وسبب تبنيه وفكرته وعلاقته بمجموعه من المصطلحات المقاربه له. وتبع التمهيد أربعه إجراءات تمثل الأول ب(طفيات الشريف الرضى دراسه فى البنيه الفنيه)؛ والثانى ب(طفيات الشيخ صالح الكواز الحلى دراسه موضوعيه تحليليه) والثالث ب(القرآنيه فى طفيات الشيخ صالح الكواز الحلى) والرابع ب(ديوان الشيخ محسن أبو الحب الكبير دراسه فى الموضوع الشعرى).

وهذه الإجراءات عباره عن بحوث منشوره فى مجلات علميه محكمه لم أُغير بها شيئاً كثيراً إلا ما اضطررتُ له لأسباب إخراج الكتاب على هذا النحو، لذا سيلحظ القارئ الكريم أعاده لتعريف مصطلح (الطفيات) فى الإجراءات الأربع وتعريفاً للشاعر

صالح الكواز الحلى فى إجراءين. وفضلاً عن ذلك فأنى لم اكتب خاتمه للكتاب لأنى اكتفيت بما طرحته فى مقدمته وما حوته خواتيم الإجراءات المعموله.

وينبغى التنويه إلى أن الإجراءين الثالث والرابع قد شاركنى بهما السيده كريمه نوماس المدنى الأستاذ المساعد فى كليه التربيه جامعه كربلاء إذ أعانتنى على إكمالهما وشاركتنى أفكارى وما توصلتُ إليه من نتائج فشكراً جزيلاً لها على ما بذلته من جهد وفقها الله تعالى لكل خير.

بقى ان أقول ان مصطلح (الطفيات) مشرع ضخم يتمثل فى إعاده النظر فى الأدب الشيعى ورؤيته من زاويه جديده تليق به وتكشف النقاب عما خفى منه.وأساس ذلك التعامل مع النصوص بصوره تحليليه مكتشفين ما بها من أبعاد أسلوبيه وجماليه دون التركيز على خلفيات النص المذهبيه والعقائديه والسياسيه إلا بقدر تعلقها بالنص؛ فهذه الأمور تبعدنا كثيرا عن استكشاف طريقه الشاعر فى صياغه موضوعه باللغه، وكيفيه إثاره المتلقى وشحذ ذهنه بمختلف الألوان والصور.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد

(الطفيات) الجذور والمقاربات

الطفيات تنتمی إلی الطف بالفتح والفاء المشدده، وهو فی اللغه ما أشرف من أرض العرب علی ريف العراق(۱)، والطف ساحل البحر وفناء الدار(۲) وقيل طف الفرات أی الشاطئ، والطفوف: جمع طف وهو ساحل البحر وجانب البر(۳). والطف: أرض من ضاحيه الكوفه فی طريق البريه فيها مقتل الحسين بن علی عليه السلام، وهی أرض باديه قريبه من الريف فيها عده عيون ماء جاريه(۴).

أما الطفيات علی صعيد الاصطلاح، فهو مصطلح آثر الباحث نسبته إلی القصائد المتضمنه وصفاً لواقعه الطف وما جری فيها من فاجعه حلَّت بالحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، ولا ريب فی انَّ هذا المصطلح يشمل جميع القصائد أو الأشعار التی بكت الحسين وتفجَّعت بمقتله فی تلك الواقعه الأليمه منذ حلولها سنه

۱- ينظر / معجم البلدان: ۴ / ۳۵ – ۳۶، ولسان العرب: ۹ / ۲۲۱، وتاج العروس: ۶ / ۱۸۲، ومجمع البحرين: ۳ / ۵۲.

۲- لسان العرب: ۹ / ۲۲۱.

۳- م. ن، ومجمع البحرين: ۳ / ۵۲.

۴- معجم البلدان: ۴ / ۳۵ – ۳۶، وينظر / لسان العرب وتاج العروس ومجمع البحرين فی المواطن المتقدمه وقد أشارت جميعها إلی استشهاد أو مقتل الحسين عليه السلام فی هذه الأرض.

إحدى وستين للهجره وإلى الآن..

والذى جعل الباحث يستأثر بهذا المصطلح أمورٌ عده أبرزها أنَّ واقعه الطف شكلت منعطفاً تاريخيا مهماً فى حياه الشيعه بشكل خاص، وحياه المسلمين بشكل عام، فقد كان يوم الطف دليلًا دامغاً على ظلم بنى أميَّه لأهل بيت النبوه، وتوجوا ظلمهم بقتل الحسين عليه السلام ومن معه فى واقعه الطف الشهيره، فكان هذا اليوم يوم ظلامه الشيعه الذين راحوا يستمدون قوتهم وصبرهم وتصديهم لأعدائهم من ذلك اليوم الرهيب مستلهمين فيه قوه الحسين عليه السلام وصبره وتصديه للظالمين.

أما الأمر الثانى الذى نراه هو أنه إذا ذكر الحسين عليه السلام ذكرت واقعه الطف، وإذا ذكر الطف ذكر الحسين عليه السلام شهيداً وبطلاً وقع على أرضه، ومن هنا كانت العلاقه جدليه بين الشخصيه والمكان لا تفترق بينهما فلا يذكر احدهما إلا ذكر الآخر.

وحين استقرا الباحث عددا من الدواوين الشعريه التى اهتمَّ شعراؤها بواقعه الطف، وكان لها الرصيد الأوفر من قصائدهم وأشعارهم من أمثال السيد حيدر الحلى، والسيد جعفر الحلى، وابن كمونه، وجواد بدقت الأسدى والشيخ محسن أبو الحب الكبير وغيرهم(١) وجدنا ثلاثه أمور تخص تلك الأشعار والقصائد، وهى:

أولًا: رتِّبت هذه القصائد فى عددا منها – أى الدواوين – من لدن محققيها على أساس القافيه.

ثانياً: أدرجت هذه القصائد فى باب الرثاء، وهذا الأمر لا يتنافى مع واقع الطفيات من حيث كونها أشعاراً رثائيه مخصصه فى استشهاد الحسين عليه السلام ونفر من أهل بيته وأصحابه فى واقعه الطف، ولكن إدراجها مع قصائد الرثاء الأخرى لا

١- تنظر قائمه المصادر والمراجع فى التعريف بدواوين الشعراء ومحققيها.

یعطیها ذلک التخصص والأهمیه التی یجب أن تأخذها بوصفها قصائد لها امتیازات فنیه وموضوعیه معینه لا تمتلکها فی کثیر من الأحیان قصائد الرثاء الأخری علی الرغم من اشتراکها بالتفجع والرثاء علی الشخص المرثی.

وهذا الأمر یصدق أیضاً علی الأمر الأول، أی ترتیب تلک القصائد علی أساس القافیه فهو لا یعطیها تلک الأهمیه ولا ذاک التخصص والامتیاز علی الرغم من أنه سمت علمی ومعمول به أکادیمیاً.

ثالثاً: عنونه هذه القصائد ب(العلویات)، وواضح أنَّ هذا العنوان لا یتوافق مع ما اندرج تحته، فالذی یتبادر إلی الذهن فور سماع هذا العنوان هو أنه ستکون تحته الأشعار أو القصائد التی قالها الشاعر فی حب الإمام علی بن أبی طالب علیه السلام والمتضمنه وصفاً لمآثره وبطولاته التی حفل بها سجله التاریخی کما هو الحال فی (القصائد العلویات) لابن أبی الحدید المعتزلی (ت ۶۵۶ ه)(۱).

ولکن جامع دیوان الشیخ صالح الکواز الحلی أشفع العنوان بتعریف له بقوله: "وهی قصائده فی رثاء الحسین بن علی وبقیه الشهداء (علیهم السلام)..."(۲).

ولنا هنا ان نتساءل عن سبب وضع هذا العنوان لهذه القصائد ؟ ألم یشعر جامع الدیوان بهذه المفارقه؟ أما کان الأوفق لو وسمها ب(الحسینیات) نسبه إلی الحسین علیه السلام، وهذا ما له دلاله بینه علی محتواه؟

بدءاً نقول إنَّ جامع الدیوان هو الأدیب الشیخ محمد علی الیعقوبی الذی جمع وحقق کثیراً من دواوین حقبه القرن الثامن عشر والتاسع عشر قد أفرد هذه القصائد اعتزازاً منه بها، وتقدیراً فنیاً لها فعزلها عن مراثی الشاعر الأخری، ومن ثَمَّ لم تکن

۱- الروضه المختاره المتضمن شرحی: الهاشمیات للکمیت والعلویات السبع لابن أبی الحدید المعتزلی.

۲- دیوان الشیخ صالح الکواز الحلی: ۱۵.

عنونته لها من دون قصد مسبق، وشعوره بالمفارقه وراء نسبه الحسين عليه السلام إلى أبيه الإمام على بن أبى طالب عليه السلام فى تعريفه (العلويات).

أما مصطلح العلويات فيرجع إلى لفظه (علوى) الذى يطلق على الشخص المخلص فى حبه وانتمائه إلى الإمام على ولفاطمه الزهراء(عليهما السلام) أو المنتسب إليهما، وما الحسين عليه السلام إلا ـ ممثل عنهما وامتداد حقيقى لهما، لذا كانت تسميه اليعقوبى لهذه القصائد ب(العلويات) من هذا المنطلق لكنَّه أحسَّ بالمفارقه التى تحدث فى نفس القارئ فوضع تعريفاً لها كى يذهب الالتباس عنه.

وهذا الافتراض مقبول لو لم يقم الشاعر نفسه أو أقرانه من شعراء أو أدباء فى تلك الحقبه بإطلاق هذا المصطلح على هذه القصائد ووصوله إلى جامع الديوان ومع ذلك فإنَّ الافتراضين يعودان إلى منطلق واحد كما أوضحنا.

أما مصطلح (الحسينيات) فإنه مصطلح معروف متداول، ولكن لا ـ على أمور الشعر وإنما على الأماكن الخاصه التى يقام فيها مجالس العزاء على أبى عبد الله عليه السلام ويقدم فيها الأكل والشرب والضيافه للزائرين فضلاً عن كونها جوامع تقام فيها الصلاه، ولتعانق هذا المصطلح مع هذه الأمور يصعب أن تنتقل دلالته إلى أمر آخر هو الشعر، وعلى الرغم من استقطاب بعض هذه الحسينيات للمهرجانات الشعريه التى كانت تقام فى المناسبات الدينيه الخاصه فى عاشوراء وغيرها.

وتجدر الإشاره إلى إطلاق الشيخ محسن (أبو الحب) الكبير (ت ١٣٠٥ ه) وهو أحد شعراء كربلاء وخطبائها البارزين فى حقبته على ديوان شعره تسميه (الحائريات)(١) "يكاد يكون كله فى رثاء الحسين وآل الحسين عليهم السلام"(٢). والحائريات هو المكان

١- معجم خطباء كربلاء: ٢٤٥، وتاريخ الحركه العلميه فى كربلاء: ٢٣٦، وتراث كربلاء: ١٥٥، والأمر المثير للانتباه عدم تعريج محقق ديوانه إلى هذا الأمر على الرغم من اشتهاره.

٢- ديوان الشيخ محسن أبو الحب الكبير: ١٧ – ١٨.

الذی حار فیه الماء أی توقف وتجمع عندما فتح لإغراق قبر الحسین علیه السلام فی زمن المتوکل العباسی(۱) وأصبح کل من ینزل قرب مرقد الحسین علیه السلام ینعت بالحائری، وهکذا نعت بیت (أبو الحب) بالحائری(۲).

ومهما یکن من أمر فإنَّ واقعه الطف کانت المحرک الأساسی والباعث الرئیس فی إثاره الشعراء منذ حلولها إلی الآن، ومن ثمَّ لو وصفنا ما قیل من قصائد وأشعار فی هذه الواقعه ب(الطفیات) لکان أعلق بالموضوع وأکثر ارتباطاً به من غیره من المصطلحات أو المسمیات.

ولا ریب أنَّ مصطلح (شعراء الطف) أو (أدب الطف) وما جاء علی شاکلتها کلها مؤدیه للغرض المرجو ولکن هذا المصطلح الذی آثرناه بهذا الوزن له جذوره ومقارباته، فقد جاء علی نسق من (هاشمیات) الکمیت، و(خمریات) أبی نواس، و(زهدیات) أبی العتاهیه، و(سیفیات) المتنبی و(کافوریاته)، و(رومیات) أبی فراس، و(حجازیات) الشریف الرضی، و(لزومیات) أبی العلاء المعری وغیرها مما تحفظه الذاکره الأدبیه.

بقی أن نعرج علی مسألتین مهمتین الاولی: هی أن هناک من ذهب إلی وصف تلک القصائد أو الأشعار بانتسابها إلی الإمام الحسین علیه السلام، ولکنه یضطر إلی تأنیث اسم الحسین للنسبه فنجد: (القصائد الحسینیه) أو (القصیده الحسینیه) أو (المراثی الحسینیه)، ونعت بعضهم قصائد الشاعر الحسینی الشعبی کاظم منظور الکربلائی ب(المنظورات الحسینیه)(۳)، وهذه المسمیات کسابقتها ذات دلاله وافیه ولکنها تحمل الإشکالات السابقه التی أوضحناها.

۱- ینظر مقاتل الطالبیین: ۳۹۵۳۹۶.

۲- دیوان الشیخ محسن أبو الحب الکبیر: ۷، وتاریخ الحرکه العلمیه فی کربلاء: ۲۳۶.

۳- تنظر بطاقه الکتاب فی ثبت المصادر والمراجع.

اما المساله الثانيه ان هناك من أدرج هـذه القصائـد تحت مصـطلح (المدائـح النبويه)، ولـم يـذكر مطلق المصـطلح وهو الـدكتور زكى مبارك طبيعه العلاقه بين المدائـح النبويه التى خصت الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم وبين قصائد الشـريف الرضـى فى صريع كربلاء كما نعتها هو، بل لـم يـذكر طبيعه العلاقه بين المدائح النبويه وبين القصائـد التى خصت أهل البيت عليهم السـلام ك(هاشـميات) الكميت وتائيه دعبل الخزاعى او تلك التى خصت احـد رجالات أهل البيت وهو زين العابـدين عليه السـلام فى قصيده الفرزدق الشهيره.

فكـان مصـطلحه عام ادخل فيه ما يتعلق بالرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم وأهل بيته عليهم السـلام ولعله انطلق من فكره ان أى أدب تعلق بأهل البيت بالضروره يتعلق بالرسول الكريم.

ولكن التناقض حاصل بين ما اشترطه الـدكتور زكى مبارك وبين هذه القصائد؛ فهو قد حدد طبيعه قصـيده المدح النبوى وميزها من الرثـاء بقوله معللاـ "لاـن الرثـاء يقصـد به إعلان التحزن والتفجع،على حين لا يراد بالمدائـح النبويه الا التقرب إلى الله بنشـر محاسن الـدين، والثناء على شـمائل الرسول. صـلى الله عليه وآله وسـلم"(١)وهـذا الأـمر يتناقض مع القصائـد التى اختارها كتائيه دعبل الخزاعى فى رثاء أهل البيت التى قال عنها الـدكتور مبارك "وأهميه هـذه القصـيده ترجع إلى ما فيها من التحزن والتفجع، وهى لـذلك خير ما قيل فى الانتصار لأهل البيت،.."(٢) وقال فى الشـريف الرضـى انه "لم يظهر توجع الشريف على أهل البيت ظهورا قويا الا فى قصائده التى بكى بها الحسين،.."(٣) وقال فى موضع

١- المدائح النبويه فى الأدب العربى: ١١.

٢- م.ن: ١٠٣.

٣- م.ن: ١٠٩.

آخر مشيرا إلى حرص "الشريف على إحياء يوم عاشوراء من كل عام بقصيده يبكى فيها الحسين".(١)

إذا هى قصائد رثاء وفيها توجع وتحزن وبكاء بشهادته هو؛ فكيف تكون فى الوقت نفسه مدائح نبويه؟

فالذى يقرأ هذا المصطلح لا يتبادر إلى ذهنه انه سيجد قصائد رثائيه فى أهل البيت وانما يجد قصائد فى حب الرسول ورجاء شفاعته وما تحلى به من أخلاق وما قام به من أعمال وما اشتمل عليه من حسن السيره وبهاء الطلعه وغير ذلك مما تعلق بشخصيه الرسول وسيرته العطره التى حفلت بها المدائح النبويه وسجلها الباحثون تحت هذه التسميه.(٢)

لذا فان من يقرأ بتمعن كتاب المدائح النبويه للدكتور زكى مبارك سيجد ان هذه القصائد المتعلقه بأهل البيت مقحمه فى هذا المصطلح وطارئه عليه، فليس لها علاقه من حيث الموضوع بالمدائح النبويه المعروفه فى الأدب العربى وان تلمس الدكتور زكى مبارك هذه العلاقه وجعلها فى الصدق والوفاء والتصوف. (٣)

ويمكن تعليل ما ذهب إليه الدكتور بأمرين محتملين الأول: انه أراد من القارئ ان يطلع على نمط من القصائد لم يتح له الإطلاع عليها لسبب او لآخر فأراد ان يجلب النظر إليها بتسليط الضوء عليها، ولم يجد طريقه أفضل من نعتها ب(المدائح النبويه) فهذا المصطلح يجعلها فى غطاء يمرَّر على القارئ العادى والا فهى عند الناقد المتخصص قصائد رثاء وشعراؤها معروفون بوجهه انتمائهم؛ اما الثانى: هو ان المصريين كانوا

١- م.ن: ٤٩.

٢- ينظر على سبيل المثال لا الحصر كتاب: المدائح النبويه فى أدب القرنين السادس والسابع للهجره للدكتور ناظم رشيد.

٣- ينظر: المدائح النبويه فى الأدب العربى:٤١، ٥٩، ١٠٩.

يحتفلون من كل عام بيوم عاشوراء(۱) لذا لم يجد الدكتور مبارك أمرا مستغربا لو نعت هذه القصائد بالمدائح على طريقه أهل مصر والا فهو احتفال تأبين بلا شك.

وأخيراً تبقى مسأله إطلاق المصطلح وتحديده مسأله مهمه، ولكن الأهم منها هو أن يأخذ هذا المصطلح اعنى (الطفيات) مجراه فى حقله حتى يصبح ظاهره لا ـ يمكن تجاوزها، وذلك يتم باستعمال عدد من الباحثين والأدباء هذا المصطلح وتركيزه فى الذاكره الأدبيه حتى لا ينسى أو يهمل، هذا طبعاً إذا استسيغ وتقبل بقبول حسن، وإلا فباب المترادفات لا يغلق.

۱- ينظر: م.ن: ۴۹.وفيها أشار الدكتور إلى ان أهل الريف فى مصر يحتفلون بذلك اليوم يعنى يوم عاشوراء احتفالهم بعيد الأضحى من حيث التوسع فى المطاعم. وفى مصر نوع من الحلوى اسمه عاشوراء يؤكل فى ذلك اليوم ويتخيره ناس للفطور.....وفى الصفحه التى قبلها أشار إلى رؤيته موكب النوح على الحسين عليه السلام فى القاهره اذ كان الشيعه يطوفون حول مسجد الحسن عليه السلام وأجسامهم مخضبه بالدماء، ورأى الناس يبكون ويصرخون وهم يسمعون سيره الحسين فى ليله عاشوراء.

الإجراء الأول: طفيات الشريف الرضی– دراسه فی البِنیه الفنیَّه

اشاره

مقدمه الاجراء

الطفّيّات مصطلح آثر الباحث نسبته للقصائد المتضمِّنه وصفاً لواقعه الطف وما جرى فيها من فاجعه حلَّتْ بالإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه.

ولا ريب في أن هذا المصطلح يشمل جميع القصائد التي بكت الحسين عليه السلام وتفجَّعت بمقتله في تلك الواقعه الأليمه منذ حلولها سنه إحدى وستين للهجره وإلى الآن.

وقد اقتصر الباحث على طفيات الشريف الرضي(١) لتكون بادره أولى لدراسه

١- الشريف الرضي: هو أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. وُلِدَ ببغداد سنه تسع وخمسين وثلاثمائه، وتوفي فيها سنه ستٍّ وأربعمائه للهجره عن سبع وأربعين سنه. كان أبوه من ساده العلويين ومن كبار الكتّاب، وكان يترأس نقابه الطالبيين، والنظر في المظالم والحج، وأمّا أمه فهي فاطمه بنت الحسين بن أحمد بن الحسن ملك بلاد الديلم والجبل ونسب أمه أيضاً ينتهي إلى الحسين بن علي عليهما السلام. فنشأ الشريف في بيت علم ورياسه. تتلمذ على خيره علماء عصره من أمثال: السيرافي(ت٣٦٨ ه) وأبي علي الفارسي(ت٣٧٧ ه) وابن جني(ت٣٩٢ ه) والشيخ المفيد(ت٤١٣ ه). وضع مؤلفات عده في التفسير والحديث والتاريخ والأدب كان من أشهرها (حقائق التأويل في متشابه التنزيل)، و(تلخيص البيان في مجازات القرآن)، و(المجازات النبويه)، و(نهج البلاغه). شهد الرضي عهود ثلاثه خلفاء عباسيين، هم المطيع، والطائع، والقادر، وأدرك خمسه من ملوك البويهيين، والذي أتصل به منهم هو بهاء الدوله ومدحه وكان ملكاً على العراق. وقد جعله نقيباً للأشراف العلويين ببغداد خلفاً لأبيه سنه ٣٨٠ ه. لُقِّبَ الشريف بعده ألقاب كان أشهرها الشريف الرضي، وذا الحسبينِ أو ذا المنقبتينِ، والموسوي. تُنظر ترجمته في: يتيمه الدهر: ٣/١٣٦ — ١٥٦، وتاريخ بغداد: ٢/ ٢٤٦، والمنتظم: ٧/ ١٧٦، ووفيات الأعيان: ٤/ ٤١٩، وشذرات الذهب: ٢/ ١٨٢، وتاريخ الأدب العربي: ٢/ ٦٢.

شعر الشـعراء الذين نالهم حبُّ الحسـين فرثوه بأحسن ما استطاعوا قولاً وما دبَّجوه من بيان. وقد كان الشريف الرضى هو الموحى للبـاحث بهـذا المصـطلح، إذ جـاء على شاكله حجازياته الشـهيره والتى سارت "على نسق مع هاشـميات الكميت، وخمريات أبى نؤاس، وزهديات أبى العتاهيه"(۱) والحجازيات كما هو معروف عنها "المقطعات الشـعريه التى لها وجه اتصال بالحجاز مباشـره أو بالتأديه إليه"(۲).

ويمكن أن أضـيف سـبباً آخر لدراسه الطفّيّات عند الشـريف الرضى وهو نسبه الشريف المتَّصل بالحسين عليه السلام مما يضفى وقعاً خاصاً لبنيه القصيده مما لو لم ينتسب حقيقه له.وفوق هذا وذاك فان الشريف الرضى شاعرٌ ممسك بإحكام أدواته الشعريه، فهو كما قال الثعالبى فيه: "إنه أشـعر الطالبيين.... ولو قلت أنه أشـعر قريش لم أبعد عن الصدق..."(۳)، وقال فى مراثيه "ولستُ أدرى فى شـعراء العصر أحسن تصرفاً فى المراثى منه"(۴) وقال فيه الدكتور زكى مبارك: "الشـريف الرضـى أفحل شاعر عرفته اللغه العربيه، وأعظم شاعر تنسَّم هواء العراق"(۵) وقال فيه الدكتور البصير: "انه

۱- حجازيات الشريف الرضى: ۲۵، د. مصطفى كامل الشيبىّ. ضمن كتاب الشريف الرضى دراسات فى ذكراه الألفيه.

۲- م.ن.

۳- يتيمه الدهر: ۳/ ۱۳۶.

۴- م.ن.

۵- عبقريه الشريف الرضى: ۱/۱۵.

فى طليعه شعراء اللغه العربيه... وفارس حلبتى الرثاء والفخر وإمام الغزل العذرى"[(١)] وقيل فيه: "... إذا قصد المراثى جاء سابقاً والشعراء منقطعه الأنفاس ..."[(٢)] دلاله على عظم باعه ومقدرته وطول نفسه فى هذا المضمار. وقد نعَتَهُ الأدباء لرقه شعوره وكثره مراثيه ب(النائحه الثكلى)[(٣)] فقد امتاز الشريف "برثائه البليغ المفعم صفاءً ومودةً ووفاءً وإخلاصاً".[(٤)]

والطفيات – بعد ذلك – قصائد رثائيه مخصصه فى استشهاد الحسين عليه السلام ونفرٍ من أهل بيته وأصحابه فى واقعه الطف.

وحين تصفح الباحث ديوان الشريف الرضى بطبعه دار صادر المتكونه من جزأين – وهى المعتمده فى البحث – وجد خمس قصائد فى رثاء الحسين عليه السلام كانت موضوع الصفحات القادمه من البحث.

فدرس الباحث البُنى الهيكليه والموضوعيه والداخليه (اللغه الشعريه) معطياً لكل بنيه منها مبحثا وقد تقدمها مدخل للدراسه. واتبع ذلك خاتمه ضمَّت أهمَّ النتائج التى توصل لها البحث تبعها ثبت المصادر والمراجع.

وابتعد الباحث ما أمكنه عن التاريخيات ومتعلقاتها السياسيه والمذهبيه ليقترب من استكشاف طريقه صياغه الشاعر لموضوعه وكيفيه تشكيله شعرياً.

١- فى الأدب العباسى: ٤٣٣.

٢- نهج البلاغه (شرح محمد عبده): ٧ (مقدمه الشارح).

٣- الوافى بالوفيات: ٢/٢٧٤.

٤- فى الأدب العباسى: ٤٢١.

مدخل الإجراء

أ البنيه الهيكليه

اشاره

إذا كان قوام الشعر العربى هو القصيده (١)، فإن الحديث عن بناء القصيده ومراحل تكوينها لا ينصرف إلا إلى القصائد الطوال التى تتعدد فيها الموضوعات وتسير على نظام معين ونسقٍ موروث سنَّه القدماء منذ عهد متقدم فى الجاهليه، وتبعه المتأخرون فى صدر الإسلام وسار على نهجهم كثير من شعراء العصر الأموى والعباسى على تفاوت فى مقدار التبعيه والالتزام.(٢) وحسبنا أن نقول ان هذا النظام لم يكن عشوائياً وإنما كان منظماً ومرتباً ومراعياً فى ذلك المستمع أو المتلقى. وهذه الأجزاء التى يتألف منها بناء القصيده الهيكلى، والتى سنعرض لها بشكل موجز هى:

١ المطلع

لقد اهتم النقاد القدامى بالمطلع، فهو إلى جانب تمثله الناحيه الموسيقيه المتأتيه من "تصيير مقطع (آخر) المصراع الأول فى البيت الأول من القصيده مثل قافيتها"(٣) فانهم يعدونه ضروره لازمه فى بناء القصيده لأنه مذهب الشعراء المطبوعين المجددين، وكانوا

١- التوجيه الأدبى: ١٤٨.

٢- ينظر: الشعر الجاهلى: ١٢٥ — ١٢٦.

٣- نقد الشعر: ٥١.

يعدون الشعر قفلًا "أوله مفتاحه"(١) و"عولوا على أهميته فى مطلع القصيده لأنه يميِّز بين الابتداء وغيره، ويفهم منه قبل تمام البيت روى القصيده وقافيتها. "(٢) كما اشترطوا أن يكونَ حلواً سهلاً وفخماً جزلاً؛(٣) فالمطلع يقع فى السمع من القصيده، والدال على ما بعده، المتنزل من القصيده منزله الوجه والغره. فإنما كان بارعاً وحسناً بديعاً ومليحاً رشيقاً، وصدر بما يكون فيه من تنبيه وإيقاظ لنفس السامع، أو أشرب بما يؤثر فيها انفعالاً ـ ويثير لها حالاً ـ من تعجيب أو تهويل أو تشويق، كان داعياً إلى الإصغاء والاستماع إلى ما بعده.(٤) وكذلك لاحظوا مناسبه المطلع لموضوع القصيده، فإذا كان المقام مقام حزن كان الأولى بالمطلع أن ينبئ بذلك من أول بيت وإذا كان المقام مقام تهنئه أو مديح كرهوا الابتداء بما يتشاءم به،(٥) أى تطبيق القاعده البلاغيه مراعاه الكلام لمقتضى الحال.

أما المطلع غير المصرع فقد سماه حازم القرطاجنى ب(التجميع) إذ يخلف ظنّ النفس فى القافيه(٦)، وعُدّ أكثر عيباً من الإكفاء والسناد فى القوافى.(٧)

وقد يلجأ الشاعر إلى التصريع الداخلى وهو أن يصرع أكثر من موطن فى القصيده الواحده، واصطلح عليه الدكتور يوسف حسين بكار ب(تجديد المطلع) (٨) وهو "دليلٌ عل قوه الطبع، وكثره الماده، إلا أنه إذا كثر فى القصيده دلَّ على تكلف..."(٩)

١- العمده: ١/٢١٨.

٢- سر الفصاحه: ٢٢٢.

٣- ينظر: العمده: ١/٢١٨.

٤- ينظر: كتاب الصناعتين: ٤٥٥ ومنهاج البلغاء ٣٠٩ – ٣١٠.

٥- ينظر: م.ن: ٤٥١ – ٤٥٢، والعمده: ١/٢٢٢.

٦- ينظر: منهاج البلغاء: ٢٨٣.

٧- ينظر: بناء القصيده ١٧٤.

٨- ينظر: م.ن.

٩- العمده: ١/١٧٤.

ولوحظ اهتمام الشريف الرضى بالتصريع والتصريع الداخلى فى شعره عامه، وهذا ينبئ عن تمسك الرضى واعتزازه بأصاله القصيده العربيه واحترام خصوصياتها ونزوعه نحو عفويه الأداء الشعرى الذى تخلقه لحظه الإلهام الشعرى الحره.(١)

وإذا ما انتقلنا إلى ما بعد المطلع المصرع أو غير المصرع نجد الشاعر يتسلسل إلى موضوعه فى مقدمه تمهيديه لموضوعه الرئيس، وغالباً ما تبدأ بالديار والوقوف على الأطلال وبكائها والتأمل فيها، وهذا هو الأسلوب العام فى ابتداء المطولات فى الشعر الجاهلى.(٢) وقد أخذ النقاد فى العصر العباسى ينظرون من خلال تركيب بناء القصيده الجاهليه ولا يتعدونه، وكان على رأس هؤلاء ابن قتيبه الذى رأى "أن لا مندوحه من المقدمه التى تتألف من الوقوف على الأطلال والغزل ووصف الرحله. هذا الشرط القسرى يؤكده ابن رشيق حين يعيب الشعراء الذين يهجمون على الغرض مكافحه، ويتناولونه مصافحه ولا يجعلون لكلامهم بسطاً من النسيب، ويسمى قصائدهم فى هذه الحال بتراء كالخطبه البتراء".(٣)

ويعلل ابن قتيبه سبب الابتداء بالمقدمه الطلليه والغزليه، فالأطلال لذكر أهلها الظاعنين، والغزل لاستماله القلوب واستدعاء الأسماع،(٤) وتابعه ابن رشيق فى هذا المنحى.(٥)

١- ينظر: بناء القصيده عند الشريف الرضى: ٢٠٩، د. عناد غزوان. ضمن كتاب الشريف الرضى دراسات فى ذكراه الألفيه.

٢- إلى جانب المقدمات الغزليه والطلليه ثمه مقدمات فى الشيب والطيف وغيرها، ينظر: صور أخرى من المقدمات الجاهليه — اتجاهات ومثل، د. يوسف خليف، مجله المجله: ٤ — ١٥، ومقدمه القصيده العربيه فى العصر الجاهلى: د. حسين عطوان.

٣- بناء القصيده: ٢١٣.

٤- ينظر: الشعر والشعراء: ١/٧٥ — ٧٦.

٥- ينظر العمده: ١/٢٢٥.

إنَّ الالتزام الشكلى يعد قيداً على الشاعر المحدث، وقد لا يتناسب مع كل الموضوعات والظروف التى تتهيأ القصيده من خلالها ليؤطرها الشاعر بالإطار الذى يتناسب وتلك الظروف، وهذا ما ذهب إليه ابن الأثير الذى تململ من أسر القصيده القديمه وترك الحريه للشعراء فى أبتداءاتهم.(١)

٢ التخلص

ويسمى براعه التخلص وحسن التخلص(٢) الذى يؤلِّف معالم الارتباط الموضوعى والزمنى بين أغراض القصيده الواحده(٣) والشاعر المجيد هو الذى يحسن الانتقال، فيغادر موضوعه الأول إلى الذى يليه دون خلل أو انقطاع، ويجعل معانيه تنساب إلى الموضوع الآخر انسياباً بحيث لا يشعر قارئه بالنقله، بل يجد نفسه فى موضوع جديد هو استمرار للأول وامتدادٌ له، وبين الموضوعين تمازجٌ والتئام وانسجام.(٤) والتخلص بعد ذلك يدلُّ على حذق الشاعر، وقوه تصرفه وقدرته وطول باعه،(٥) ولم يكن القدماء يعنون به عنايه الشعراء المحدثين بل يذهب ابن طباطبا إلى أن حسن التخلص من مبتدعات المحدثين " لأن مذهب الأوائل فى ذلك واحد، وهو قولهم عند وصف الفيافى وقطعها بسير النوق، وحكايه ما عانوا فى أسفارهم: انا تجشمنا ذلك إلى فلان يعنون الممدوح، كقول الأعشى:

إلى هوذهِ الوهَّابِ أُزْجِى مَطِيَّتى

أُرَجِّى عَطاءً صالِحاً مِنْ نَوالِكَا(٦)

١- ينظر: بناء القصيده: ٢١٤.

٢- ينظر: معجم النقد العربى القديم: ١/٢٧٤.

٣- ينظر: بناء القصيده عند الشريف الرضى: ٢١٨، د. عناد غزوان. ضمن كتاب الشر يف الرضى دراسات فى ذكراه الألفيه.

٤- ينظر: الشعر الجاهلى: ١٣٧.

٥- ينظر الجامع الكبير: ١٨١.

٦- عيار الشعر: ١١٥، والبيت فى ديوان الأعشى: ١٣٦. وروايه البيت فيه: إلى هوذةَ الوهاب أهديت مدحتى أرجِّى نوالا فاضلا من عطائكا

وكانوا يقولون عند الانتقال: "دع ذا" و"عد عن ذا"(١)

أما ذا لم يوفق الشاعر فى تخلصه وجاء على غير ما وصفه النقاد فهو اقتضاب أو الطفر أو الانقطاع إذ يقطع الشاعر كلامه ويستأنف كلاماً غيره من مدح أو هجاء ولا يكون للثانى علقه بالأول. وقد ذهبوا إلى أن هذا هو مذهب الشعراء المتقدمين من مثل امرئ القيس والنابغه الذبياني وطرفه ومن تلاهم من طبقات الشعراء، أما المحدثون من مثل أبى تمام والمتنبى فقد تصرفوا فى المخالص وأبدعوا فيها(٢)، ولا شك أن الشريف الرضى هو واحدٌ من أولئك المحدثين الذين تميزوا بحسن تخلصهم والإجاده فيه وهذا ما ستخبرنا عنه طفياته.

٣ الخاتمه

مثلما اهتم القدماء بالمطالع اهتموا أيضاً بالمقاطع أو خواتم القصائد ونظروا إليه من الزاويه نفسها التى نظروا إليها للمطالع من حيث الاهتمام بالسامع أو المخاطب لأن ختام القصيده فى عرفهم يمثل "قاعده القصيده، وآخر ما يبقى منها فى الأسماع، وسبيله أن يكون محكماً: لا تمكن الزياده عليه، ولا يأتى بعده أحسن منه، وإذا كان أول الشعر مفتاحاً له وجب أن يكون الآخر قفلاً عليه."(٣) وذهب حازم القرطاجنى إلى وجوب "أن يكون ما وقع فيها من الكلام كأحسن ما اندرج فى حشو القصيده، وان يتحرَّز فيها من قطع الكلام على لفظ كريه أو معنى منفِّر للنفس عمَّا قصدت إمالتها إليه... وإنما وجب الاعتناء بهذا الموضع لأنه منقطع الكلام وخاتمته. فالإساءه فيه معفيه على كثير من تأثير الإحسان المتقدم عليه فى النفس. ولا شيء أقبح من كدر بعد صفو..."(٤)

١- ينظر: العمده: ١/٢٣٠، ومعجم النقد العربى القديم: ١/٢٧٤.

٢- ينظر: بناء القصيده: ٢٢٨.

٣- العمده: ١/٢٣٩.

٤- منهاج البلغاء: ٢٨٥.

ولذلك اشترط فيه أن يكون الاختتام فى كل غرض بما يناسبه فيكون بمعانٍ ساره فيما قصد به التهانى والمديح، وبمعانٍ مؤسيه فيما قصد به التعازى والرثاء، كذلك أوجب أن يكون اللفظ فيه مستعذباً والتأليف جزلاً متناسباً.(١)

واشترط أبو هلال العسكرى فى الخواتيم، أن يكون أجود بيت فى القصيده وأدخل فى المعنى الذى قصد له الشاعر فى نظمها... أو أن يتضمن حكمه أو مثلاً سائراً، أو تشبيهاً حسناً.(٢)

وتجدر الإشاره إلى أن هناك نهايات تشعر أن المعنى مازال مستمراً إذ ينهى الشاعر قصيدته فجأه وعلى غير ختام، ويبقى المعنى بحاجه إلى تكمله واستمرار.(٣) ولعل ذلك عائدٌ إلى توقف الانثيال الشعرى عند الشاعر لأى سبب كان أو نفاذه. مما يؤدى إلى استشعار القارئ أن للكلام بقيه لم تتم إذ لم ينسجم مع الذى قبله. وهذا الأمر حاصل إذا علمنا يقيناً أن القصيده قد جاءت كامله ولم يحذف أو يفتقد منها شيء.

ومهما يكن من أمر فإن الباحث عمد إلى جعل هذه المرتكزات (المطلع، التخلص، الخاتمه) ضمن البنيه الهيكليه أو الخارجيه للقصيده، وراح يتلمس هيكله الشريف الرضى لطفياته من المطلع وحتى الخاتمه وكيف انتقل من موضوعه الأول إلى موضوعه الثانى، وهل هناك وحده ربط بين الموضوعين، أم أن الشريف لم يكن فى ذهنه إلا أن يجارى النمط القديم من البناء، أم أنه تلمَّس البناء القديم ليدخل فى بنيته شيئاً جديداً مضافاً ابتدعه هو. وهذا ما سيعرضه الباحث فى موضعه من البحث.

١- م. ن: ٣٠٦.

٢- ينظر: كتاب الصناعتين: ٤٦٣ – ٤٦٥.

٣- الشعر الجاهلى: ١٤٢.

ب البنيه الموضوعيه

لاـ شك فی أن القصـیده مهما کان نوع ابتـداءاتها فإن لها موضوعاً رئیساً تتمحور علیه، بل إن الابتـداء یتطوع لهـذا الغرض کیما یناسبه ویتسلسل به حتی النهایه التی تأتی مکمله للموضوع، لذا کانت بنیه الموضوع ملخصه لفحوی الابتداء والانتهاء.

ولکـل موضوع محاوره التی یـدور حولها الشاعر، نافثاً أحاسـیسه ومشاعره وأفکاره وهمومه، ومنفِّساً عن انفعالاته، طارحاً تأملاته فی الکون والحیـاه الأشـیاء. ولاـ ریب فی "أن القوه التی تصـهر الأجزاء بعضـها ببعض وتخلق التوازن بین الصـفات المتضاده هی الخیال: القوه التی بواسـطتها تسـتطیع صوره معینه أو إحساس واحـد أن یهیمن علی عـده صور أو أحاسـیس فی القصـیده فیحقق الوحده فیما بینها بطریقه أشبه بالصهر.(۱) ولعـل معالجه أفکار الموضوع أو مضامینه إذا اقتربت من التجریـد کانت عقیمه أو غیر ذات جدوی مما لو تعرضت للتصویر المجازی وکان ذلک بطریق الموضوعیه الأدبیه.(۲)

ج البنیه الداخلیه (اللغه الشعریه)

تعـدّ اللغه الشـعریه أهم المرتکزات فی البنـاء الفنی للقصـیده وإذا مـا اشترک الشـاعر مع غیره فی البنـاء الخـارجی فإنه یفترق فی طبیعه صـیاغه البناء الداخلی، إذ إن اللغه الشـعریه تمثل قدره ومهاره متفرده فی صیاغه التجارب الشعوریه، کما أنها تعکس ثقافه الشـاعر ومشـاعره وأفکـاره تجـاه الکون والأشـیاء وبتحلیل تلک اللغه یتم الکشف عن مواطن الجمال والإبـداع فی العمل الأدبی وقیمه الفنیه.

"واللغه ظاهره فنیه تأثرت بـدورها بحرکات التطور والتجدیـد التی طرأت علی الشـکل الفنی العام للقصـیده العربیه القدیمه وهی تنتقل من مرحله حضاریه فنیه إلی

۱- ینظر: بناء القصیده الفنی: ۱۶ – ۱۷.

۲- ینظر: م. ن: ۵۹.

أخرى، من العصر الجاهلى فالعصر الإسلامى فالأموى فالعباسى"(١)

ورأى نقادنـا القـدامى أن سـلامه اللغه من شـروط جمـاليه القصـيده، كمـا كانوا يؤمنون بأن لغه أى قصـيده يجب أن تتناسب مع موضوعهـا. ويجب أن تكـون متجـانسه، ومن نـوع واحـد.(٢) وتكمـن أهميـه اللغـه مـن أن مـن خلالهـا تنبعث الأفكـار والصـور والموسيقى ولا تعرف هذه العناصر إلا من خلال تركيبات اللغه التى ندرسها فى القصيده.(٣)

واللغه الشـعريه بعد ذلك "تنظيم متناسق مقصود للكلمات، يعبر عن انفعال نفسى حاول الشاعر استجلاءه بهذا التنظيم مما حملها بطاقـات إيحـائيه انبجست من تزاوج علاـقه الحقيقه بالمجـاز من جهه والبنـاء بالإيقـاع من جهه أخرى وأدت التأثير المطلوب فى المتلقى."(٤)

ومن خلال هذا التعريف نتبين ثلاثه مستويات فى تشكيل لغه شعر أى شاعر وهذه هى الألفاظ والصياغه والإيقاع. وتجدر الإشاره إلى أنَّ هـذه المسـتويات متواشـجه منصـهره فيما بينها، تتذبذب قوه تأثير كل منها فى الآخر. وما الفصل الذى اصـطنعناه بينها إلا لأغراض الدرس الذى تستدعيه العمليه النقديه التحليليه للنص الشعرى.

و تجدر الإشاره ايضا إلى ان مكونات القصـيده (البنيه الخارجيه والموضوعيه والداخليه) هى متلاحمه ومتآصـره فيما بينها متبادله التأثير بنسبه متفاوته. ولم يكن الفصل الذى اصطنعناه إلا فصلاً منهجياً لأغراض الدرس فحسب.

١- بناء القصيده عند الشريف الرضى: ٢٠٣، د. عناد غزوان. ضمن كتاب دراسات فى ذكراه الألفيه.

٢- ينظر: بناء القصيده: ١٤٥ - ١٤٧

٣- ينظر: بناء القصيده الفنى: ٢٦

٤- لغه شعر ديوان الهذليين: ٥، وينظر لغه الشعر الحديث فى العراق: ٣٠.

المبحث الأوّل: البنيه الهيكليه للطفّيات

لقد امتازت الطفيات المستقرأه من ديوان الشريف الرضى بالطول فانتظمت مكونات بنائها بصور كليه، فقد بلغت أقصر قصيده منها ستةً وعشرين بيتاً، وأطولها اثنينِ وستينَ بيتاً، مما يشير إلى طول نفس الشريف الرضى فى التعبير عن أحاسيسه ومشاعره تجاه موضوع التجربه الشعريه. كما تشير إلى مسك الشاعر أدواته الشعريه بحيث لا يضيع على المتلقى نشوته بالتحام القصيده ووحده مشاعرها من بدئها حتى نهايتها وكأنها بلا نهايه، وهذا الأمر لم يكن متعلقاً بالطفيات فحسب وإنما بأغلب شعره.(١)

وإذا كان الخط العام فى مقدمات المرثيه عموماً عند الشريف الرضى وهو أما أن "تبدو ذات مقدمه حماسيه أو فخر ذاتى وخيبه أمل وشكوى من الزمان مع احتفاظها بوحدتها المضمونيه الرائعه أوقد تكون مرثاه بلا أيه مقدمه أو تكون مرثاه مدينه متميزه بمضمونها وأبعادها السياسيه والأخلاقيه"(٢) فإن الطفيات لم تبتعد عن هذا التقسيم

١- ينظر بناء القصيده عند الشريف الرضى: د. عناد غزوان: ٢٢٢. ضمن كتاب الشريف الرضى دراسات فى ذكراه الألفيه.

٢- م. ن: ٢٣۴.

كثيراً، فقد وردت أولى طفيات الشاعر والتى نظمها سنه (۳۷۷ه) أى عندما كان فى الثامنه عشره من عمره، بلغ طولها الأربعين بيتاً، استهلها بمقدمه يفتخر بها بنفسه ويشكو من ظرف ألمَّ به:(۱)

صاحت بِذَوْدِىَ بغدادٌ، فآنسَنى

تقلُّبى فى ظُهورِ الخيلِ والعيرِ

وكلّما هَجْهَجَتْ بىْ عَنْ منازِلِها

عارَضْتُها بجَنَانٍ غيرِ مذْعُورِ

أطْغى على قاطِنِيها غيرَ مُكْتَرِثٍ

وأفعلُ الفِعْلَ فيها غيرَ مأْمُورِ

خَطْبٌ يُهَدِّدُنى بالبُعدِ عنْ وَطَنى

ومَا خُلِقْتُ لغَيْرِ السّرْجِ والكُورِ

إنّىْ، وإنْ سامَنى ما لا أُقاوِمُهُ

فقدْ نجَوْتُ، وَقِدْحى غَيْرُ مَقْمورِ

عجْلانَ أُلبِسُ وجهى كلَّ داجِيَهٍ

والبرُّ عُرْيَانُ مِنْ ظبيٍ ويعفورِ

وقارئ هذه الأبيات يحس بعمق غضب الشاعر على الأوضاع التى يواجهها كما يحس بعمق معاناته وحزنه الشديد من خلال افتخاره بنفسه ومبالغته فيه كرد فعل عكسى لما يصيبه ويواجهه.

وإذا رجعنا إلى هذه الحقبه من حياته نجدها "مرحله عناءٍ وشقاء، إذ صرف أبوه من النقابه، ثمّ اعتقل بعد سنتين اعتقله عضد الدوله، وسجنه فى قلعه بفارس من سنه ۲۷۰ه إلى سنه ۳۷۸ه قضى الرضى مع أخيه وأمه ثمانيه أعوام عجاف بالبؤس وعيش الكفاف، بما تبيعه أمه من أملاكها وحليها... "(۲) ومن الطبيعى أن تأتى قصائده متمثله مشاعره أكمل تمثل، ولعل تمرده على الوضع الذى هو فيه كان وراء تخليه عن مرتكزين مهمين فى بناء القصيده، وهو عدم تصريعه مطلع القصيده وتخليه عن المقدمه الطلليه، وهذا مصداق على فكره "أنَّ الشكل الفنى للقصيده مرتبط بالنظام السياسى والفكرى لعصر الشاعر، فإن التمرد والخروج عليه يعنى تمرداً وخروجاً سياسياً وثقافياً

١- ديوان الشريف الرضى: ١/۴٨٧.

٢- تاريخ آداب العرب: ١٧٢، وينظر: شرح نهج البلاغه: ١/ ١۴.

على ذلك العصر..."[(١)]

ومهما يكن من أمر فإنّ الشاعر بعد هذه الأبيات الغاضبه يجرِّد من نفسه شخصيه القائله التى راحت تصبِّره على أحزانه[(٢)]:

وربَّ قائلهٍ، والهمُّ يُتْحفنى

بناظرٍ منْ نِطافِ الدمعِ ممطورِ

خفِّضْ عليكَ، فللأحزانِ آونهٌ

وما المُقيمُ على حُزْنٍ بمَعْذورِ

فيجيبها بحزمٍ وقوهٍ:

فقُلْتُ: هَيْهاتَ فاتَ السَّمْعُ لائِمَهُ ج

لا يُفْهَمُ الحُزْنُ إلاَّ يومَ عاشورِ

ولاـ شـكَّ أنَّ المرأه أقـدر على امتصـاص حزن الشـاعر وألمه، وأقـدر على إثـارته بشتى الانفعالات والأحاسيس. كمـا أنَّ هـذا الأسلوب (حوار العاذله أو القائله) كان متبعاً عند بعض شعراء الجاهليه.[(٣)] هـذا من ناحيه ومن ناحيه أخرى ربط الشاعر بحسن تخلصه موضوع حزنه وما ألمَّ به من مكاره وصعاب بموضوع واقعه الطف وما حدث فى يوم عاشوراء، وكأنَّ الأحزان التى مرَّتْ وتمرُّ به ليست حزناً قياساً بما حدث يوم عاشوراء، بل إنَّ الحزن لا يفهم وليس له معنى إلا فى ذلك اليوم العصيب فأجابها بقوله:

فقُلْتُ: هَيْهاتَ فاتَ السَّمْعُ لائِمَهُ

لا يُفْهَمُ الحُزْنُ إلاّ يومَ عاشورِ

إنَّ انتقـاله الشـاعر جـاءت موفقه كل التوفيق، وطبيعيه منسابه بين مقـدمه القصـيده وغرضـها وكـذا خاتمتها التى أنهاها الشاعر بها مخاطباً نفسه محرضاً إياها على المجد والرفعه وعدم التهاون ولكنه حزين يلقى الزمان بجرح غير مندمل وبقلب غيرمسرور:[(۴)]

١- بناء القصيده عند الشريف الرضى: ٢٠٢، د. عناد غزوان. ضمن كتاب الشريف الرضى دراسات فى ذكراه الألفيه.

٢- ديوان الشريف الرضى: ١/۴٨٧ — ۴٨٨.

٣- ينظر: تاريخ الأدب العربى قبل الإسلام: ١٨٠ — ٢٠١.

۴- ديوان الشريف الرضى: ١/۴٨٩.

ما لیْ تَعَجَّبْتُ من همِّی ونفْرَتِهِ

والحزنُ جرحٌ بقلبیْ غیرُ مسْبورِ

بأیِّ طرْفٍ أری العلیاءَ إنْ نَضَبَتْ

عَیْنی، ولَجْلَجتُ عَنْها بالمعاذِیرِ

ألْقی الزمان بکَلْمٍ غیرِ مندملٍ

عُمْرَ الزمانِ، وقلْبٍ غیرِ مَسْرُورِ

ثم یخاطب جدَّه الحسین علیه السلام بنداء مفجع:

یا جدِّ لا زالَ لی همٌّ یحرِّضُنی جج

علی الدُّمُوعِ ووجْدٌ غیرُمقْهورِ

والدمعُ تحفزُهُ عیْنٌ مُؤَرّقهٌ

حَفْزَ الحنیّهِ عنْ نَزْعٍ وتوْتیرِ

إنَّ السلوَّ لَمَحظورٌ علی کَبِدِی

وما السلوُّ علی قلبٍ بمَحْظُورِ

وهـذه النهـایه جـاءت اسـتکمالاً للحلقه التی بـدأها الشاعر فی مطلع قصـیدته متخـذاً من یوم الطف وواقعته نبراس تأسٍّ بالحسـین وأهل بیته وأصحابه علیهم السلام. لیکون دافعاً قویاً لاستکمال نضاله وتصبره علی ظروفه القاسیه وصولاً إلی مجده التلید.

أمـا طفیته الأخری فقـد نظمها سـنه ۲۸۷ه أی لمـا کان عمره الثامنه والعشـرینَ، وقـد بلغ طولها اثنین وخمسـین بیتاً، وقـد اسـتهلها بمقدمه حکمیه مصرّعه المطلع، بلغ طولها اثنی عشر بیتاً ثمَّ جاء البیت الذی تخلص به إلی غرضه.

وقـد تعرض فی مقـدمته لحتمیه الفناء للإنسان وکل الأشـیاء، وإن الدنیا غدارهٌ بأهلها مع طول الأمل والفناء فیها، والأزهار ذابله لا محاله، والیأس قاتل والأمل مقتول، وقد جرد من نفسه شخصیه وراح یخاطبها بقوله: (۱)

راحلٌ أنتَ، واللیالیْ نُزولُ جج

ومضرٌّ بِكَ البَقاءُ الطويْلُ

لا شُجاعٌ يَبْقى فيعتنق البى

ضَ ولا آمِلٌ ولا مأمُولُ

غايهُ الناسِ فى الزَّمانِ فَناءٌ

وكذا غايَهُ الغُصُونِ الذُبُولُ

إنَّما المرْءُ للمنيَّهِ مخْبو

ءٌ، وللطعْنِ تُسْتَجَمُّ الخُيولُ

منْ مقيلٍ بينَ الضلوعِ إلى طو ج

لِ عَناءٍ، وفى التُّرابِ مقيلُ

١- ديوان الشريف الرضى: ٢/١٨٧.

فهو كالغَيْمِ أَلْقَتْهُ جَنوبٌ

يومَ دجْنٍ، ومزَّقَتهُ قبولُ

عادةٌ للزمانِ فى كلِّ يَوْمٍ

يتناءَى خِلٌّ، وتبكى طُلُولُ

فاليالى عونٌ عليكَ مع البى

نِ، كما ساعَدَ الزوابلَ طولُ

ربما وافقَ الفتى مِنْ زمانٍ

فرحٌ، غيرُهُ به متْبولُ

هىَ دُنيا إنْ واصلَتْ ذا جَفَتْ ه

جج

ذا مَلالًا، كأنها عُطْبولُ

كلُّ باكٍ يُبْكى عليهِ، وإنْ طا

لَ بَقاءٌ، والثاكلُ المَثكولُ

والأَمانىُّ حسْرَةٌ وعَناءٌ ججججج

للذىْ ظنَّ أنَّها تَعْلِيلُ

فى هـذه المقـدمه نلحظ أنّ الشاعر فيها كان أكثر اتزاناً كابحاً انفعالات الشـباب الجامحه، وقوراً ينظر إلى الـدنيا غير ما ينظر إليها المغترُّ بها كما جاء تصـريعه المطلع مناسـباً لطبيعه الشـعور الذى طغى عليه... شـعور المترفِّع العارف بدايات الأمور ونهاياتها. ولا ريب بعـد ذلـك أن تجىء مقـدمه الشـريف نـابضه بالصـدق وحسن التصوير لانفعالاـته تجاه موضوعه إذ عرفنا الظروف القاهره والحوادث المتقلبه التى مرَّ بهـا الشـريف وأسـرته وخرج منها قوياً متماسـكاً ينظر لها بعين الحكيم العارف كنهها وأسـرارها. ومن خاطر الحكيم أن يستعبر بغيره، وما أحسن الاستعبار والتأسى بما أصاب ابن فاطم كنايه عن الحسين عليه السلام من حوادث أليمه قاسيه:(۱)

ما يُبالى الحِمَامُ أينَ ترقّى

بعدما غالتِ ابنَ فاطمَ غولُ

فجاء تخلصه هـذا مسـتحكماً اسـتحكام الموت وقضائه الـذى لا مهربَ منه ولامردَّ لهُ، فخلَّفَ أوقعَ الأثر فى نفس المتلقى وأرهبه من هذه العاقبه الأليمه.

وبعد أن يعرض لما حلَّ بالحسين عليه السلام مظهراً تفجعه وحزنه عليه، طالباً بالثأر ممن قتله، عارضاً قوته وشجاعته، شاهراً سيفه، ورافعاً سنانه فى سبيل النيل من الطغاه الذين يتحكمون بالفضلاء من الناس وهم أوضع الخلق وأحقرهم ليتسلسل إلى

١- ديوان الشريف الرضى: ٢/١٨٨.

خاتمه القصیده بشکل طبیعی وهی فخره بانتسابه إلی أهل البیت وحبِّه لهم:(۱)

صَبَغَ القلبَ حُبُّکمْ صبغهَ الشی

بِ وشیبی، لولا الرَّدی، لا یَحُولُ

أنا مولاکُمُ، وإنْ کنتُ منکمْ

والِدی حیْدَرٌ، وأُمّی البَتُولُ ج

وإذا الناس أدرَکوا غایهَ الفخ

ج

رِ شآهم مَنْ قال َجدّی الرسولُ

ثم یوصل هذا بافتخاره بنفسه وبشعره وحبه لمعالی الأمور:(۲)

یفرحُ الناسُ بی لأننیَ فَضْلٌ

والأنامُ الذی أراهُ فضولُ ججج

فهم بیْنَ مُنْشِدٍ ما أقفی

ه سروراً، وسامعٍ ما أقُولُ

لیتَ شعری، من لا ئمی فی مَقالٍ

ترتضیهِ خواطرٌ وعقولُ

أترکُ الشیءَ عاذری فیه کلَّ ال

ناسِ من أَجْلِ أنْ لحانی عَذولُ

هو سؤْلی إنْ أسْعدَ اللهُ جدِّی

ومعالی الأمورِ للذِّمرِ سُولُ

والشريف الرضى بفخره هذا يحسُّ بعلوه ومكانته المرموقه فى مجتمعه فكيف وجده الرسول ووالده حيدر كنايه عن على بن أبى طالب وأمه البتول كنايه عن فاطمه بنت الرسول عليهم السلام، إنها رموز مقدسه ينحدر منها الشاعر، وتمثل قيماً أخلاقيةً ومعانى إنسانيه نبيله.

أما الطفيه الثالثه والتى نضمها سنه ۲۹۱ه والتى بلغ عدد أبياتها الثمانيه والخمسينَ بيتاً، استهلها بمقدمه طلليه مصرَّعه المطلع بلغت خمسه عشر بيتاً تضمنت مناداه المنازل وسكب الدموع فيها، وتبع ذلك تذكر منازل الأحبه، وأماكن تواجدهم، ومرابط خيلهم، وآثار الرماد....:(۳)

هذى المَنازِلُ بالغَميمِ، فنادِها

واسكُبْ سَخيَّ العَيْنِ بَعْدَ جَمادِها

إنْ كانَ دَيْنٌ للمُعالِمِ، فاقضِهِ

أوْ مُهْجَةٌ عِنْدَ الطُّلُولِ ففادِها

۱- م. ن: ۱۹۰.

۲- م. ن. شآهم: سبقهم. الذمر: الشجاع. سول: كثير السؤال.

۳- ديوان الشريف الرضى: ۱/۳۶۰ -۳۶۱.

يا هَلْ تَبُلُّ مِنَ الغَلِيْلِ إلَيْهِمُ،

إشْرافَةٌ للرّكْبِ فَوْقَ نِجادِها

نُؤْيٌ كمُنْعَطِفِ الحَنيَّهِ دُونَهُ

سُحْمُ الخُدودِ لهنَّ إرْثُ رمادِها

ومَناطُ أطْنابٍ وَمَقْعَدُ فِتْيَهٍ

تَخْبُو زِنادُ الحَيِّ غَيْرَ زِنادِها

ومَجَرُّ أرْسانِ الجِيادِ لغلْمَهٍ

سَجَفوا البُيُوتَ بشُقرِها ووِرَادِها

ثمَّ يذكر حبسه لعصابهٍ كانت متلهفهً لتلكَ الديارِ وهى على هذه الحاله فلم يستطيعوا أنْ يغادروها حتى كأن قوائم مطيِّهم متركزه فى الأرض كالأوتاد، ولكنهم برغم ذلك انثنوا عنها وكان سلوهم البكاءَ والشجنَ. ثمَّ يخبرنا الشاعر أنَّ هذه العصابه متقلده لحمائل سيوفها وإن دمعها عزيزٌ عليها لا ينزلُ إلا لأسباب عظيمه:(١)

ولقَدْ حَبَسْتُ على الدِّيارِ عِصابَهً

مَضْمومَهَ الأيدى إلى أكْبادِها

حَسْرَى تَجاوَبُ بالبُكاءِ عُيُونُها

وتَعَطّ بالزَّفَراتِ فى أبْرادِها

وقفُوا بها حتّى كأنَّ مطِيَّهُمْ

كانتْ قوائِمُهُنَّ مِنْ أوْتادِها

ثمَّ انثنَتْ، والدَّمعُ ماءُ مَزَادِها

ولواعِجُ الأشْجانِ مِنْ أزْوادها

مِنْ كُلِّ مُشْتَمِلٍ حمايِلَ رَنَّهٍ

قَطْرُ المَدامِعِ مِنْ حُلىّ نِجادِها

ثمَّ يدعو الشاعر بتحيه للطلل وصاحبه من ديمةٍ تشفى السقيم إذا هطلتْ:(٢)

حيّتكَ بلْ حَيَّتْ طُلُولكَ ديمةٌ

يشفى سَقِيمَ الربعِ نفثُ عهادها ج

وغدتْ عليك من الخمائل يِمنةً

تستامُ نافِقَةً على رُوَّادِها

ثمَّ يتساءلُ الشاعرُ مستنكراً عن ماذا تطلبون من النواظر غير العبرات والسهاد على ما حلَّ بتلك الديار، ثمَّ ينفى وجود الدمع ونزوله، إنْ العينَ جامده وجافله على ما حلَّ بكم:(٣)

هل تطلبُونَ مِنَ النوَاظِرِ بعدَكُمْ

شيئاً، سِوى عبراتِها وسُهادِها ججج

١- م. ن: ١/٣٦١.

٢- م. ن.

٣- م. ن.

لمْ يَبْقَ ذُخْرٌ للمدامِعِ عنكُمُ

كلا، ولا عَيْنٌ جَرى لرُقادِها

ثمَّ يجيئ بيتُ التخلصِ متناسقاً مع ما ابتدأ به الشاعر ووصل إليه فيخبر فيه أن الدموع متشاغله بأمر أكبر من بكاء الديار إنها مشغوله لبكاء فاطمه على أولادها:(۱)

شَغَلَ الدُّمُوعَ عنِ الدِيارِ بكاؤُنا ج

لِبُكاءِ فاطمهٍ على أولادِها

وهنا يربط الشاعر بين موضوع متصور على وجه الحقيقه، وهو بكاء فاطمه على أولادها الذين سقطوا في معركه الطف، وحلَّ ما حلَّ ببناتها من بعد ذلك، وبين بكاء الديار وأطلالها.

إن الشاعر عندما يقف على الأطلال وهو في قمه الحضاره العربيه في العصر العباسى نقول إنه يستوحى النمط القديم من القصيده ويتمثله ويوظفه في قصيدته وكأنما هو فعلاً قد وقف على الطلل، وحينما يتخيل الشاعر أنَّ فاطمه عليها السلام تبكى على أولادها إنما هو أيضاً يستوحى الحاله التى عليها فيما لو كانت موجوده على قيد الحياه.

إنَّ هذا الاستحضار يوقع في قلب المتلقى ويثير عواطفه ويحرك دموعه ولعل الشاعر بفعله هذا يواسى فاطمه عليها السلام بكاءها ونحيبها على أولادها، أملاً بشفاعتها يوم القيامه.

وإذا كان الشريف الرضى متميزاً على رأى أحد الباحثين "بنظرته الجديده المتميزه إلى الطلل، فهو بيت مهجور، أو زمن متصرم أو امرأه معرضه أو شباب مولٍّ أو أمل ضائع"(۲) فإننا نضيف إلى ذلك أرضاً مقدسه وقف بها الرضى وأناخ بها وتذكر ما جرى عليها وبكى على من سقطوا بها، وتحسَّر على مجده المضاع فيها.

۱- م. ن.

۲- بناء القصيده عند الشريف الرضى: ۳۰۴، د. عناد غزوان. ضمن كتاب الشريف الرضى دراسات في ذكراه الألفيه.

ومهما يكن من أمر فالباحث يرى أن وقفه الشريف الطلليه لتوحى ببعدٍ ما خاصه وأنه قد ربطها بواقعه الطف، فالشاعر كان منطلقاً من بـدء القصـيده من أن أرض الطف هى الطلل الذى ناداه، وما المنازل التى استحضـرها إلا منازل الحسـين وأهل بيته فى أرض الطف ومـا العصـابه التى راح يتكلم عنهـا إلاـ أنصـار الحسـين وشـيعه أبيه الطالبين بثأره، إنَّ هـذا الأمر يعضـده ما جاء قبيل نهايه القصيده نفسها التى عاد الشاعر فيها إلى الوقوف بالطلل من جديد وحدده بالطف: (۱)

قِفْ بى، ولوْ لَوْثَ الإزارِ، فإنَّما

هىَ مهجَهٌ عَلِقَ الجوى بفؤادِها

بالطَّفِ حيثُ غدا مُراقُ دمائِها

ومُناخُ أينقها ليومِ جلادِها

القفرُ مِنْ أوْراقِها، والطيْرُ منْ

طُرَّاقُها، والوحشُ مِنْ عُوَّادِها

تجرى لها حَبَبُ الدُّمُوعِ، وإنَّما

حَبُّ القُلُوبِ يكنّ من أمْدادِها

يا يَوْمَ عاشُوراءَ كَمْ لكَ لَوْعَهً

تتَرَقّصُ الأحْشاءُ مِنْ إيقادِها

ما عُدْتَ إلا عادَ قَلْبى غلّهٌ

حرّى، ولَوْ بالَغْتُ فى إبْرادِها

مثْلُ السَّليمِ مَضيضَهٌ آناؤُهُ

خُزْرُ العيونِ تَعُودُهُ بِعِدادِها

لقـد طوّع الشـاعر الموروث الشـعرى القـديم ليصوغ بنيه جديـده وطللاً جديـداً هو أسـمى وأعمق من طلل الجاهلى الـذى وقف وبكى واسـتبكى وسأل الطلل ولم يجبه. فطلل الشـرف الرضـى طلل الروح الساميه إلى خالقها والمترفعه عن مباهـج الدنيا الفانيه، وهو بعد ذلك ينطلق من تجربه شعوريه صادقه نابضه بالحياه، مفعمه بالحبِّ المثالى كما هو متجلٍ فى طفياته.

ثمَّ يتسلسل الشاعر إلى ختام قصيدته وذلك بنداء جدِّه الحسين عليه السلام كما فعل فى طفيته (صاحت بذودى بغداد) إلا أنه يسترسل فى وصفه لأهل البيت عليهم السلام، موضحاً أنَّ نظمه هو ثناءٌ لا يبلغ درجتهم الساميه، ولكنه برغم ذلك يختمها بقوله:

١- ديوان الشريف الرضى: ١/٣۶٣.

أغنى طلُوعُ الشمْسِ عنْ أوْصافِها

بجلالها وضِيائها وبَعادِها

فقد وجد فى الشمس ضالته فى مبلغ وصفه لأهل البيت دون أشياء أخرى عرَّجَ فى وصفها قبل نهايته هذه.

أما الطفيه الرابعه والتى نظمها سنه ۳۹۵ه، وقد بلغت ستةً وعشرينَ بيتاً بدأها بمقدمه ذاتيه حزينه، وقد جرَّد من نفسه شخصيه مهمومه شاكيه تقلبها بالرمل أيدى أحبتها وقد راح يرعى نجوم الليل وطرفه موزع بين النجم والدمع، وما تغمض إلا ليعاودها خيال أحبتها البعداء وكانت أيضاً مصرعه المطلع:(۱)

وراءَكَ عَنْ شاكٍ قليلِ العَوائدِ،

تُقَلِّبُهُ بالرَّمْلِ أيدى الأباعِدِ ج

يُراعى نُجُومَ الليْلِ والهَمَّ، كُلَّما

مضَى صادِرٌ عنّى بآخَرَ وَارِدِ ج

توَزَّعَ بَيْنَ النَّجْمِ والدَّمْعِ طَرْفُهُ

بِمَطْروفَةٍ إنْسانُها غيرُ راقِدِ ج

ومَا يَطّبيها الغُمْضُ إلا لأنهُ

طَريقٌ إلى طَيْفِ الخَيالِ المُعاوِدِ

ثمَّ يذكر الشاعر أحبته وإن ذكره لهم ذكر الصبا بعد عهده، وإنه متعلق بالمنى والمواعيد، ثمَّ يصف نظرته إلى دارهم وقد حلَّتْ بها كثبان الرمل المتطاوله ويخبرنا أنّ شوقه القديم لم ينقص لها وإن دمعه عليها ليس يجمد، وهو إلى جانب ذلك له كبد مقروحه مسقومه:(۲)

ذكرْتُكُمْ ذِكْرَ الصِّبا بعد عهْدِهِ،

قَضى وَطَراً منّى وَلَيسَ بِعائِدِ

إذا جانَبُونى جانباً مِنْ وِصالِهِمْ

عَلِقْتُ بِأطْرافِ المُنى والمَوَاعِدِ

فيا نَظْرَةً لا تنْظُرُ العَيْنُ أُخْتَها

إلى الدّارِ مِنْ رَمْلِ اللِّوى المُتَقاوِدِ

هىَ الدّارُ لا شَوْقى القَديْمُ بِناقِصٍ

إلَيْها، ولا دَمْعى عليها بجامِدِ

وَلى كَبِدٌ مَقْروحَهٌ لَوْ أضاعَها

مِنَ السُّقْمِ غيرى ما بَغاها بناشِدِ

١- ديوان الشريف الرضى: ١/٣٦٤ — ٣٦٥. مطروفه: العين التى تدمع.

٢- م. ن: ١/٣٦٥.

ثمَّ يتساءل مستنكراً بقوله: (۱)

أما فارقَ الأحْبابَ قَبْلِى مُفارِقٌ

ولا شَيَّعَ الأضْعانَ مثْلى بواجِدِ

ولكن داءَ الهمِّ قد عاوده ولم يزل بقلبه حتى عاد منه عائدٌ فمهد بذلك للتخلص لموضوعه الرئيس (۲):

تأوبُنى داءٌ مِنْ الهمِّ لمْ يَزَلْ

بِقَلْبىَ حتى عادَنىْ منْهُ عائدِى

تذكَّرْتُ يومَ السِبْطِ مِنْ آل هاشِمٍ

وما يَوْمُنا مِنْ آلِ حَرْبٍ بِواحِدِ

والملاحظ على هـذه المقدمه أنَّ الشاعر قد سيطر عليه شـعورٌ بعدمِ الارتياح، ولعله كان مرهقاً بسـبب مسؤولياته الكثيره فى نقابه الطالبيين(۳)، فانعكس ذلک على بنيه القصـيده بانتقال الضـمير من المخاطب الغائب إلى المتكلم الحاضر، ثم العوده إلى الغائب ثمَّ العوده إلى المتكلم الحاضـر، ثمَّ هـذا التنقل فى الموضوعات وكأنها متفرقه غير متلاحمه، على عكس ما وجدناه فى مقدمات الطفيات المتقدمه. ثم إنّ ختام هذه الطفيه جاء غير مريح للمتلقى وكأنَّ الشاعر أراد أنْ يتخلص منها وقد نفد انثياله الشـعرى على غير عـادته فكـان قصـيراً مقـارنهً بقصائـده الطفيه الأـخرى. ثمَّ أنَّ معـالجه الموضوع لم تكن كما فى طفياته الأخرى، فقـد اقتصـر الشاعر على ثلاثه أبيات من ضمنها بيت التخلص، ثم أخذ يندد بظلم الأمويين والعباسيين لأهل البيت إلى أن يختمها بقوله:(۴)

كذبتُکَ، إنْ نازَعْتَنى الحقَّ ظالماً

إذا قلتُ يَوْماً إننى غيرُ واجِدِ

ولعل هذا التنقل متأتٍ من تأثره بالأسـلوب القرآنى الذى تشيع فيه هذه الظاهره لذا احتفظ الشريف الرضى بمقومات البناء الفنى لهذه الطفيه من مقدمه وحسن تخلص وخاتمه.

۱- م. ن.

۲- م. ن.

۳- ينظر: فى الأدب العباسى: ۴۱۲، ۴۱۳.

۴- ديوان الشريف الرضى: ۱/ ۳۶۶.

أما الطفيه الخامسه فقد نظمها فى أخريات حياته، وهى أشهر وأطول طفياته، إذ بلغت اثنين وستين بيتاً، جاء مطلعها مصرّعاً: (۱)

كَرْبلا لا زِلْتِ كَرْباً وبلا

كَمْ لَقِى عنْدَكِ آلُ المُصْطَفى

وكثيراً ما كان الشاعر يلجأ إلى التصريع الداخلى أو ما يعرف ب(تجديد المطلع)(۲) فيها وذلك ليشد المستمع لما يطرحه، ويزيد من انتباهه مع تمدد القصيده بشكل واضح.

وهو والحاله هذه أشبه بمحطات استراحه ينطلق عقب كل محطه إلى مسافه شعوريه انفعاليه جديده. وهو إلى جانب ذلك استعمل مختلف الأساليب التركيبه والبيانيه والإيقاعيه مما يجعلها نشيداً مترددًا على طول الدهر، فلا زالت تقرأ هذه القصيده، فتثير مشاعر الحزن، وتستفز مكامن الدمع.

وقد بدأها الشاعر بنداء محذوف موجه إلى كربلاء المكان الذى حدثت فيه واقعه الطف، ثمَّ يسترسل عبر هذه النافذه ليسرد ما وقع فيها من حوادث قتل وسبى وانتهاک حرمات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذى لم يرعوا له رعياً ولم يوفوا له عهداً، ويصوره الشاعر غاضباً أشد الغضب لفعلتهم النكراء شاكياً إلى الله تعالى ما صنعوه بأهل بيته الكرام. ثم يختمها بقوله على لسان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو يخاطب الله سبحانه وتعالى:(۳)

ربِّ إنّى اليَوْمَ خَصْمٌ لهُمُ

جِئْتُ مظْلُوماً وذا يَوْمُ القَضا

إنها خاتمه حزينه يسلم بها المحزون ألمه وحزنه وشكواه إلى رب العالمين ليخفف عنه ما حلَّ به ويأخذ بيده، وينتقم من أعدائه ويحاسبهم على ما فعلوه.

۱- م. ن: ۱/۴۴.

۲- بناء القصيده: ۳۷۵.

۳- ديوان الشريف الرضى: ۱/۴۸.

المبحث الثانی: البنیه الموضوعیّه للطفّیّات

الموضوع بالنسبه للشاعر غیر منفصل عن هیکله الخارجی ولاعن بنائه الداخلی وهذا أمرٌ مفروغٌ منه، وحین متابعه الموضوع فی الطفیات نجده قد دار علی ثلاثه محاور رئیسه، فالأول مثّل الحسین علیه السلام ومصرعه فی أرض الطف وما مثّل من قیم دینیه وخلقیه مقدسه، وما أضفی علیه الشاعر من وصف لشجاعته وکرمه وظمئه، وهذا المحور فی الغالب ما یبدأ به الشاعر بعد بیت التخلص أو به. لذا رصد الباحث خلال هذا المحور مداخل الشاعر لموضوعه وکیفیه سلوکه به.

وتفرعت من هذا المحور محاور فرعیه متعلقه به ومستکمله وهی محور السبایا ورحله الأسر، ومحور الدعاء بالسقیا لأرض الحسین علیه السلام.

أما المحور الرئیس الثانی، فقد تمثّل بقَتَلَهِ الحسین علیه السلام، إذ عرض الشاعر لظلمهم لأهل البیت علیهم السلام، ومجانبتهم وصایا الرسول صلی الله علیه وآله وسلم وقتلهم وسبیهم لأولاده وبناته.

وقد تفرع من هذا المحور محورٌ مهم دار حول الرسول صلی الله علیه وآله وسلم بوصفه نبی هذه الأمه ورسولها المنتجب الذی اصفحوا عن وصایاه ونقضوا عهده،

وقتلوا ابن بنته وسبوا بناته وعياله بصوره غير انسانيه.

أما المحور الرئيس الثالث فقد مثل الشاعر بكل أفراحه وآلامه وصبره وفخره وغضبه وتهديده بالثأر من قتله الحسين عليه السلام، وكـان هـذا المحور متواشـجاً كليّاً مع المحورين السـابقين، فلم يفرده البـاحث بـل عمـد على مجـاراه الشـاعر فى انفعاله بحسـب المواقف التى طرحها المحوران السابقان.

فعلى صـعيد المحور الأول قد اتخذ الشـريف الرضـى طرقاً للدخول إلى موضوع طفياته أهمها التذكير بيوم استشهاد الحسين عليه السـلام وهو يوم عاشوراء، ثم يأخـذ بالتحـدث عما جرى فيه، فكأنَّ ذكر اليوم هو الشـراره التى توقض أو تشـغل انفعالات الشاعر ومشاعره لتكون مدخلًا أو نافذه للتنفيس عن ألمه وحزنه، فتراه يقول: (۱)

فقُلْتُ: هَيْهاتَ فاتَ السَّمْعُ لائِمَهُ

لا يُفْهَمُ الحُزْنُ إلّا يومَ عاشورِ

يَوْمٌ حَدا الظَّعْنَ فيه لابنِ فاطِمَهٍ

سِنانُ مُطَّرِدِ الكَعْبَيْنِ مَطْرورِ

وَخَرَّ للمَوْتِ لا كَفٌّ تُقَلِّبُهُ

إلا بِوَطْءٍ مِنَ الجُرْدِ المَحاضِيرِ

ظَمْآنَ سَلّى نجيعُ الطّعنِ غُلّتَهُ

عَنْ باردٍ من عُبابِ الماءِ مَقْرورِ

كأنَّ بيضَ المَواضِى، وَهىَ تنْهَبُهُ!

نارٌ تَحَكّمُ فى جِسْمٍ مِنَ النّورِ

للهِ مُلْقًى على الرَّمْضاءِ عضَّ بِهِ

فمُ الرَّدى بَيْنَ إقْدامٍ وتَشْمِيرِ

تَحْنو عليْهِ الرُّبى ظلّا، وتَسْتُرُه

عَنِ النّواظِرِ أذيالُ الأعاصِيرِ

تَهابُهُ الوَحْشُ أنْ تَدْنُوا لمَصْرَعِهِ

وَقَدْ أقامَ ثلاثاً غيرَ مَقْبُورِ

لقد صور الشريف الرضی مصرع الحسین علیه السلام بصوره مباشره، تارکاً تفاصیل نزوله وظعنه وأصحابه أرض کربلاء، والقصه الطویله للمعرکه غیر المتکافئه بینه وبین أعدائه، مهتماً بلحظه وقوعه ووطء الخیول له وظمئه الذی سلی غلیله طعن المدی المتکاثف، وهو والحاله هذه یشبِّهُهُ الشاعر بجسم من النور تحکمت فیه النار،

۱- دیوان الشریف الرضی: ۱/۴۸۸.

وترى الشاعر يتأوه على ذلك الملقى على الرمضاء وقد عضَّ فم الردى عليه، وما كانت الا الربى تحنو عليه ظلًا، وتستره عن النواظر الرمالُ المتطايره التى ألمح إليها الشاعر بقوله (أذيال الأعاصير)، ولم تكن الوحوش العاتيه من الجرأه حتى تدنو من مصرع هذا النور المهاب الذى بقى ثلاثه أيام لم يدفن أو لم يوار فيكون له قبر.

ونجد الشاعر فى طفيه أخرى يدخل إلى موضوعه من المدخل نفسه وذلك فى قوله: (۱)

أيُّ يوْمٍ أدْمى المدامِعَ فيهِ

حادِثٌ رائعٌ وخطبٌ جليلُ

يومُ عاشوراءَ الذى لا أعانَ الصْ

صَحْبَ فيهِ ولا أجارَ القبيلُ

ولكنه يذهب لغير ما ذهب إليه فى الطفيه المتقدمه، فهو بعد هذين البيتين يذكر وفاء الحسين عليه السلام لعهد الله الذى عاهده، ويذكر عدم إطاعه قتلته النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيه بعدما أوصى بأهل بيته وهو منهم ولكنهم طلبوا الثارات القديمه منه، وحاربوه بأعذار غير مقبوله وراحوا يجلبون الحرب عليه:(۲)

يا بْنَ بِنْتِ الرسُولِ ضيَّعَتِ العَه

ْدَ رجالٌ، والحافِظَونَ قليلُ

ما أَطاعُوا النبيَّ فيكَ، وقَدْ ما

لَتْ بأَرْماحِهِمْ إليكَ الذُّحُولُ

وأحالُوا على المقادِيرِ فى حَر

جج

ْبِكَ لَوْ أنَّ عُذْرَهُمْ مَقْبُولُ

واسْتَقالوا منْ بعدِ ما أَجْلبوافى

جج

ها أالآنَ أيُّها المستَقِيْلُ

إنَّ أمْراً قّنَّعْتَ مِنْ دُونِهِ السى

فَ لمنْ حازَهُ لمرعىً وَبِيْلُ ج

ثمَّ يصف الشاعر شجاعه الحسين عليه السلام وبطولته الفائقه وخصاله الكريمه بوصف بديع:

يا حُساماً فَلَّتْ مضارِبُه ال

ج

هامَ وقد فلَّهُ الحسامُ الصقيلُ

١- م. ن: ٢/١٨٨.

٢- م. ن. الذحول: الثارات.

يا جَواداً أدْمى الجَوادَ مِنْ الطَّعْ

نِ وولّى ونَحْرُهُ مبْلُولُ

حَجَلَ الخيْلُ مِنْ دِماءِ الأعادى

يَوْمَ يبْدو طَعْنٌ وتَخْفى حُجُولُ

وبعد ذلك يستنكر الشاعر على نفسه فيقول: (١)

أترانى أُعِيْرُ وَجْهىَ صَوْناً

وعلى وَجْهِهِ تَجُولُ الخُيُولُ

أترانى ألذُّ ماءً، ولمّا

يروَ مِنْ مُهْجهِ الإمامِ الغَلِيْلُ

قبلتْهُ الرِّماحُ وانتَضَلَتْ فى

هِ المنايا وعانَقَتْهُ النُصُولُ

وأنت تقرأ هذه الأبيات أو تسمعها لتسمع بكاء الشاعر المفجع ونحيبه لمصرع الحسين عليه السلام وقد راح يواسيه بهذا الاستفهام المؤلم الذى يذكِّر بأفضع اللحظات على قلب الحسين عليه السلام وآلمها عليه. فجاء تعبيره مفعماً بالشعور الصادق المعبر، والإحساس النابض الحى عن تلك اللحظات الأليمه.

ونجد الشريف الرضىُّ - أيضاً - قد استعمل الدخول نفسه فى طفيته الأخرى فتراه يقول:(٢)

تذكرتُ يَوْ مَ السِبْطِ مِنْ آلِ هاشمٍ

وما يوْمُنا مِنْ آلِ حرْبٍ بواحدِ

وظام يُريْغُ الماءَ قدْ حِيلَ دُوْنَهُ

سقَوْهُ ذباباتِ الرِّقاقِ البواردِ

أتاحُو لَهُ مُرَّ المَواردِ بالقنا

على ما أباحُوا مِنْ عِذابِ الموارِدِ

فهو يـذكر ظمأ الحسـين عليه السـلام وقد حيل بينه وبين الماء، وقام القوم بسـقياه ولكن بذبابات السـيوف القواطع، وأتاحوا له مرَّ الموارد بالرماح بعدما أباحوا لأنفسهم دونه عذب الموارد.

أما الطفيتان الأخريتان ففى إحـداهما سـلك الشـريف الرضـى طريق الـدخول إلى موضوعه بتشاغل عينه عن الديار وأهلها لبكاء فاطمه على أولادها، إذ أنهم لم يخلفوها

١- م. ن.

٢- م. ن: ١/٣٦٥.

فی الشهید إشاره إلی الحسین علیه السلام الذی رأی حقَّه وقد مثله الشاعر ب(دُفَع الفرات) یمنع أو یذاد عن وروده لیندفع الشاعر للتعریض ببنی أمیه وجذور العداوه لأهل البیت – کما سنتناوله لاحقاً – قال الشریف الرضی:(۱)

شَغَلَ الدموعَ عنِ الّدیارِ بُکاؤنا

لبُکَاءِ فاطِمهٍ علی أوْلادِها ج

لمْ یَخْلِفُوها فی الشَّهیْدِ وقَدْ رَأی

دُفْعَ الفُراتِ یُذادُ عن أورادِها

أتَری دَرَتْ أنَّ الحُسیْنَ طَرِیدَهٌ

لقنا بَنی الطّرْداءِ عندَ وِلادِها

إنَّ هذا الاستثمار لاسم فاطمه علیها السلام الذی عمله الشاعر کان یومی من خلاله أنّ ظلامه فاطمه علیها السلام وغصب حقها فی میراث أبیها وما جری علیها من مأساه(۲) کان ممتدّاً ومتواصلاً مع ما ألحق بالحسین علیه السلام من ظلم وقتل فیزید الشاعر من ألم الفجیعه ونارها کیما یحرق القلوب قبل العیون.

وقبل ختام القصیده یلجأ الشاعر إلی مناداه یوم عاشوراء بغصه ولوعه تترقص الأحشاء من إیقادها: (۳)

یا یَوْمَ عاشوراءَ کمْ لکَ لوْعَهً

تترقَّصُ الأحشاءُ مِنْ إیقادِهَا جج

ما عُدْتَ إلا عادَ قَلْبی غلّهٌ

حرّی، ولَوْ بالغْتُ فی إبْرادِها

مِثْلُ السَّلیمِ مَضیضَهٌ آناؤُهُ،

خُزْرُ العُیُونِ تَعُودُهُ بَعِدادِها

إنَّ هذا الیوم –یوم عاشوراء – مثل للشاعر منعطفاً مهماً فی تأریخ الإسلام والشیعه بوجه خاص –فهو لیس یوماً قتل فیه الحسین علیه السلام ونفرٌ من أهل بیته وأصحابه فحسب وإنما کان دلیلاً دامغاً علی فساد بنی أمیه وظلمهم لأهل بیت النبوه، ومجافاتهم لوصایا الرسول صلی الله علیه وآله وسلم فیهم، وتوّجوا ظلمهم بقتل الحسین علیه السلام ومن معه ولم یراعوا حرمه نسائه وعیاله

بل سبوهن وساقوهن

١- م.ن: ١/٣٦١ – ٣٦٢.دفع الفرات: الواحده دفعه ويعنى دفقه المطر.

٢- يُنظر: تذكره الخواص: ٣١٧ – ٣٢٨.

٣- ديوان الشريف الرضى: ١/ ٣٦٤.

سوق الإماء. فكان هذا اليوم يوم ظلامه الشيعه الذين راحوا يستمدون قوتهم وصبرهم وتصديهم من ذلك اليوم الرهيب مستلهمين فيه قوه الحسين عليه السلام وصبره وتصديه لاعدائه. وإنَّ الأحداث السياسيه التى كان يعيشها الشريف الرضى فى زمن العباسيين لم تكن بأحسن حال من أيام الأمويين بل كانت أشدَّ سوءاً، فالظلامه ازدادت بازدياد القتل والتنكيل والتشريد بأئمه الشيعه وأعوانهم المخلصين وهذا ما نلحظه فى طفياته.

أما الطفيه الأخيره والتى لم تحوِ مقدمه ما إذ باشر الشاعر فيها غرضه وصافحه مصافحه، بدأ موضوعه بنداء محذوف موجه إلى كربلاء: (۱)

كربلا لا زِلْتِ كرْباً وبلا

كَمْ لقى عندَكِ آلُ المصْطَفى

إنّ هذه الكلمات القليله البسيطه تتجدد فى كل حين بتجدد الذكرى الأليمه فى كل عام.

وبعد هذا النداء المحذوف والسؤال الاستنكارى الصارخ يسترسل الشاعر فى عرض ما حدث فى أرض كربلاء ليثبت للسامع أنها أرض كرب وبلاء:(۲)

كَمْ على تُرْبِكِ لمّا صُرِّعوا

مِنْ دَمٍ سالَ ومِنْ دمْعٍ جَرى

كَمْ حَصانِ الذَّيلِ يَرْوِى دَمعُها

خَدَّهاعنْدَ قَتيلٍ بالظّما

تَمْسَحُ التُّرْبَ على إعْجالِها

عَنْ طُلى نَحْرٍ رَميلٍ بالدّما

وَضُيوفٍ لفَلاهٍ قَفْرَهٍ

نَزَلُوا فِيْها على غَيْرِ قِرَى

لمْ يَذوقوا الماءَ حتَّى اجْتَمَعوا

بِحدى السيفِ على وِرْدِ الرَّدى

تَكْسِفُ الشمسُ شُموساً منْهُمُ

لا تُدانيها ضِياءً وَعُلى

وَتَنُوشُ الوَحْشُ مِنْ أجسادِهِمْ

أرْجُلَ السَّبْقِ وَأَيمانَ النّدى

وَوُجُوهاً كالمصابيحِ، فَمِنْ

قَمَرٍ غابَ، ونَجْمٍ قَدْ هَوى

غَيَّرَتْهُنَّ الليالى، وَغَدا

جايِرَ الحُكْمِ عليْهِنَّ البِلى

١- م.ن: ١/٤٤.

٢- م. ن.

والسـامعُ لهـذه الأبيات ليشـهد إيماناً بأنَّ مثل هـذه الأرض قليلٌ لها أن تُوصفَ بالكرْبِ والبلاء إذ حلَّ ما حلَّ بها مِنْ قتل وتنكيل بالحسين عليه السلام وأصحابه الميامين.

وبعـد أن يسترسـل الشـاعر في عرض حـال الحسـين عليه السـلام وأهـل بيته لجـده رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم يخاطب الحسين ويناديه بهذا النداء:(۱)

يا قَتِيْلاً قَوَّضَ الدَّهْرُ بِهِ

عُمُدَ الدِّينِ وأعْلامَ الهُدى جج

قَتَلُوهُ بَعْدَ عِلْمٍ مِنْهُمُ

أنَّه خامِسُ أصْحابِ الكِسا

وَصَرِيعاً عَالَجَ المَوْتَ بِلا

شَدَّ لَحْيَيْنِ وَلا مَدَّ رِدا ج

غَسَلُوهُ بِدَمِ الطَّعْنِ، وَما

كَفَّنُوهُ غيْرَ بَوْغاءِ الثَّرى

مُرْهَقاً يَدْعُو، وَلا غَوْثَ لَهُ

بأبٍ بَرٍّ وَجَدٍّ مُصْطَفى

وبِأُمٍّ رَفَعَ اللهُ لها

عَلَماً ما بينَ نُسْوَانِ الوَرَى

أيُّ جَدٍّ وأبٍ يَدْعُوهُما

جَدّ، يا جَدّ، أغِثنی يا أبا

فهنا يؤكـد الشاعر على منزله الحسين عليه السـلام وما يمثله للـدين، فهو عُمُـد الدين وركن من أركانه، وهو علم بارزٌ مِن أعلام الهـدى، وهو خامس أصـحاب الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً (۲)، ثمَّ يناديه بالصـريع الذی لم يقم أحدٌ

بشدِّ لحييه ويمد عليه الرداء كما يفعل مع كل من حضره الموت، ولكن القوم غسلوه بدم الطعن وتركوه في أرض كفنته بحبات ثراها المتطاير.

ثمَّ يرجع الشاعر إلى اللحظات الحاسمه، لحظات النزع الأخير للحسين عليه السلام فيصوره يدعو جده المصطفى وأباه على بن أبى طالب وأمه فاطمه عليهم السلام كان يدعوهم ليغيثوه وليسارعوا فى جلبه إليهم فى علِّيين حيث الراحه كل الراحه والفوز كل الفوز فى الجنان مع النبيين والشهداء والصالحين.

۱- م. ن: ۱/۴۵، ۴۶.بوغاء الثرى: الأرض الرخوه.

۲- ينظر حديث الكساء فى ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى: ۳۱ – ۳۴.

ولم ینس الشریف الرضی الدعاء بالسقیا لأرض الطفوف التی حوت جسد الحسین علیه السلام ونفر من أهل بیته وأصحابه، وهذا الدعاء من تقالید البادیه والشعر الجاهلی(۱)، ظلَّ ملازماً للشریف الرضی فی کثیر من أشعاره الرثائیه(۲) فتراه یخاطب الحسین علیه السلام ب(یاغریب الدیار) کنایه عن غربه الحسین المکانیه، ویصف أحاسیسه الجیاشه وتمنیاته لو أنه فدی الحسین بروحه، وأضطجع بقبره، ووری بالتراب الذی وری به:(۳)

یا غریبَ الدِّیارِ صبْری غَرِیْبٌ

وقَتِیلَ الأعْداءِ نَوْمی قَتِیلُ

بیْ نِزاعٌ یطغی إلیْکَ وَشَوْقٌ

وَغَرامٌ وزَفرَهٌ وَعَوِیلُ

لیتَ أنی ضجیعُ قبرک لوْ أنْ

نَ ثراه بمدمعی مطْلُولُ

ثمَّ یدعو بالسقیا بصوره روحیه شفافه إذ یقول:

لا أغبَّ الطفوف فی کلِّ یَوْمٍ

من طراقِ الأنواء غیثٌ هَطُولُ

مطرٌ ناعمٌ، وریحُ شمالٍ

ونسیمٌ غضٌّ، وظِلٌّ ظلیلُ جججج

وإذا کان هـذا الدعاء یمثل "دعاء الخیر والبرکه والغیث لقبر المرثی" (۴) کما یمثِّلُ الخیر والبرکه الشامله للأرض التی یحل بها الفقید وتشیر إلی کرمهِ أیضاً (۵) فإن الشریف یشیر بشکل غیر مباشر إلی أن هـذه الأرض ومن حلَّ بها أساس الانطلاقه الصحیحه للحیاه الإنسانیه النبیله، والحیاه الحقَّه الخالیه من الظلم والجور، کما تمثل الثوره ضد الطغاه والمستبدین والظالمین، وهنا تصبح أرض الطف القبس الذی ینیر درب الأحرار للعیش بحریه وسلام.

۱- لغه الشعر بین جیلین: ۲۶.

۲- ینظر علی سبیل المثال لا الحصر دیوان الشریف الرضی: ۱/۲۹، ۳۰، ۱۱۳، ۱۴۵، ۱۵۱.

۳- م.ن: ۲/۱۸۹.

۴- الرثاء فى الشعر الجاهلى وصدر الإسلامِ: ۱۹۶.

۵- م. ن.

ويستكمل الشريف الرضى موضوع مصرع الحسين عليه السلام بذكر سبى نسائه وعياله وأهل بيته على أيد الظالمين. وإذا كان الحسين عليه السلام ابن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فإن أخواته بنات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقد سبين وهذا واضح فى قول الشريف:(۱)

تُسْبى بناتُ رَسُولِ اللهِ بَيْنَهُمْ ج

والدينُ غَضٌّ المبادى غَيْرُ مستورِ

ويصور الشريف وضعهنَّ بصوره تستثير الألم وتستجلب الدمع الغزير فقد اركبوهن على النياق المهزوله، وسُلِبْنَ قناعهن وتنقبن بأناملهن وكانت شكوتهن البكاء ونداؤهن العويل، وكنَّ تحتَ رحمه الحادى اللئيم بعد ما كنَّ معززات محشومات مكرمات محجوبات عن العيون:(۲)

والسبايا على النَّجائِبِ تُسْتا

قُ وقد نالَتِ الجيوبَ الذيولُ

مِنْ قُلُوبٍ يَدْمى لها ناظِرُ الوج

ْدِ ومِنْ أدمُعٍ مَراها الهُمُولُ

قّدْ سَلَبْنَ القِناعَ عَنْ كلِّ وَجْهٍ

فيهِ للصونِ مِنْ قِناعٍ بديلُ

وتَنقَّبْنَ بالأنامِلِ، والدّمْ

عُ عليكلِّ ذى نِقابٍ دليلُ

وتَشاكَيْنَ، والشكاهُ بُكاءٌ

وتَنادَيْنَ، والنِّداءُ عَويلُ

لا يغبُّ الحادى العنيفُ، ولا يف

تُرُ عَنْ رنّهِ العَديلِ العَدِيلُ

إنها صوره رائعه رسمها الشريف الرضى وقد مثلت عمق ألمه وحزنه على بنات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهن يسببن على هذه الحاله المروعه. ولم تغب عن خياله هذه الحاله فرسمها مره أخرى مضيفاً إليها ألماً ولوعه أكبر وأكثر فتراه يقول مخبراً بما فعل آل أميه بذريه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:(٣)

١- ديوان الشريف الرضى: ١/٤٨٨.

٢- م.ن: ٢/ ١٨٨ – ١٨٩.

٣- م.ن: ١/٤٥.سنن الاوجه: دوائره. بهر السعى: انقطاع النفس من الاعياء.

جَزَرُوا جَزْرَ الأضاحى نَسْلَهُ،

ثمَّ ساقوا أهْلَهُ سَوْقَ الإما

مُعْجَلاتٍ لا يُوارِينَ ضُحَى،

سُنَنَ الأوْجُهِ أوْ بِيْضَ الطُّلى جج

هاتِفاتٍ بِرَسُولِ اللهِ فى

بهَرِ السَّعْيِ، وعَثْراتِ الخُطَى

يَوْمَ لا كِسْرَ حِجابٍ مانِعٌ

بِذْلَهَ العَيْنِ ولا ظِلَّ خِبا

أدْرَكَ الكُفْرُ بِهِمْ ثاراتِهِ

وأُزِيْلَ الغَىّ مِنْهُمْ فاشتَفى

إن قتله الحسين عليه السلام لم يراعوا حرمه له، وقد تصرفوا على غير ما أمر به الله والرسول؛ والشريف الرضى بعرضه لهذه القضيه ليؤكد على ظلم آل أميه الذى بلغ مداه ليطول حتى النساء والأطفال الذين ليس لهم أيُّ ذنب أو جرم فلم يكتفوا بقتلهم الحسين بل اسروا نسائه وسبوهنَّ وساقوهنَّ إلى الشام وهنَّ على الحاله التى وصفها الشريف الرضى.

أما المحور الموضوعى الثانى والمسبب للمحور الأول وهو قتله الحسين عليه السلام فقد جعل الشاعر لهم نصيباً كبيراً من ذاكرته مما انعكس على شعره واضحاً، ولربما طغى على موضوع المرثى نفسه. إذ نجده يهدد ويوعد الأمويين ويخبرهم أن الأسياف ليست نائمه وأن الثأر واقع لا محاله:(١)

بنى أميَّهَ ! ما الأسيافُ نائِمَهٌ

عن شاهرفى أقاص الأرض موتور

والبارقاتُ تَلَوّى فى مَغَامِدِها،

والسّابِقاتُ تَمَطّى فى المَضَامير

إنّی لأرْقُبُ یَوْماً لا خَفاءَ لَهُ،

عُرْیانَ یَقْلَقُ مِنهُ کُلُّ مَغْرُورِ

وللصَّوارِمِ ما شاءَتْ مَضارِبُها

مِنَ الرِّقابِ شَرابٌ غیرُ مَنْزُورِ

إنّ الشاعر یهـدد الأمويين باليوم الموعود عنـد الشـیعه اليوم الـذی یظهر فیه صاحب الأمر محمـد المهـدی الإمام الثانی عشـر عند الشیعه، إذ یثأر لجده الحسین علیه السلام ویأخذ بظلامته وظلامه شیعته ممن ظلموهم لحبهم الحسین علیه السلام والسیر

۱- م. ن: ۱/۴۸۹.

على منهاجه. وهذه الفكره يؤكدها الرضى فى موطن آخر فى طفياته، فهى من عقائد الشيعه الاثنى عشريه.(۱)

وفى طفيته الأخرى يخبر الشاعر أنّ ما كان بالعراق مآتمَ كان قبالته فى الشام أعياداً:(۲)

كانَتْ مآتِمُ بالعِراقِ تعدُّها

أمويه بالشامِ مِنْ أَعْيادِها

ثمَّ يذكر الشاعر أنّ بنى أميه لم يراقبوا غضب النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقد أصبح ما جاء به من هدى ورحمه هباءً منثوراً وقد عبَّرَ عنه الشاعر بالزرع الذى قلع وحصد من مكانه، لقد باعوا هداهم بضلالهم وشروا غيهم برشادهم وجعلوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خصماً لهم يوم القيامه، كيف لا وقد سبوا بناته وقتلوا ولده الحسين ورفعوا رأسه على رماحهم:(۳)

ما راقَبَتْ غَضَبَ النبىِّ، وقد غَدا

زرعُ النَّبىِّ مظَنَّهً لحصادها

باعَتْ بصائرَ دِينِها بضلالها

وشرتْ معاطِبَ غيِّها برَشَادِها

جَعَلَتْ رسُولَ اللهِ مِنْ خُصَمائِها

فلبِئْسَ ما ذَخَرَتْ ليومِ معادها

نسلُ النبىِّ على صعابِ مطيِّها

ودمُ النبىِّ على رُؤوسِ صعادِها

ويتحسر الشاعر لهذا الحدث الجليل ويتألم لما حلَّ بالعصبه العلويه من ضيم بعدما كانت تملك العزه والفخار وكانت عصبه أميه فى ذلٍّ ومهانه ووسم الذل على جيادها:(۴)

وا لهْفتاه لعصبهٍ علويهٍ

تَبِعَتْ أميَّهَ بَعْدَ عِزٍّ قيادِها

جعلَتْ عِرانَ الذُّلِّ فى آنافِها

وعِلاطَ وسمِ الضيْمِ فى أجيادِها

١- ينظر: م.ن: ١/٤٧.

٢- م.ن: ١/٣٦٢.

٣- م. ن.

٤- م.ن.العران:عود يجعل فى انف البعير. علاط: حبل يجعل فى عنقه.

ثم يحاجج الأمويين بقتلهم الحسين عليه السلام بقوله:(۱)

زَعِمَتْ بأنَّ الدينَ سوَّغ قتْلَها

أوليسَ هذا الدِّينُ عن أجدادِها

ولكن هـذا المسوغ مفضوح، إذ انَّ الأـمويين طلبوا تراث الجـاهليه وثاراتها من الحسـين عليه السـلام الـذى مثَّل بنى هاشم زعماء مكه وقريش قبل الإسـلام، ولما كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم منهم اشتعلوا غيضاً وحسداً وغيله عليهم خاصةً بعد حروب بدر وأُحد والخندق إذ قتل منهم ساداتهم، فتحينوا الفرص لأخذ الثأر منهم ولذلک أشار الشاعر فى قوله:(۲)

طلبتْ تراثَ الجاهِلِيَّه عندَها

وشفَتْ قدِيمَ الغلِّ مِنْ أحْقادِها

واستأثرتْ بالأمرِ عَنْ غُيَّابِها

وقَضَتْ بما شاءَتْ على شُهّادِها

ثمَّ يخبر الشـاعر الأـمويين أنَّ الله جلَّ وعلا سابقكم إلى أرواح من قتلتم ولكنكم كسـبتم الآثام فى أجسادهم، ويخبرهم أيضاً إنْ هدمتم تلک القباب فإنَّ أعمده الدين قد خرَّتْ قبل عمادها:(۳)

اللهُ سابقكُمْ إلى أرواحِها

وكَسَبْتُمُ الآثامَ فى أجْسادِها جحج

إنْ قُوِّضَتْ تلکَ القُبابُ فإنمَّا

خرتْ عمادُ الدِينِ قَبْلَ عمادِها

إنّ الشاعر يشـير إلى ما فعله المتوكل العباسـى من تهديم قبر الحسين عليه السلام ومنع الزائرين وصوله(۴) وفى هذه الإشاره يرمز الشـاعر إلى امتـداد الظلم والجور الى الحسـين وشيعته حتى بعـد أن قتـل، ومـا بنوالعباس بأفضل أو أحسن من بنى أميه، لـذلک أوضح فكرته بصوره لا لبس فيها بقوله بعد هذين البيتين:(۵)

۱- م.ن.

۲- م.ن.

٣- م.ن.

٤- تاريخ الخلفاء: ٣٤٧.

٥- ديوان الشريف الرضى: ١/٣٦٢.

إنَّ الخِلافَهَ أصْبَحَتْ مزْوِيَّهً

عَنْ شَعْبِها بِبَياضِها وسَوادِها

والسامع يفقه أن الشاعر يعرض بالأمويين بذكر شعارهم الأبيض، وبالعباسيين بذكر شعارهم الأسود وكلاهما قد اغتصب الخلافه مع علمهما بأنَّ الخلافه أحق بها من نصبه النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم يوم غدير خم وهو على بن أبى طالب عليه السلام، والشيعه الاثناعشريه تذهب من بعده إلى ولديه الحسن والحسين ثم التسعه المعصومين من ذريه الحسين عليه السلام وقد ذكرهم الشاعر بأسمائهم فى طفيته (كربلا لا زلت كرباً وبلا)(۱) ويعتقد الشاعر بهم والشيعه بأنهم صفوه الله المختاره لإنقاذ البشريه:(۲)

هىَ صَفْوَهُ اللهِ التى أوحى لها

وقضى أوامِرَهُ إلى أمجادِها

أخَذَتْ بأطْرافِ الفخارِ، فعاذرٌ

أن يصبِحَ الثقَلانِ مِنْ حُسّادِها

الزُّهْدُ والأحلامُ فى فتّاكِها،

والفَتْكُ، لولا اللهُ، فى زُهَّادِها

ثمَّ يذكِّر بشجاعه البيت العلوى بصوره جميله حين يقول:(۳)

عُصَبٌ يُقمطُ بالنجادِ وليدُها

ومهودُ صبيتِها ظهورُ جيادِها

تروى مَناقِبَ فَضْلِها أعْداؤُها

أبَداً، وتُسْنِدُهُ إلى أضْدادِها

ثم يثور الشاعر على هذا الظلم فيصرخ قائلاً:(۴)

يا غيْرَهَ اللهِ اغضَبى لنبيِّهِ

وتزَحْزَحى بالبيْضِ عنْ أغْمادِها

من عُصْبَةٍ ضاعَتْ دماءُ محمَّدٍ

وبَنِيهِ بَيْنَ يزيدِها وَزِيادِها

إنَّ الشاعر ليشـير إلى رموز ظالمه يزيـد وزياد وكأنه يطلقها على كل ظالم عتيـد نصب العداوه لأهل البيت عليهم السـلام، وبعدما يرجع إلى ذكر ظلاماتهم المفجعه

١- ينظر م.ن: ١/٤٧.

٢- م.ن: ١/٣٦٢ – ٣٦٣.

٣- م.ن.

٤- م.ن.

بصوره مؤلمه محزنه:(١)

صَفَداتُ مالِ اللهِ ملءُ أكُفِّها

وأكفُّ آلِ اللهِ فی أصفادِها

ضربوا بسیفِ محمَّدٍ أبناءهُ

ضَرْبَ الغرائِبِ عُدْنَ بعدَ ذیادِها

هكذا یصور الشاعر حزنه على البیت العلوی الذی ینحدر منه ویصیر إلیه، إذ إنَّ هذا الظلم واقع علیه مثلما وقع على أئمته، خاصه وأنَّ مسأله الخلافه كانت تشغل ذهنَهُ فلمْ "تكن مجرد رغبه، أو نزوه أو حلم عابر لشاعر ذی صبوات ورغبات وآمال، بل كانت دعوه علنیه وسریه، شغلت اهتمام الشاعر طوال حیاته، وشغلت العدید من الأتباع والمؤیدین"(٢) لذلك كان إحساسه صادقاً قویاً منفعلاً ملؤه الإهاب والثوره، ونجده یشیر إلى هذه المعانی فی طفیه أخرى إذ یقول:(٣)

رَمَوْنا كما تُرْمى الظِماءُ عن الروا

یذودُونَنا عَنْ إرْثِ جدٍّ ووَالدِ

ثم یخبر أنّ الله على ما أصابنا مطلع ولیس براقد وإن كان نصَّارنا راقدین:

لئِنْ رقَدَ النُّصّارُ عما أصابَنا

فما اللهُ عمَّا نِیلَ منَّا براقِدِ

لقدْ عَلَقوها بالنبیِّ خصومهً

إلى اللهِ تُغْنی عنْ یَمِیْنٍ وشاهِدِ

ثم یقرر أن الظلم وسلب الحق ممتدٌّ من الأولین ویعنی بهم الأمویین إلى الآخرین ویعنی بهم العباسیین:

ألا لیْسَ فعلُ الأوَّلینَ وإنْ علا

على قبح فِعْلِ الآخرینَ بزائِدِ

یُریدُونَ أنْ نَرْضی وَقَدْ مَنعُوا الرضی

لسير بَنى أعْمامِنا غيرُ قاصِدِ ج

كذبتك، إن نازعتنى الحقَّ ظالِماً

إذا قلْتُ يوماً إنَّنى غيرُ واجِدِ

إنَّ إحساس الشاعر بذلك الأسى والظلم الواقع على أئمته جعله حانقاً غضبانًا،

١- م.ن: ١/٣٦٣.

٢- الاغتراب فى حياه وشعر الشريف الرضى: ٦٨.

٣- ديوان الشريف الرضى: ١/ ٣٦٥ – ٣٦٦.

متسائلاً شاكيا، متعجباً من همه وحزنه فتراه يقول:(۱)

أكُلَّ يَوْمٍ لآلِ المَصطَفى قمَرٌ

يَهْوى بِوَقْعِ العَوالى والمَباتيرِ جج

وَكلَّ يَوْمٍ لَهُمْ بَيْضاءُ ضافيَهٌ

يَشُوبُها الدَّهْرُ مِنْ رَنْقٍ وتَكْدِيرِ

مِغْوارُ قَوْمٍ، يرُوعُ الموتُ مِنْ يَدِهِ

أمْسى وأصْبَحَ نَهْباً للمَغاوِيرِ

وأبيضُ الوَجْهِ مَشْهورٌ تَغَطْرُفُهُ

مَضى بِيَوْمٍ مِنَ الأيامِ مَشْهورِ

مالى تَعَجَّبْتُ مِنْ همِّى وَنَفْرَتِهِ،

والحُزْنُ جُرْحٌ بِقَلْبى غَيرُ مَسْبُورِ

بأىِّ طَرْفٍ أرى العَلْياءَ إنْ نَضَبَتْ

عَيْنى، وَلَجْلَجْتُ عَنْها بالمَعاذِيرِ

ألقى الزَّمان بِكَلْمٍ غَيْرِ مُنْدَمِلٍ

عُمرَ الزَّمانِ، وَقَلْبٍ غيرِ مَسْرورِ جج

ولكن على الرغم من الأسى والحزن من النهايات المفجعه لأئمته لم تجعله يشعر بالاستسلام واليأس والقنوط بل جعلته أكثر تماسكاً وقوه وهو يسير على خطاهم يتأهب كل التأهب ويعد العده لأخذ الثأر من أعدائهم، فهو ناقم أشدّ النقمه على الطغاه، فتراه يقول مخاطباً بنى أحمد كنايه عن أحفاد نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم من ابنته الطاهره فاطمه الزهراء عليها السلام: (۲)

يا بَنى أحمَدَ إلى كمْ سِنانى

غائبٌ عنْ طعانِهِ مَمْطُولُ

وجِيادى مرْبُوطَهُ والمطايا

ومَقامى يروعُ عَنْهُ الدَّخيلُ

كمْ إلى كمْ تَعْلُو الطغاه وكمْ يَحْ

كُمُ فى كلِّ فاضِلٍ مفْضُولُ

قد أذاع الغليلُ قلبى وَلكِنْ

غيرُ بدعٍ إن استطبَّ العليلُ

إنهـا أسـئله غاضـبه حانقه على الأوضاع السياسـيه وما يلقاه الشاعر من مضايقات، ويسـتمر الشاعر فى نفث أحاسـيسه الجياشه لهباً يوقد الثوره ليستحصل الثأر من قتله الحسينِ عليه السلام متمنياً أن يكون زمامها بيده:(۳)

۱– م.ن: ۱/۴۸۹.

۲– م.ن: ۲/۱۸۹.

۳– م.ن: ۲/ ۱۸۹ – ۱۹۰.

لیْتَ أنّی أبْقی، فأمترقَ النا

س وفی الکفِّ صارمٌ مسْلُولُ

وأجرُّ القنا لثاراتِ یَوْمِ الطْ

طفِّ یستلحقُ الرعیلَ الرعیلُ

ومـا فتئ الشاعر یلهـج بحب أهل البیت مـذکِّراً بإخلاصه التام لهم، وقـد صـبغ حبهم قلبه صـبغه الشـیب دلاله علی عظمه، وأنه لا یفـارقه حتی بالموت، وهو عبـدٌ لهم مطیع وإن کان ینحـدر منهم، فوالـده حیـدرٌ کنیه الإمام علی بن أبی طالب وأمه البتول کنایه عن فاطمه علیها السلام.(۱)

صبغَ القلبَ حبُّکُمْ صِبْغَهَ الشی

بِ وشیبی لولا الردی لا یحُولُ

أنا مولاکمْ وإنْ کنتُ منکُمْ

والدی حیدرٌ وأمِّی البَتُولُ

ثمَّ یقول إنَّ الناس إذا أدرکوا غایه الفخر کان أسبقهم وأرفعهم منزله من کان جده الرسول صلی الله علیه وآله وسلم:

وإذا الناس أدرکوا غایه الف

خر شآهم مَنْ قالَ جدِّی الرَّسُولُ

وهو إلی جانب ذلک عظیم الفخر بأئمته کثیر الثناء علیهم فتراه یخاطبهم بعد أن عدد أسماءهم أو کنیاتهم بقوله:(۲)

یا جِبالَ المجْدِ عزّاً وعُلی

وبدُورَ الأرْضِ نوراً وسَنا

جعل الله الذی نابَکُمْ

سببَ الوَجْدِ طویلاً والبُکا

لا أری حُزْنَکُمْ یُنْسی ولا

رِزْءكم يُسْلى، وإنْ طال ـ المَدى

قدْ مَضى الدَّهْرُ وعفَّى بعدِكُمْ

لا الجَّوى باخَ، ولا الدَّمْعُ رَقا

وهو يرى أنَّ لهم قدراً ومنزله عند الله لم يصلها غيرهم:

أنتُمُ الشَّافُونَ مِنْ داءِ العمى

وغداً ساقونَ مِنْ حوضِ الروا ج

زَلَ الدينُ عليكُمْ بيتكُمْ

وتَخَطَّى الناسَ طُرّاً وطوى

١- م.ن: ٢/١٩٠.

٢- م.ن: ١/٤٧. باخ: سكن. رقا: انقطع جريانه.

ويستنكر الشاعر على من تركهم إلى غيرهم، وهم الأقربون من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومن يتمسك بهم فهو ناج لا محاله:

أيْنَ عنْكُمْ للذى يبْغى بِكُمْ

ظلَّ عدْن دُونَها حرُّ لظى

أيْنَ عنكُمْ لمُضلٍ طالبٍ

وضحَ السُّبلِ وأقْمارَ الدُّجى

أيْنَ عنْكمْ للذى يَرْجُو بِكُمْ

معْ رسولِ اللهِ فوزاً ونَجا

إنَّ هذه الأسئله الإنكاريه المتتاليه فى بدء الأبيات الثلاثه قد أعطت معنى الاستعبار والتأمل للذى غفل عن ذكرهم وأشاح وجهه وفكره عنهم.

ومن المحاور المترابطه بما سبق والتى عرض لها الشريف الرضى هو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وما يمثله من قيم خلقيه ودينيه وموقفه من هذه الواقعه الأليمه، فقد عمد الشاعر إلى إشراكه فى معاينه ما وقع فى أرض الطف، فناداه بقوله:(۱)

يا رسُولَ اللهِ لوْ عايَنْتَهُمْ ج

وهمُ ما بيْنَ قَتْلى وسِبا ج

مِنْ رَميضٍ يُمْنَعُ الظلَّ ومِنْ

عاطشٍ يُسْقى أنابيب القَنا

ومسوقٍ عاثرٍ يسعى بهِ

خلفَ محمولٍ على غيرِ وطا

مُتْعَبٍ يَشْكُو أذى السير على

نَقبِ المَنْسمِ، مجْزُولِ المَطا

لرَأتْ عَيْناكَ مِنْهُمْ مَنْظَراً

للحَشى شجْواً، ولِلْعَيْنِ قّذى

ولا شكَّ أنَّ هـذه المحاوله تزيـد من الأسـى وتبعث على النحيب والبكاء لما حلَّ بالحسـين عليه السـلام وأهل بيته، وتعطى بعـداً جديداً للفاجعه، متمثلاً باطلاع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على ما جرى فى أرض الطف، على الرغم من غيابه المادى.(٢)

وما فتئ الشاعر يذكر أنّ ما أصاب الحسين عليه السلام وما حلَّ من بعده بأهل

١- م.ن: ١/۴۴ — ۴۵. نَقَبَ المَنْسَم: خُفُّ البعير، مجزول المَطا: الظهر اليابس.

٢- ينظر: ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى: ١۵۶ -١۵٨.

بیته من أسر وسبی ما هو إلا خیانه لوصیه الرسول فی حقِّ أهل بیته علیهم السلام.(۱)

"لقـد جری قتل أهل بیت الرسول بأیـدی أناس کانوا یدَّعون الإسـلام، وهذا ما أعطی للمأساه بعداً فجائعیاً لم یتکرر فی التاریخ، فلم یروِ أحـدٌ فی جمیع مراحـل التاریـخ أن بشـراً یقتلون أهـل بیت نبیهم وباسم خلافه الـدین! إلا فی مناسـبه واحـده هی ملحمه عاشوراء."(۲)

ویذکر الشاعر خصومه النبی صلی الله علیه وآله وسلم لهذه الفئه، وقد حلَّ یوم القیامه، فیشیح وجهه عنهم ویشکوهم إلی الله جلّو علا فیما فعلوه:(۳)

أیْنَ عنْکُمْ للذی یرجُو بِکُمْ

مع رسُولِ اللهِ فوزاً ونَجا

یومَ یَغْدوا وَجَهُهُ عنْ معْشَرٍ

مُعْرِضاً ممتِنِعاً عندَ اللِّقا

شاکیاً مِنْهُمْ إلی اللهِ، وهلْ

یُفْلِحُ الجیلُ الذی منْهُ شکا

ثمَّ یعرض الرسول صلی الله علیه وآله وسلم لله جلّ وعلا ما فعلوه بأهل بیته ودینه:

ربِّ ما حاموا، ولا آووا، ولا

نصُروا أهْلی، ولا أغْنوا غنا جج

بدَّلُوا دِیْنی، ونالوا أسْرَتی ج

بالعظیمات، ولمْ یرعوا ألی

لو وَلی ما قدْ وَلوُا مِنْ عتْرَتی

قائمُ الشِّرکِ، لأبقی ورعی ج

نقضوا عهْدی وَقَدْ أبْرَمْتُهُ

وَعُرى الدِّيْنِ، فَما أبْقَوْا عُرى

حُرمى مُسْتَرْدَفاتٌ، وبَنُو

بِنْتِيَ الأدْنَوْنَ ذِبْحٌ للعِدى

ثم يستنكر عليهم عدم حفظهم للجميل الذى صنعه معهم بأن أخرجهم من الشرك والضلاله إلى النور والهدى والإسلام:

أُتُرى لستُ لَدَيْهِمْ كامرِئٍ

خلَفُوهُ بِجَمِيْلٍ إذْ مَضى

١- م. ن: ١٣٣.

٢- الاغتراب فى حياه وشعر الشريف الرضى: ١٧ – ١٨.

٣- ديوان الشريف الرضى: ١/٤٨.

ثم يطلب من الله الحاكم العادل أن يقاضى المذنبين من أمته وأنه مظلوم منهم وخصم لهم:

ربِّ إنِّى اليَوْمَ خَصْمٌ لَهُمُ

جِئْتُ مظْلُوماً وذا يومُ القَضا

إنَّ هذا الإلحاح على ذكر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى أكثر من موضع فى الطفيات يؤكد على أن الحسين عليه السلام إمتدادٌ فعلى حقيقى للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعلى مختلف الأصعده الدينيه والأخلاقيه كما يؤكد الشاعر به على انحداره من نسله وارتباطه به أشدَّ الارتباط. وكأن مكانته التى هو عليها ما كانت وما كان ليصل إليها لولا هذا الحبل المتين المقدس الذى يتواصل معه ليمده بالإيمان والقوه، ويدعم مكانته الدينيه والاجتماعيه والسياسيه كذلك الشعريه فتراه يقول مؤكداً هذا المعنى:(۱)

وإذا الناسُ أدْرَكوا غايةَ الفخْ ج

رِ شآهم مَنْ قالَ جدّى الرَّسولُ ج

يفرح الناس بىْ لأنِّى فضْلٌ

والأنامُ الذى أراهُ فُضُولُ ج

فهُمُ بَيْنَ مُنْشِدٍ ما أُقَفِّى

هِ سرُوراً وسامِعٌ ما أقُولُ

وهكذا يتضح بجلاء أثر واقعه الطف فى تجربه الشاعر الشعوريه وتجلى ذلك فى الصياغه الموضوعيه لها.

۱- م. ن: ۲/ ۱۹۰. شآهم: سبَقهم.

المبحث الثالث: البنيه الداخليه (اللغه الشعريه)

١ الألفاظ

لا شكَّ فی أن الألفاظ ليس لها قيمه كبرى بعيداً عن معناها الموضوع لها، أو المعنى المتشكل فی السياق الذی وضعها الشاعر فيه. وهی بذلك تختزن طاقات وجدانيه خياليه موسيقيه تثير الانطباعات والتداعيات المختلفه فی ذهن الإنسان خاصه إذا لم يستعملها فی سياق مألوف أو متعارف عليه مما يفقدها لحظه الاصطدام بذهن المتلقی فتحدث فيه المفاجأه أو التأثير المطلوب.

لم يكن شاعرنا الشريف بشاعر يجهل ما لقيمه الألفاظ من أثر فی تشكيل المعانی المراده والدلالات التی تشع منها فهو إذ يضعها يتحسسها بحس شعری مرهف مكنته إياه ثقافته الواسعه واطلاعه العميق على نتاجات العرب فی الجاهليه حتى عصره عارفاً بتطور الأساليب والعلامات المتميزه فی مسيره الشعر العربی فكان دقيقاً بصيراً فی صياغته الشعريه، لم يبتعد عن أساليب القدماء ولكنه كان يتخذ منها منطلقاً نحو حداثه هو مبتدعها ومشكِّل هويتها.(١)

١- ينظر الشريف الرضی بلاغياً: ٢٤، وبناء القصيده عند الشريف الرضی: ٢٠٥، د. عناد غزوان. ضمن كتاب: الشريف الرضی دراسات فی ذكراه الألفيه.

وهو إذ يزاوج بين القديم والجديد تظهر على سطح نتاجاته بعض الألفاظ والتراكيب المنتميه لغير عصره، وربما كان وراء ذلك ثقافته اللغويه الشديده الارتباط بتراث العرب القديم، فقد كان الشريف الرضى "على حظٍ عجيب من المعجم الفصيح مما مكَّن اسلوبه من القوه وطوع التغير، فجاء وسطاً بين تعقيد المعرى وتركيز المتنبى"(۱). وهو إذ يصنع ذلك يشير إلى نمطٍ مخلص لثقافه قومه وتأريخهم، فى وقت بدأ التنصل من تلك الثقافه وتأريخها يتخذ منحىً خطيراً خاصه وقد تقسمت الدوله الإسلاميه إلى دويلات وإمارات صغيره، ودخل فى العرب من يريد أن يصنع الفتن من أقوام غاظها ما للعرب ولغتهم من أصاله عريقه.

ومهما يكن من أمرٍ فإن الطابع البدوى كان سمه لا تغادر شعر الشريف الرضى كله، مما أهَّلَه لأن يترأس مدرسه خاصه به كان إشعاعها ممتدّاً إلى عصرنا الحاضر.(۲) وإذا ما تصفحنا طفياته فإننا نجدها مليئه بتلك الروح البدويه.

قال الشريف:(۳)

هذى المَنازِلُ بالغَميمِ، فنادِها

واسكُبْ سَخِيَّ العَيْنِ بَعْدَ جَمادِها

إنْ كانَ دَينٌ للمَعالِمِ، فاقْضِهِ،

أوْ مُهْجَةٌ عِنْدَ الطُّلُولِ فَفادِها

يا هلْ تَبُلُّ مِنَ الغَليلِ إليْهِمُ،

إشْرافَةٌ للرَّكْبِ فَوْقَ نِجادِها ج

نُؤْيٌ كَمُنْعَطِفِ الحَنِيَّهِ دُوْنَهُ

سُحْمُ الخُدُودِ لهنَّ إرْثُ رَمادِها

ومَناطُ أطْنابٍ وَمَقْعَدُ فِتْيِهٍ،

تَخْبُو زِنَادُ الحيِّ غيرَ زِنادِها

ومَجَرُّ أرْسانِ الجِيادِ لِغلْمَهٍ

سجَفوا البُيُوتَ بشُقْرِها وَوِرادِها ج

وأنت تقرأ هذه الأبيات لا تحسُّ بأن شاعرها عاش فى قمه ازدهار الحضاره الإسلاميه ونشأ وترعرع فى عاصمتها بغداد، وإنما

تحس أنه شاعرٌ بدوى يبتدئ كما

١- الشريف الرضى: ٢٦٣

٢- ينظر: لغه الشعر بين جيلين: ٢٧، والقصائد الخالدات: ٤٠.

٣- ديوان الشريف الرضى: ١/٣٦٠ - ٣٦١

ابتدأ الشعراء القدامى بالوقوف على الطلل واستذكار مواضع الأحبه، وسكب الدمع على ما حلَّ بهم، ويمعن النظر فيما تركه الأحبه من رماد وأطناب وأماكن للوقود ونجد الشاعر فى طفيه أخرى يقول:(١)

وراءَكَ عنْ شاكٍ قليلِ العوائِدِ

تُقَلِّبُهُ بالرَّمْلِ أيْدى الأباعِدِ

يُراعى نُجُومَ الليلِ والهمَّ، كلَّما

مضى صادرٌ عنى بآخِرِ وارِدِ

توَزَّع بيْنَ النَّجْمِ والدَّمْعِ طَرْفُهُ

بِمَطْرُوقَةٍ إنْسانُها غيرُ راقِدِ

إنها علائم الباديه، الرمال ونجوم الليل الساطعه فى صحراء متراميه الأطراف، وبعد ذلك ينظر إلى الدار وكله اشتياق لها وهى هناك من رمل اللوى المتطاول:(٢)

فيا نظرةَ لا تنظرُ العَيْنُ اخْتَها

إلى الدّارِ مِنْ رَمْلِ اللوى المتَقاوِدِ ج

هىَ الدَّارُ لا شَوْقى القَدِيم بناقِصٍ

إليها ولا دَمْعى عليها بجامِدِ

وترى هذا الحسَّ البدوى أيضاً فى قوله:(٣)

صاحَتْ بِذَوْدىَ بَغْدادٌ فآنَسَنى

تَقَلُّبى فى ظُهُورِ الخَيْلِ والعِيْرِ جج

وكلَّما هجهجَتْ بى عنْ منازِلِها

عارضْتُها بِجَنانٍ غيرِ مَذْعُورِ جج

أطْغى على قاطِنيها غيرَ مُكْتَرِثٍ

وأفعلُ الْفِعْلَ فيها غيرَ مأمُورِ

فنلحظ الألفاظ (ذودى، هجهجت) من الألفاظ القليله التداول، بدويه الحس، ولعل الشاعر لم يجد ما يعوض عنها دلالياً أكثر منها لذلك جاء استخدامه لها. فالذود تأتى بمعنى(۴) (الطرد والدفع) أى يصبح المعنى صاحت بدفعى أو طردى، ولو استخدم واحده منها لما اختل المعنى والوزن، ولكنه استخدم (ذودى) فأشعرنا بقوه الطرد وعظم تلك الصيحه ووطأتها الشديده عليه، تمسّكاً منه بالقديم واعتزازاً به.

١- م.ن: ١/٣٦۴ - ٣٦۵

٢- م.ن.

٣- م. ن: ١/ ۴٨٧

۴- مختار الصحاح: ماده (ذود)

نلحظ فى استخدامه (هجهجت) بتكرار حروفها قد أعطت معنى التردد والمعاوده فى الفعل مما أعطى بعداً دلالياً صوتياً أكبر مما لو استخدم كلمه أخرى ترادفها فى معناها.

ونراه فى قوله أيضاً:(١)

ليتَ أنى أبْقى فأمْتَرِقُ النا

سَ وفى الكَفِّ صارمٌ مَسْلُولُ

قد استخدم كلمه (امترق) ذات الطابع والحس البدوى التى يتقارب معناها من كلمه (اخترق)(٢) ولكنه لم يستخدمها على الرغم من عدم تعارضها أو إخلالها بالوزن الموسيقى للبيت.

ولعل إيثار الشاعر هذه اللفظه على سواها من حيث توافر معنى السرعه والقوه، وهذا ما لم تعطه لفظه (اخترق) وكأن الاختراق يكون من الموضع الصعب القوى، والامتراق من الوضع السهل المتمكن الذى يطمح إليه الشاعر. وهذا كله لا يعطيه المعجم ولكن الشاعر بحسه المرهف وعمق درجه تحسسه للألفاظ ومعانيها يضعها فى المكان المناسب ولا يضع غيرها وبهذا تكن المفاضله بينَ الشعراء.

لقد جاء غريب الشريف الرضى طبيعياً متناسقاً مع نفسه، قريباً إلى روحه وأكثر مساساً بتجربته الشعوريه والتعبير عنها باللغه فلم يكن متكلفاً ولا وحشياً مغرقاً بالبداوه. فدلَّ ذلك على تمكنه من لغته وتشبهه بشعراء العرب وسلوكه مسالكهم من غير وهن أو ضعفٍ، أو سوء تقليد فكان بارزاً فى مضماره لا يشقُّ له غبار.

وعلى الرغم من هذه النزعه البدويه التى تلون بها شعر الشريف عامه فإنَّ سمه الوضوح كانت أيضاً حاضره فى شعره، فنجد السهوله والسلاسه فى الألفاظ، متحده بقوه السبك والصياغه فى شعره. وهذا يدلنا على شيء أشار إليه أحدُ الباحثين الكبار

١- ديوان الشريف الرضى: ٢/ ١٨٩

٢- مختار الصحاح: ماده (خرق)

وهو أنَّ الشريف الرضي "انتقائي في بناء شعره لا يلتزم طريقه واحده معينه، فهو بدوي حيناً، وهو يحاكي البحتري حيناً آخر".(١) ويعلل باحثٌ آخر هذه الانتقائيه بقوله أنَّ الشريف الرضي كان "يدعو إلى ابتكار الصوره الشعريه بعد تأمل عميق وحس أصيل واستيعاب واعٍ لتجارب الآخرين"(٢) ولربما كان وراء ذلك "ممارسته الدائمه للقرآن والحديث وكلام الإمام على قد أثرت في لغته وأسلوبه أحسن تأثير فصفت ديباجته ورقت حاشيته ووضحت عبارته وجمع بين جزاله اللفظ وفخامته ومتانه التعبير وعذوبته وخلا شعره من الفضول والحشو فكان مصداق قوله:

لا يَفْضُلُ المَعْنى على لفْظِهِ

شيْئاً ولا اللفْظُ على المَعْنى (٣) ج

ومن خلال هذا نتبين أنَّ الشريف الرضي كان واعياً لاستخدامه ألفاظه وعباراته متخذاً بها أسلوباً خاصاً به يميزه عن بقيه الشعراء من القدماء والمحدثين وكان ذلك واقعاً.

وقد حققت سمه الوضوح هذه أشياء كان أبرزها استعمال الشاعر للأسماء، فإننا نجد أسماءً قد دللت على معانٍ معينه مثَّلت قيماً خلقيه دينيه مقدسه وأخرى مثَّلت قيماً مضاده لها، وكأنما يوحي الشاعر بنزاع أبدي بين هاتين الفئتين من الأسماء، فئه خيره أخرويه وفئه ظالمه دنيويه.

وعلى رأس هذه الأسماء التي مثلت قيم الخير الأخرويه اسم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو ما يدلّ عليه من لقبٍ أو كنيه. فقد استثمره الشاعر في بناء قصائده وجعله منطلقاً نحو دلالات عده سبقت الإشاره إليها في مبحث البنيه الموضوعيه.

١- د. إحسان عباس. الشريف الرضي: ٢٥٨

٢- د. عناد غزوان، بناء القصيده عند الشريف ارضي: ٢١٦. ضمن كتاب الشريف الرضي دراسات في ذكراه الألفيه.

٣- في الأدب العباسي: ٤٢٨. والبيت في الديوان: ٢/ ٥٥٥

أما الاسم الثانی الذی نراه یتردد فی حضوره فی طفیات الشریف الرضی هو اسم (فاطمه) علیها السلام، إذ کانت محوراً مهماً من محـاور انطلاـق الشـاعر، وکـأنه یوحی أنّ ظلامه فاطمه علیها السـلام وغصب حقِّها فی میراث أبیها وما جری علیها من مأساه (۱) کان ممتدّاً ومتواصلاً مع ما أُلحق بالحسین من ظلم وقتلٍ فیزید الشاعر من ألم الفجیعه ونارها کیما یحرق القلوب قبل العیون. فهو یجعل فاطمه علیها السلام مرتکزاً انتقالیاً بین بدایه القصیده وموضوعها فهو یقول:(۲)

شَغَلَ الدُّمُوعَ عنِ الدِیارِ بکاؤُها

لِبُکاءِ فاطمهٍ علی أولادِها

لمْ یَخْلِفُوها فی الشَّهیْدِ وقَدْ رَأی

دَفْعَ الفُراتِ یُذادُ عن أورادِها

أتَری دَرَتْ أنَّ الحُسیْنَ طَرِیدَهٌ

لقنا بَنی الطّرْداءِ عندَ وِلادِها

وهو دائماً یُقرنُ فاطمه بأبیها فی محاوله منه للتأکید علی أنّ الحسـین علیه السـلام حفیدُ الرسول وابنه مع ربط مصـیبه فاطمه علیها السلام بمصیبه الحسین لزیاده الأسی ومراره الفاجعه فتراه یقول:(۳)

ما یُبالی الحِمَامُ أینَ ترقّی

بعدما غالتِ ابنَ فاطمَ غولُ

وتراه یقول متأوّهاً علی ما حلّ ببنی فاطمه:(۴)

کمْ رِقابٍ مِنْ بنی فاطِمَهٍ

عُرِقَتْ ما بیْنَهُمْ عِرْقَ المُدَی ج

وهو یشرک فاطمه علیها السلام مع أبیها وبعلها علی فی البکاء علی میِّتِ الطفِّ:(۵)

مَیِّتٌ تَبْکی لَهُ فاطِمَهٌ

وأَبُوها وعلیٌّ ذو العُلَی

١- ينظر: تذكره الخواص: ٣١٧، ٣١٨.

٢- ديوان الشريف الرضى: ١/٣٦١، ٣٦٢.

٣- م.ن: ٢/١٨٨.

٤- م.ن: ١/ ٤٦.

٥- م.ن: ١/٤٧.

ونجده یفتخر بحبِّه لآل البیت ویصرح قائلًا:(۱)

أنا مولاكُمُ، وإنْ كنتُ منكمْ

والِدی حیْدَرٌ، وأُمّی البَتُولُ

وإلی جانب اسم الرسول صلی الله علیه وآله وسلم وفاطمه علیها السلام نجده یردد اسم علی علیه السلام والأئمه الاثنی عشر علیهم السلام، إذ كانوا محلَّ افتخاره وتعظیمه، وهم لهم المكانه العلیا عند الله، وهم الصفوه المختاره علی العالمین، ومن تمسك بهم نجا، ومن تخلَّف عنهم هلك. وكان حظور هذه الاسماء وبدائها فی النسیج اللغوی داعیه إلی وضوحه واقترابه من التقریریه والمباشره وابتعاده عن الشعریه، ولكن ذلك لم یغض من صدق العاطفه التی جاء بها الشاعر.(۲)

أمّا اسم الحسین صلی الله علیه وآله وسلم فقد تكرر بطریق الكنیه ولم یقتصر علیها الشاعر، فقد انفتح ذهنه ومشاعره علی نعوت متنوعه أملتها علیه مشاعره الجیاشه تجاه ما حلَّ بالحسین فی واقعه الطفِّ الألیمه.

فنجده ینعته بالقتیل الذی قوض عمد الدین وأعلام الهدی، وأن الذین قتلوه كانوا یعلمون یقیناً بأنه خامس أصحاب الكسا.(۳)

یا قَتِیلًا قَوَّضَ الدَّهْرُ بِهِ

عُمُدَ الدِّینِ وأعْلامَ الهُدی

قَتَلُوهُ بَعْدَ عِلْمٍ مِنْهُمُ

أنَّه خامِسُ أصْحابِ الكِسا

ولكنه لم یكتف بهذا الوصف، فقد انفتحت مخیلته أو تداعت إلی مشهد مصرعه، فنعته بالصریع الذی لم تغمض عینه، ولم یربط لحییه ولم یمد الرداء علیه، وأن أعداءه غسلوه بدم الطعن وكفنوه ببوغاء الثری:(۴)

وَصَرِیعاً عَالَجَ المَوْتَ بلا

شَدَّ لَحْیَیْنِ وَلا مَدَّ رِدّا

۱- م.ن: ۲/۱۹۰.

۲- ینظر هذه الأسماء فی دیوان الشریف الرضی ۱/۴۷.

۳- م.ن: ۱/۴۵.

۴- م.ن.

غَسَلُوهُ بِدَمِ الطَّعْنِ، وَما

كَفَّنُوهُ غيْرَ بَوْغاءِ الثَّرى

وهو مفجوعٌ بيوم عاشوراء وتذكر ذلك اليوم العصيب على الحسين عليه السلام إذ منعه الأعداءُ من شرب الماء حتى قتل ضامئاً بجنب الفرات العذب. فترى الشاعر يؤكد هذه الحاله فی أكثر من موضع من طفياته، يقول الشريف الرضی: (۱)

وظامٍ يُرِيْغُ الماءَ قدْ حِيلَ دُوْنَهُ

سقَوْهُ ذباباتِ الرِّقاقِ البواردِ ججج

وفی طفِّيَّةٍ أخرى يقول: (۲)

ضَمْآن سلَّى نَجِيْعُ الطَّعْنِ غلَّتَهُ

عَنْ بَارِدٍ مِنْ عُبابِ الماءِ مَقْرُورِ

وفی أخرى يقول مواسياً الحسين عليه السلام بهذا الضمأ وأنه كيف يشرب الماء بالتذاذ وقد حرمت مهجه الإمام منه: (۳)

أتُرانی ألَذُّ ماءً وَلَمّا

يَرْوِ مِنْ مُهْجَهِ الإمامِ القَليلُ

وهو ما فتئ ينعته بالحسام والجواد، ولكن أيُّ حسامٍ وأيُّ جوادٍ!!:(۴)

يا حُساماً فلتْ مضارِبُه آلها

مَ وقد فله الحسامُ الصقيلُ

يا جَواداً أدْمى الجَوادَ مِنْ الطَّع

ْنِ وولّى ونَحْرُهُ مبْلُولُ

حَجَلَ الخيْلُ مِنْ دِماءِ الأعادى

يَوْمَ يبْدو طَعْنٌ وتَخْفى حُجُولُ

ويناديه بعظيم النداء ب(يا غريب الديار) إذ يقول:(٥)

يا غَرِيْبَ الدِّيارِ صَبْرى غَرِيْبٌ

وقَتِيْلَ الأعْداءِ، نَوْمِىْ قَتِيْلُ

بِى نِزاعٌ يَطْغى إليكَ وشَوْقٌ

وَغَرامٌ وزَفْرَةٌ وَعَويْلُ

لَيْتَ أنّى ضَجِيْعَ قَبْرِكَ لَوْ أن

نَ ثَراهُ بِمَدْمَعِى مَطْلُولُ

١- م.ن: ١/٣٦٥.

٢- م.ن: ١/٤٨٨.

٣- م.ن: ٢/١٨٨.

٤- م.ن.

٥- م.ن.

إنَّ هذه الغربه غربه الديار لم تكن بأقسى من غربه الروح التى عاناها الحسين عليه السلام وأصحابه الأبرار، وكان الشاعر يحسُّ بذلك الاغتراب فينقله إليه ليكون عوناً له فى غربته هو، فينطلق "الصوت الذى يسكن أعماقه الموحشه، ويركب لسانه الذى لا يكف عن اللهج والتحسس، فتظلَّ المناداه الصارخه: ياغريب الديار صبرى عجيب مدخلاً لتفسير اغتراب الشاعر وغربته التى تتجاوز فى المعنى كلَّ شقاء".(۱)

إنَّ هذه الغربه تنسحب لدى الشاعر لينادى جدَّه الحسين عليه السلام ليصف معاناته فى غربته:(۲)

يا جَدُّ لا زالَ لِىْ همٌّ يُحَرِّضُنى

على الدُّمُوعِ ووَجْدٌ غَيْرُ مَقْهُورِ

والدَّمْعُ تحْفُزُهُ عَيْنٌ مُؤَرَّقهٌ

حَفْزَ الحَنيهِ عَنْ نَزْعٍ وَتَوْتيْرِ

إنَّ السُّلوَّ لَمَحْظُورٌ على كَبِدِى

وما السُّلوُّ على قَلْبٍ بِمَحْظُورِ

إنَّها غربه الشاعر السياسيه والاجتماعيه وقد اختلطت بغربته فى التفرد والتمايز عن الآخرين، فتراه يقول فى طفيته الأخرى:(۳)

يا جَدُّ لا زالَتْ كتائِبُ حَسْرَهٍ

تَغْشى الضَّمِيْرَ بِكَرِّها وطِرَادِها

أبَداً عَلَيْكَ وأدْمُعٌ مَسْفُوحَهٌ

إنْ لَمْ يُراوِحُها البُكاءُ يُغَادِها

إنَّ هذا الاقتراب الروحى من الحسين صلى الله عليه وآله وسلم من قبل الشاعر ليدلنا على أنه قد اتخذ منه مثالاً وقدوه فى حياته، وهذا ما تلمسناه من خلال طفياته.

ومما سبق نلحظ أنَّ اسم الحسين عليه السلام أو بدائله التى استعملها الشاعر كانت محاور انفلاته نحو التعبير الخلاق المبدع الملىء بالشعريه والعاطفه والخيال، ولون النسيج الشعرى بألوان زاهيه أبعدته عن التقريريه والمباشره وأثرت فى المتلقى عظيم الأثر.

١- الاغتراب فی حیاه وشعر الشریف الرضی: ٢٠

٢- دیوان الشریف الرضی: ١/ ٤٨٩، تحفزه: تدفعه، الحنیَّه: القوس، نزع: جذب.

٣- م.ن: ١/ ٣۶۴

أما علی صعید الأسماء التی مثَّلت قیم الشرّ الدنیویه فتجد: بنی أمیه، وآل حربٍ، ویزید وزیاد وبدائل هذه الأسماء إذ قابلت الأسماء المتقدمه وبدائلها، وفی بعضٍ منها تواشجت معها، خاصه اسم الرسول صلی الله علیه وآله وسلم، وکانت هذه الأسماء محطَّ لعنه الشاعر وغضبه وانتقامه، کما کانت محل جدل ونقاشٍ حول ما اقترفته من آثامٍ فی حقِّ الرسول وأهل بیته علیهم السلام، وقد أدی ذلک إلی جعل النسیج الذی وردت فیه واضحاً مع اقترابه من التقریریه والمباشره، وابتعاده عن الخیال والشعریه، إذ مثَّلت هذه الأسماء بواقعیتها المقیته صخره جثت علی خیال الحریه والسلام المتمثل بالنبی وأهل بیته علیهم السلام وظل یرزح تحتها الشاعر فما کان منه إلا أن یتعامل معها علی أساس خشونتها وصلابتها المقیته. فنراه ینعتهم بأخشن الأوصاف قائلًا:(۱)

أألله ! ما تَنْفَکُّ فی صَفَحاتِها

خُمُوشٌ لِکَلْبٍ مِنْ أُمَیَّهَ عاقِدِ

وتراه فی أخری یقول:(۲)

طَمَسَتْ مَنابِرَها عُلُوجُ أمیهٍ

تَنْزُوا ذئابُهُمُ علی أعْوادِهَا

هکذا یعرض بهم عندما یذکرهم، أنهم أناسٌ متوحشون، لا یلیق بهم وصفاً إلا الکلب والمسعور والذئب المفترس.

۲ الصیاغه

من المعروف أنَّ الشاعر یستثمر اللغه وهی ماده خام فی تشکیل التعبیر الذی یتناسب وطبیعه الانفعال الذی یعیشه أثناء الکتابه ویرید أن ینقله لنا بصوره شعریه.

وما تنوع الأسالیب الصیاغیه إلا تنوع فی انفعالات الشاعر، والهدف الذی یرمی إلیه من خلال إیثار هذا الأسلوب علی سواه.

۱- دیوان الشریف الرضی: ۱/۳۶۶، خموش: خدوش، عاقد: غلیظ.

۲- م.ن: ۱/۳۶۲، علوج: مفردها عِلْج علی وزن عِجْل، الواحد من کفار العجم، تنزو: تثب.

وقـد طالعتنا – أثناء العرض المتقـدم لسـمتى الوضوح والغرابه فى ألفاظ الشاعر وكيفيه تحققها – مجموعه من الأساليب التركيبيه التى اسـتثمرها الشاعر فى إخراج تجربته الشعوريه ومن هذه الأساليب البارزه فى الطفيات أسلوب النداء، وقد تخلل نسيجها ليزيد من انتبـاه المتلقى أو المخـاطب، ويهيِّئ الأذهان والأسـماع إلى إذاعه أمر ما أو حقيقه ما، أو لتفصـح عن انفعال مكبوت احتكرته ذات الشاعر طويلاً. وكان هذا الأسلوب متآصراً مع الأساليب الأخر ليؤدى الوظيفه الإبلاغيه.

فنجد الشاعر قد نادى جدَّه الرسول صـلى الله عليه وآله وسلم ليكون شاهداً على ما فعله الظالمون بالحسين عليه السلام وأهل بيته ليكون أكثر توجعاً وتحسراً على ذلك المصاب:(۱)

يا رسُولَ اللهِ لوْ عايَنْتَهُمْ

وهمُ ما بيْنَ قَتْلٍ وسِبا

مِنْ رَميضٍ يُمْنَعُ الظلَّ ومِنْ

عاطشٍ يسقى أنابيبُ القَنا

ومَسُوقٍ عاثِرٍ يُسْعى بِهِ

خَلْفَ مَحْمُولٍ على غَيْرِ وِطَا

مُتْعَبٌ يَشْكُو أذى السير على

نَقبِ المَنْسمِ، مجْزُولِ المَطا

لرَأتْ عَيْناكَ مِنْهُمْ مَنْظَراً

للحَشى شجْواً، ولِلْعَيْنِ قّذى

ونلحظ أن الشاعر استعان إلى جانب أسـلوب النداء بأسـلوب الشـرط الذى فتحه الشاعر ليغلقه على صوره الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم وهو يعـاين أهـل بيته وما جرى عليهم فى طف كربلا وقـد جاء الجواب المقترن ب(اللام) بعـد أربعه أبيات مما يعلم عن تمكن الشاعر من أدواته الشـعريه وتحكمه بها لرسم الصوره المبتغاه – كما جعل هذا الأسـلوب المتلقى فى شوق وتوقع حتى تنتهى الحلقه التى بدأها الشاعر بالأداه.

ومهمـا يكن من أمر فـإنَّ الشـاعر مـا فتئ يسـتنهض الرسول وفـاطمه وعليـاً عليهم السـلام ليكونوا عونـاً له فى عزائه الحسـين عليه السلام.

١- ديوان الشريف الرضى: ١/ ٤٤ - ٤٥

کما نجد الشاعر یستعمل النداء للندبه واستظهار الغضب والتحسر علی أهل البیت، وقد أصبحوا فی رعیه بنی أمیه بعد أن کانوا قاده المجتمع والناس لهم تبع:(۱)

والَهْفَتاهُ لِعُصْبَهٍ عَلَوِیَّهٍ

تَبِعَتْ أمیَّهَ بَعْدَ عزٍّ قیادِها

ونراه یستخدم النداء فی بدایه أبیات له متتالیه لیعزز المعنی بتراکم الصور، ولیریح بعض الذی یکبتُ فی نفسه من ألم ولوعه علی ما أصاب الحسین علیه السلام. فتراه یخاطبه بأعلی صوته:(۲)

یا حساماً فَلَّتْ مَضارِبَهُ الهامُ

وَقَدْ فَلَّهُ الحُسامُ الصَّقیلُ

یا جَواداً أدْمی الْجَوادَ مِنَ الطَّع

نِ، وَوَلّی وَنَحْرَهُ مَبْلُولُ

وَمِنَ الأسالیب الأخر الظاهره والمنتشره فی الطفیات الاستفهام، وکما هو معروف ان الاستفهام عن شیء دلیل اهتمام الذات بالجواب وهی فی الوقت نفسه تعکس ما یدور من أحاسیس ومشاعر وأفکار، لذلک قد تسأل عن شیء معروف جوابه ولکن فیه ما یروح عن النفس وما تقمصها أو تسلط علیها من انفعال.

وقد استخدم الشاعر من الأدوات الاستفهامیه فی طفیاته الهمزه فکانت محوراً مهماً فی استظهار تفجع الشریف وحسرته وألمه وتوجعه مما حلَّ بالحسین علیه السلام وهو بأسئلته هذه یرید أن یشارک الحسین عظیم مصیبته فتراه یقول:(۳)

أتُرانی أعیرُ وجْهیَ صَوْناً

وَعلی وَجْهِهِ تَجُولُ الخُیُولُ

أتُرانی ألَذُّ ماءً وَلَمّا

یَرْوِ مِنْ مُهْجَهِ الإمامِ الغَلیلُ

فنلحظ تکرار الأداه مما یعنی تراکم الصور بتراکم الانفعال، کما یعطی أیضاً إیقاعاً موسیقیاً مضافاً إلی الصوره، ویجلب انتباه المتلقی إلیه.

١- م. ن: ١/٣٦٢

٢- م.ن: ٢/١٨٨

٣- م. ن.

كما يظهر تعجبه واستغرابه بهذه الأداه بقوله:(١)

أألله ! ما تَنْفَکُّ فی صَفَحاتِها

خُمُوشٌ لِکَلْبٍ مِنْ أُمَیَّهَ عاقِدِ

فالشاعر يتعجب مما تركه الأمويون من حقد وجور وظلم لأهل البيت ولا زالوا على ذلك حتى نالهم مانالهم على يد العباسيين. ونجده يتعجب من حال نفسه فی محاوله لتقليل توجعها وألمها على ما نزل به وحلَّ:(٢)

أما فارَقَ الأحْبابَ قبْلی مُفارِقٌ

ولا شَیَّعَ الأضْعانَ مِثْلی بِواحِدِ

ويستخدم الشاعر الأداه (هل) فی بثِّ لواعجه وهمه وحسرته للمخاطب الجمعی:(٣)

هل تطلبُونَ مِنَ النوَاظِرِ بعدکُمْ

شیئاً، سوی عبراتِهَا وسهادِهَا

ويستعمل الشاعر الأداه (أی) للتهويل فی قوله(۴):

أیُّ یوْمٍ أدْمی المدامِعَ فیهِ

حادِثٌ رائعٌ وخطبٌ جلیلُ

وأی يوم أفضع من ذلک اليوم الذی يرزح الشاعر تحت وطأته وجميع المسلمين وبالأخص الشيعه منهم.

ويستعمل الشاعر (أی) لبيان عظيم قدر جد الحسين وأبيه إذ يدعوهما(۵):

أیُّ جَدٍّ وأبٍ یَدْعُوهُما،

جَدّ، یا جَدّ، أغِثْنی یا أبا

يستعمل الشاعر الأداه (ما) و(أی) ليوجه الأسئله بالتتابع بهما إلى نفسه لينفس عن غضبه وأحاسيسه المتفجره وأحزانه المتراكبه فی صدره وهمومه بالمجد والعلياء(۶):

۱- م. ن: ۱/۳۶۶

۲- م. ن: ۱/۳۶۵

۳- م. ن: ۱/۳۶۱

۴- م. ن: ۲/۱۸۸

۵- م. ن: ۱/۴۶

۶- م. ن: ۱/۴۸۹

ما لیْ تَعَجَّبْتُ من همِّی ونفرتِهِ

والحزن جرحٌ بقلبیْ غیرُ مسْبورِ

بأیِّ طرْفٍ أری العلیاءَ إنْ نَضَبَتْ ج

عَیْنی، ولَجْلَجتُ عَنْها بالمعاذِیرِ

ویستعمل الشاعر (أین) للسؤال لاعن المکان وإنما عن الـذین لم یتبعوا أهل البیت علیهم السـلام وکأنما یرید بهذا الأسـلوب أن یشیر إلیهم ویُدِلَّ علیهم وعلی أحقیتهم ومشروعیتهم وأرثهم الذی ورثوه عن النبی صلی الله علیه وآله وسلم لیکون بذلک دلیلًا وداعیاً لهم علی نهج هذا السبیل(۱):

أیْنَ عنْکُمْ للذی یبْغی بِکُمْ

ظلَّ عدْن دُونَها حرُّ لظی

أیْنَ عنکُمْ لمُضلٍ طالبٍ

وضحَ السُّبلِ وأقْمارَ الدُّجی

أیْنَ عنْکمْ للَّذی یَرْجُو بِکُمْ

معْ رَسُولِ اللهِ فوزاً ونَجا

ومن الأسالیب المتآصره مع أسـلوب النداء والاسـتفهام أسـلوب النفی. إذ نجد له نصـیباً کبیراً فی طفیاته. فنجد الشاعر یراکم من صوره بـالنفی لیقطع الشـک بـالیقین الحتمی من تجرد الأمویین من أیّه قیمه انسانیه، فتراه یقول علی لسان الرسول صـلی الله علیه وآله وسلم (۲):-

ربَّ ما حاموا، ولا آووا، ولا ج

نصُروا أهْلی، ولا أغْنوا غنا

بدَّلُوا دِیْنی، ونالوا أسْرَتی

بالعظیمات، ولمْ یرعوا ألی

نقضوا عهْدى وَقَدْ أبْرَمْتُهُ

وَعُرى الدِّيْنِ، فَما أبْقَوْا عُرى

ونراه يستعمل النفى لينكر على الأمويين أن يكون فعلهم الشنيع بأهل بيته جزاءً لما فعله من كريم الفعال معهم(٣):

ليسَ هذا لِرَسُولِ اللهِ يا

أمَّهَ الطُّغيانِ والْبَغْيِ جَزا ج

غارِسٌ لَمْ يَأْلُ فى الْغَرْسِ لَهُمْ

فإذاقُوا أهْلَهُ مرَّ الْجَنَى

١– م. ن: ١/ ٤٧ – ٤٨
٢– م. ن: ١/٤٨
٣– م. ن: ١/٤٥

ويكرر هذه الصوره فى طفيه أخرى مستخدماً الأسلوب نفسه(١):

ما راقَبَتْ غَضَبَ النبيِّ، وقد غَدا

زرعُ النَّبيِّ مظَنَّةً لحصادها

وبهذا الأسلوب مع أسلوب العطف يكرر الشاعر النفى ليجعل بين الصوره الأولى المنفيه والصوره الثانيه فاصلًا إيقاعياً يثير المتلقى ويبعث فيه التأمل(٢):

هىَ الدّارُ لا شَوْقى القَديْمُ بِناقِصٍ

إلَيْها، ولا دَمْعى عليها بجامِدِ

وتراه يستعمل النفى فى إنشاء نوع من الحكمه التى استوحاها الشريف من واقعه المعاش فهو يقول مخاطباً نفسه(٣):

خفِّضْ عليكَ، فللأحزانِ آوِنةٌ

وما المُقيمُ على حُزْنٍ بمَعْذورِ

وفى بيت آخر يقول: «وَمَا خُلِقْت لِغَيْرِ السّرْجِ وَالْكُورِ»

وتراه يدفع عن نفسه الألم بالافتخار مستخدماً النفى إذ يقول(٤):

ألْقى الزمان بكَلْمٍ غيرِ مندملٍ

عُمرَ الزمانِ، وقلْبٍ غيرِ مَسْرُورِ

وفى بيت آخر يقول: «والحزن جرحٌ بقلبىْ غيرُ مسْبورِ»

وفى طفيه أخرى يقول مستعبراً(٥):

لا شُجاعٌ يَبْقى فيعتنق البى

ضَ ولا آمِلٌ ولا مأمُولُ

ومن الأساليب الأخرى المشاعه فى الطفيات أسلوب الشرط، وغالباً ما استعمل الشاعر الأداه الشرطيه (لو) وهى أداه امتناع لامتناع كما يقول النحاه، فإن الصوره الأولى غير حاصله مما يؤدى إلى عدم حصول الصوره الثانيه التى تحصل لو حصلت الأولى.

۱- م. ن: ۱/۳۶۲

۲- م. ن: ۱/۳۶۵

۳- م. ن: ۱/۴۸۷

۴- م. ن: ۱/۴۸۹

۵- م. ن: ۲/۱۸۷

ولكن الشاعر يستثير بهذا الأسلوب مكامن الحزن والألم على فقد الحسين عليه السلام فتراه يقول(۱):

لو رَسُولُ اللهِ يَحْيا بَعدَهُ

قَعَدَ اليَوْمَ عليهِ لِلْعَزا

وكأنَّ هذا الشرط جاء ليؤكد ارتباط الرسولصلى الله عليه وآله وسلم بالحسين عليه السلام وأنه امتداده الدينى والأخلاقى.

ويستعمل الأسلوب نفسه فى بيان أنَّ الأمويين فعلوا فعلتهم النكراء التى لو حلَّ محلهم مشرك لما فعل فعلهم(٢):

لو وَلى ما قدْ وَلوُا مِنْ عتْرَتى

قائمُ الشِّركِ، لأبقى ورعى

ويكرر الصوره نفسها بصوره أخرى بقوله(٣):

لَوْ بِسِبْطَىْ قيْصَرٍ أوْ هِرْقَلٍ

فَعلوا فِعْلَ يَزيدٍ ما عَدا

إنَّ فعلتهم نكراء بغيضه غادره.

و يستعمل الشرط فى بناء صوره متنوعه الانفعالات فتراه يقول يصف حاله فى بعاد من يحب(۴):

إذا جانَبُونى جانباً مِنْ وِصالِهِمْ

عَلِقْتُ بِأطْرافِ المُنى والمَوَاعِدِ

وتراه يتوشح برداء التحسر ممزوجاً بالغضب لما يحل به وبالشيعه من امتهان وذل فيقول(۵):

لئِنْ رقَدَ النُّصّارُ عما أصابَنا

فما اللهُ عمَّا نِيلَ منَّا براقِدِ

ويستعمل الشرط أيضاً فى إظهار حكمه استوحاها من ظروفه وتأريخ عائلته

۱- م. ن: ۱/۴۷

۲- م. ن: ۱/۴۸

۳- م. ن: ۱/۴۶

۴- م. ن: ۳۶۵

۵- م. ن:۱/ ۳۶۶

العلويه فهو يقول(١):

إنْ يَظْفَرِ المَوْتُ منَّا بابْنِ مُنْجِبَهٍ،

فطالما عادَ رَيَّانَ الأظَافيرِ

ونجد أنَّ الشاعر يكثر من استعمال الأداه (كم) الخبريه إذ يكررها فى بدايه بيتين متتاليين، وقد وجه خطابه إلى كربلاء ليظهر من خلاله ألمه وتفجعه على ما حلَّ بها من قتلٍ وتنكيل وسبى(٢):

كَمْ على تُرْبِكِ لمّا صُرِّعوا

مِنْ دَمٍ سالَ ومِنْ دمْعٍ جَرى

كَمْ حَصانِ الذَّيلِ يَرْوِى دَمعُها

خَدَّها عنْدَ قَتيلٍ بالظّما

ويستعمل الشاعر (كم) مره أخرى لإظهار غضبه ونقمته على الطغاه الذين تحكموا فى فضلاء الناس(٣):

كَمْ إلى كَمْ تَعْلُوا الطُّغاهُ، وَكَمْ

يَحْكُمُ فى كُلِّ فاضِلٍ مَفْضُولُ

إنَّ هذا التكرار يعكس كميه الغضب والغيض التى يحملها الشاعر واستنكاره للأحوال التى يعيشها التى يسودها الظلم والغبن.

أما على صعيد التلوين البيانى فنجد الشاعر يستخدم التشبيه بالأداه فى تلوين صوره، ومنه ما جاء بذكر الأداه من نحو قول يصف وجوه أصحاب الحسين وأهل بيته، يقول(٤):

وَوُجُوهاً كالمصابيحِ، فَمِنْ

قَمَرٍ غابَ، ونَجْمٍ قَدْ هَوى

والملاحظ على هذا التشبيه أنه اعتيادى لا يثير المتلقى، ولكن الشاعر عمل على إضفاء صفه أعمق حين استخدم المجاز فى استكمال الصوره فأخرجها من تقليديتها بأن جعلهم أقماراً تغيب ونجوماً تهوى ولا شك أن صوره القمر الغائب والنجم الذى

١– م. ن: ١/ ٤٨٨

۲- م. ن: ۱/۴۴

۳- م. ن: ۲/۱۸۹

۴- م. ن: ۱/۴۴

يهوى تثير فى المتلقى بواعث الحزن والكـدر لهـذا المنظر فكيف بأصـحاب الحسـين عليه السـلام ؟! وهو بذلك ينقل الإحساس بالصوره الحسيه إليهم.

ونجد من تشبيهاته البدويه قوله(۱):

نُؤْیٌ كمُنْعَطِفِ الحَّنيَّهِ دُونَهُ

سُحْمُ الخُدودِ لهنَّ إرْثُ رمادِها

و كذلك قوله(۲):

وقفُوا بها حتّى كأنَّ مطِيَّهُمْ

كانتْ قوائِمُهُنَّ مِنْ أوْتادِها

ولعل فى هذه الصوره نوع من المبالغه المصطنعه بالتشبيه للتدليل على ثبات وقوف هذه العصبه التى نزلت أو وقفت بهذه الأرض لشدّه حزنهم على ما جرى بها من حوادث.

ومن صوره البدويه الأخرى قوله(۳):

قدْ قُلْتُ للرَّكْبِ الطلاحِ كأنَّهمْ

ربدُ النُّسُورِ عَلى ذُرى أطْوادِها

يِحْدُو بِعَوْجٍ كالْحَنيِّ أطاعَهُ

مُعْتاصُها، فَطَغى على مُنْقادِها

حتّى تَخَيَّلُ مِنْ هبابِ رِقابِها

أعْناقَها فى السَّير ِمِنْ أعْدادِها

إنها صوره بدويه لا تثير فى المتلقى كبير أثر فيه ولكنها تدخل ضمن إطار الموروث الشعرى للشاعر.

ونراه فى وصف الحسين عليه السلام حين تلاحقت السيوف وأخذت تترى عليه(۴):

١- م. ن: ١/٣٦١

٢- م. ن: ١/٣٦١

٣- م. ن: ١/٣٦٣. طلاح: من الطلح بمعنى الطلع، العوج: الواحده عوجاء الناقه السيئه الخلق، الهباب: النشاط والسرعه، الأعداد: الواحده عد الماء الجارى لا ينقطع، شبَّه مواصلتها لسيرها السريع بالماء الجارى الذى لا ينقطع.

٤- م. ن: ١/٤٨٨

كأنَّ بيضَ المَواضِى، وَهىَ تنْهَبُهُ!

نارٌ تَحَكَّمُ فى جِسْمٍ مِنَ النّورِ

والواضح أن هذا التشبيه من مؤثرات الحضاره التى وصل لها عصر الشاعر وتأثر بها وهى من موحيات الفلسفه وعلم الكلام كما هو واضح من ألفاظ (النار) (والنور) التى تستعمل فى هذه العلوم.

ومن المعانى الفلسفيه التى تطالعنا عند الشريف الرضى قوله(١):

غايهُ الناسِ فى الزَّمانِ فَناءٌ

وكذا غايَهُ الغُصُونِ الذُبُولُ

عمل الشاعر على تشبيه مصير الإنسان ونهايته فى الحياه الدنيا، بصوره حسيه ملموسه شفافه إلا أنها جارحه بواقعيتها حيث ذبول الغصون مهما كانت نضره وزاهيه، هذا هو مصير الإنسان الحتمى ولا مهرب له منه. وإلى جانب التشبيه بالأدوات نجد التشبيه البليغ، ولا ريب أن وقعه يكون أقوى فى المتلقى وأكثر انطباعاً فى ذهنه. ومن هذه الصور قوله(٢):

جَزَرُوا جَزْرَ الأضاحى نَسْلَهُ،

ثمَّ ساقوا أهْلَهُ سَوْقَ الإما

فنلحظ الشاعر قد عمل على تأكيد المشبه عن المشبه به حين حذف الأداه وأضاف إلى الصوره إيقاعاً موسيقياً متأتٍ من تشقيق الفعلين (جزروا جزر، ساقوا.. سوق) مما أعطى حده وقوه للفعل الشنيع الذى فعله الأمويون.

ومن الصوره الأخرى التى سجلها الشاعر بهذا الأسلوب قوله(٣):

إنَّما المرْءُ للمنيهِ مخْبو

ءٌ، وللطعْنِ تُسْتَجَمُّ الخُيولُ

فالشاعر هنا يعقد موازنه بين صورتين بدون ذكر الأداه، فالصوره الأولى مثلت المرء وقد اختبأت له المنيه أو هو مخبوء لها فى كل ركن أو لحظه من لحظات حياته وهو

١- م. ن: ٢/١٨٧

٢- م. ن: ١/٣٥

٣- م. ن: ٢/١٨٧

ينعم رغـداً فى هـذه الـدنيا. وحـاله الإنسان على هـذا الوضع تشابه صوره حسـيه أخرى وهى أن الخيل تراح وتطعم وهى فى دعه وأمان حتى تقـدم للحرب حيث الطعن ووقع الرماح والسـيوف، فالخيل لم تكن تعلم أن وراءها يوماً ثقيلاً كيوم الحرب وكذلك الإنسان لا يعلم أو يتناسى أن وراءه يوماً أصعب من يوم الحرب على الخيل.

ومهما يكن من أمر فإن الشريف استعمل التشبيه البليغ فى طفياته، مما يدل على اهتمامه بهذا النوع من الأساليب فى تلوين نسيجه اللغوى.(١)

ويلحظ الباحث جمله من المجازات والاسـتعارات استخدمها الشاعر خير استخدام ووظفها توظيفاً حسناً ضاعف من روعه وجمال الصوره من ذلك قوله:(٢)

عادةٌ للزمانِ فى كلِّ يَوْمٍ

يتناءَى خِلٌّ، وتبكى طُلُولُ

فالشاعر هنا أعطى لصورته بعداً عميقاً إذ شـخص الزمان وجعل له عاده فى كل يوم، وأضاف لها تشـخيصاً ثانياً جميلاً حين جعل الطلول تبكى من حيث فراق الأحبه لها والخلان، أنها جدليه عميقه بين الحلِّ والارتحال يطرحها الشاعر بهذا التشخيص الجميل.

أما الصوره الأخرى التى يتحفنا بها الشريف فى قوله من القصيده نفسها واصفاً مصرع الحسين عليه السلام(٣):

قبلتْهُ الرِّماحُ وانتَضَلَتْ فى

ه المنايا وعانَقَتْهُ النُصُولُ

فنلحظ الشاعر قـد ابتـدع ثلاث صور كان الفاصل فيها واو العطف بما يعطى للمتلقى فرصه لأن يسـتوحى الصوره ويتأملها قبل أن ينقله إلى جوِّ الصوره الثانيه والتى بعدها يدخله فى الصوره الثالثه بواو العطف ومجموع الصور تمثل مصرع الحسين عليه

١- ينظر: م. ن: ١/٣۶٣، و١/ ۴٨٩، و٢/١٩٠

٢- م. ن: ٢/١٨٧

٣- م. ن: ٢/١٨٨

السلام وقد دارت به الدوائر من كل حدبٍ وصوبٍ، وكأن هذه الصور بتلاحقها سارعت من شدِّ المتلقى للحظات الأخيره لمصرع الحسين عليه السلام. وقوله فى طفيه أخرى(١):

لِلهِ مُلْقًى على الرَّمْضاءِ عضَّ بِهِ

فمُ الرَّدى بَيْنَ إقْدامٍ وتَشْمِيرِ

تَحْنو عليْهِ الرُّبى ظلّاً، وتَسْتُرُه

عَنِ النّواظِرِ أذيالُ الأعاصِيرِ

لعل حده الانفعال التى تمثلها الشاعر فى مصرع الحسين عليه السلام كانت وراء انفتاح مخيلته على صور متحركه مشخصه «فمُ الرَّدى بَيْنَ إقْدامٍ وتَشْمِيرِ» و«تَحْنو عليْهِ الرُّبى ظلّاً، وتَسْتُرُه» يعجب بها المتلقى ويسرح ذهنه فى تأمل وإعجاب.

كما نلحظ مجموعه أخرى من المجازات منتشره فى الطفيات مما أدى إلى تلوين النسيج اللغوى بألوان ضاعفت من بهاء الصوره وتحركها، وأعجبت المتلقى فراح يتأملها. ونمت عن مقدره فنيه عاليه امتلكها الشاعر وقدره على الإبداع والتخيل نادره. من تلك «والحزن جرحٌ بقلبىْ غيرُ مسْبورِ» «بنى أميَّهَ! ما الأسيافُ نائِمَهٌ» و«أطراف الرماح» و«كتائب حسره» «أطراف الفخار» «حيّتكَ بلْ حَيَّتْ طُلُولُكَ ديمهٌ» «يا جِبالَ المجْدِ عزّاً وعُلى».

ولا ننسى تشخيصه لكربلاء إذ وصفها الشاعر بالكرب والبلاء، وبتعجب خلفه التحسر يقول لها «كَمْ لَقِى عنْدَكِ آلُ المُصْطَفى» «كَمْ على تُرْبِكِ... غَسَلُوهُ بِدَمِ الطَّعْنِ، وَما كَفَّنُوهُ غيْرَ بَوْغاءِ الثَّرى».

ومن الأمثله البديعه التى أتحفنا بها الشريف قوله واصفاً شجاعه البيت العلوى(٢):

عُصَبٌ يُقمطُ بالنجادِ وليدُها

ومهودُ صبيتِها ظهورُ جيادِها

١- م. ن: ۴٨٨

٢- م. ن: ١/٣۶٣

لقد نقل الشاعر لنا إحساسه الطاغی العمیق بقوه وشجاعه البیت العلوی بصوره ملونه منفعله تلمس الوجدان وتثیر الخیال.

"إن الصوره عند الشریف قد مثلت تکافؤاً وتعادلاً بین المجاز والحقیقه بلغه انفعالیه رمزیه حین تبرز وتتجسد ظلالها لا تنسی الواقع الذی تمثله أو تسعی إلی تمثیله فی الأقل."(۱)

أما علی صعید الکنایه، وهی عمل أکثر تعقیداً من التشبیه والاستعاره، فقد کان حاضراً فی الطفیات، وجاء استخدام الشاعر له بشکل یدعو إلی الإعجاب والتأمل والتفکیر. فتراه یقول فی شجاعه الحسین علیه السلام یوم عاشوراء متخذاً أسلوب الکنایه طریقاً لذلک(۲):

حَجَلَ الخیْلُ مِنْ دِماءِ الأعادی

یَوْمَ یبْدو طَعْنٌ وتَخْفی حُجُولُ

فلم یقل الشریف إن الحسین علیه السلام قتل مقتلاً عظیماً من أعدائه وکانت دماؤهم تسیل من سیفه بغزاره کما هو معتاد فی تصویر تلک المشاهد الحربیه، ولکنه أشار إشاره لطیفه لذلک وهی أن الخیول احتجلت بدماء أعدائه أی بلغت ارتفاع الحجل من ساق الفتاه. ولم یکتف الشریف بهذه الکنایه فی صدر البیت فألحقها بأخری فی عجزه مستغلاً العلاقه اللغویه والموسیقیه بین (حجل) و(حجولُ). فلا یخفی فی عبارته (تخفی حجول) الکنایه عن النساء اللواتی یتسترن فی بیوتهن ولا یشترکن فی الحرب والقتال. وقد اسقط الشارع الإسلامی واجب الجهاد عن المرأه کما هو معروف. کما أعطی التجنیس بین (حجل) و(حجول) بین بدایه البیت ونهایته إیقاعاً موسیقیاً مضافاً لتعزیز وربط الصورتین معاً وکأنما أصبحتا قطعه واحده.

۱- بناء القصیده عند الشریف الرضی: ۲۱۴، د. عناد غزوان. ضمن کتاب الشریف الرضی دراسات فی ذکراه الألفیه.

۲- دیوان الشریف الرضی: ۲/۱۸۸

ومن الكنايات اللطيفه التی دبج بها طفياته قوله واصفاً حال السبايا من أهل بيت الحسين عليه السلام(۱):

وتَنقَّبْنَ بالأنامِلِ، والدّمْ

جج

عُ على كلِّ ذی نِقابٍ دليلُ

فلم يقل الشريف أن حرم الحسين عليه السلام وأهل بيته الكرام قد سلبن وانتهكت من قبل الأعداء، فلم يجدن ما يستر وجوههن من أعين الأعداء إلا أناملهن يضعنها على وجوههنَّ يتسترنَ بها، وليكفكفن الأدمع المصبوبه على عزهن الذی ذهب وعلى حماتهن الذين ذبحوا وقطعت رؤوسهم وحملت معهن.

كما كنى عن الإمام زين العابدين عليه السلام وهو الوحيد الذی سلم من واقعه الطف وسيق مع النساء أسيراً ذليلاً (۲):

ومَسُوقٍ عاثِرٍ يُسْعى بِهِ

خَلْفَ مَحْمُولٍ على غَيْرِ وِطَا

مُتْعَبٌ يَشْكُو أذى السير على

نَقبِ المَنْسِمِ، مجْزُولِ المِطا

وهناك مجموعه من الكنايات منتشره فی الطفيات ومتزاوجه من الأساليب الأخرى وقد مثلت مجموعه من الانفعالات كالشجاعه، وقوه البأس، والفخر بالذات.(۳)

۳ الإيقاع

أما على صعيد الإيقاع فقد استعمل الشاعر هذا المفصل لتعضيد المعنى فكان مكملاً له، ومعطياً بعداً مضافاً للصوره يجعلها أكبر تأثيراً فی المتلقی وأكثر التصاقاً بذاكرته.

وأول ما يمكن الإشاره له هو أن الشريف عمل طفياته على الأبحر الشعريه المشهوره، فنجد (الطويل، والبسيط، والكامل، والخفيف، والرمل). والملاحظ على هذه البحور أنها كثيره المقاطع مما يستدعی ذلك طول النفس فی عمليه الإنشاد بما يتلاءم

۱- م. ن: ۲/۱۸۹

۲- م. ن: ۱/۴۵

٣- ينظر:م. ن:١/٤٦ البيت ١١، ٣٦١ البيتين (٤،٨)، ٣٦٢ البيت ١٤، ٤٨٧ البيت ٤ و٢/١٨٨ البيت١٧.

وطبيعه الموضوع الشعرى، وهذه من خصائص الوزن القديم عموماً.(١) كما عمل الشريف الرضى على اختيار قوافٍ ملائمه لأبحره فكانت عنده (الدال، والدال + الهاء المطلقه، والراء، واللام، والألف المقصوره) وكان الشاعر فيها موفقاً إلى حدٍّ بعيد فى اختياره الأبحر والقافيه لموضوعه.

أما من ناحيه المطلع والذى قيل عنه بأنه "أول مايقرع السمع به ويستدل على ما عند الشاعر من أول وهله " (٢) فإن الشاعر قد حافظ على تصريعه لمطالع طفياته إلا ـ فى واحده منها لم يصرع. وربما وجد فى تصريعه لها عائقاً يمنعه من مجارات انفعاله والخوف من تبدده إذا ما شغل نفسه به. وفى الغالب لا ـ يأتى التصريع مع الانفعال السريع المتفجر وإنما مع الانفعال المستقر المتزن.(٣) وإذا ما علمنا عدم استقرار الأوضاع التى عاشها الشريف أثناء كتابته هذه الطفيه أدركنا سرَّ عدم تصريعه لها.

ويمكن الإشاره إلى اهتمام الشريف بالتصريع الداخلى أو ما يعرف (بتجديد المطلع) (٤) فى طفيته الشهيره (كربلاء لا زلت كرباً وبلا) وقد عمل ذلك على شدِّ المستمع لما يطرحه، ويزيد من انتباهه مع تمدد القصيده بشكل واضح. وهو والحاله هذه أشبه بمحطات استراحه ينطلق عقب كل محطه إلى مسافه شعوريه انفعاليه جديده.

ويلجأ الشريف إلى نمط من التنسيق الجمالى لعناصر النص الشعرى وذلك بالتكرار، كأن يلح "على جهه هامه من العباره يعنى بها أكثر من عنايته بسواها"(٥) لينقل صدى انفعالاته العاطفيه للمتلقى بشكل واضح، إذ يشترك المعنى والصوت فى تشكيل الصوره.

١- موسيقى الشعر: ٢١٢

٢- العمده: ١/٢١٨

٣- ينظر: لغه شعر ديوان الهذليين: ١٧٠

٤- بناء القصيده: ٣٧٥.

٥- قضايا الشعر المعاصر: ٢٤٠.

فنراه يكرر الأدوات خاصه فى بدايه أبياته مما يعطى نغماً إيقاعياً مضافاً مع ما تبثه هذه الأدوات من أسئله ونداءات تحمل عواطفَ وانفعالاتِ صاحبه. وقد مرَّت بنا أمثله منها نستغنى بذكرها هنا. ويدخل ضمن ضروب التكرار التجنيس وهو اتفاق الحروف كلياً أو جزئياً فى الألفاظ مما يفيد تقويه النغم وتناسقه فى البيت ويعاضد المعنى الذى قصد إليه الشاعر بما يثير من تصورات موحيه فى مخيله المتلقى.(١) وقوه الجناس متأتيه من "كونه يقرب مدلول اللفظ وصوته من جهه، وبين الوزن الموضوع فيه اللفظ من جهه أخرى"(٢).

وقد اهتم الشريف اهتماماً بالغاً بهذا المفصل ولكنه لم يتصنعه تصنعاً أو تكلفاً وإنما جاء عنده طبيعياً خالياً من التكلف والتعقيد. وكان الجناس الاشتقاقى وهو تشابه جزئى فى عدد حروف الألفاظ أكثر بروزاً فى طفياته. وقد أعطى وروده فى الأبيات تناغماً صوتياً لذيذاً لدى السمع ومن ذلك(٣):

تَكْسِفُ الشمسُ شُموساً منْهُمُ

لا تُدانيها ضِياءً وَعُلى

وَتَنُوشُ الوَحْشُ مِنْ أجسادِهِمْ

أرْجُلَ السَّبْقِ وَأَيمانَ النّدى

فأنت تلحظ أنَّ الشاعر جانس بين (الشمس وشموساً) و(تنوش) الفعل مع فاعله (الوحش) مما أعطى دفقه شعريه ومدّاً انفعالياً مضافاً للتركيب. مع جلب انتباه المتلقى له.

وقوله:(٤)

جَزَرُوا جَزْرَ الأضاحى نَسْلَهُ،

ثمَّ ساقوا أهْلَهُ سَوْقَ الإما

فقد جانس بين (جزروا، جزر) و(ساقوا، سوق) مما أعطى توزيعاً صوتياً متبادلاً ـ بين صدر البيت وعجزه استطاع به أن يؤكد الصوره الأليمه التى صورها لمصرع الحسين

١- ينظر: جرس الألفاظ: ٢٨٤

٢- المرشد إلى فهم أشعار العرب: ٢/٢٣٤

٣- ديوان الشريف الرضى: ١/٤٤

٤- م. ن: ١/٤٥

عليه السلام وأهله وأصحابه ومن ثم سبى نسائه كالإماء. وقوله:(١)

شاكياً مِنْهُمْ إلى اللهِ، وهلْ

يُفْلِحُ الجيلُ الذى مِنْهُ شكا

فأنت تلحظ أنه جانس بين (شاكياً) التى ابتدأ بها صدر البيت مع الكلمه الأخيره من العجز (شكا) فأحكم بذلك حلقه الصوره التى بدأها وأعطى معنى مضافاً لها.

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن هذا الأسلوب من الأساليب الإيقاعيه المشهوره التى أشار إليها النقاد القدامى تحت مصطلح "رد الأعجاز على الصدور"(٢)

ومن أمثاله عند الشريف الرضى:(٣)

لئِنْ رقَدَ النُّصّارُ عما أصابَنا

فما اللهُ عمَّا نِيلَ منَّا براقِدِ

وقوله:(٤)

مِغْوارُ قَوْمٍ، يرُوعُ الموتُ مِنْ يَدِهِ

أمْسى وأصْبَحَ نَهْباً للمَغاوِيرِ

وأبيضُ الوَجْهِ مَشْهورٌ تَغَطْرُفُهُ

مَضى بِيَوْمٍ مِنَ الأيامِ مَشْهورِ

فقد جانس بين (مغوار ومغاوير) فى البيت الأول، وفى البيت الثانى جانس جناساً تاماً بين مشهور التى عنى ما شاع عنه، والثانى (مشهور) أى بمعنى معروف بارز.

كذلك فعل فى البيت الأخير من القصيده نفسها:(٥)

إنَّ السلوَّ لمَحظورٌ على كَبِدِى

وما السلوُّ على قلبٍ بمَحْظُورِ

ومن الجناسات البديعه عنده قوله(٦):

يا حُساماً فلتْ مضارِبُه الها

مَ وقد فله الحسامُ الصقيلُ

يا جَواداً أدْمى الجَوادَ مِنْ الطَّعْ

نِ وولى ونَحْرُهُ مبْلُولُ

١- م.ن: ١/٤٨

٢- كتاب الصناعتبن: ٤٠٠ - ٤٠٣

٣- ديوان الشريف الرضى: ١/٣٦٦

٤- م. ن: ١/٤٨٩

٥- م. ن.

٦- م. ن: ٢/١٨٨

فنلحظ فی هـذین البیتین تراکماً صوریاً إیقاعیاً یتجسـد من خلال اسـتعاره الشاعر کلمه(الحسام) المسـبوقه بیاء النـداء لوصـف الحسـین علیه السـلام بالشـجاعه والقوه والإقـدام، أمـا (حسام) الثانیه جاءت بالمعنی المتعارف علیه، کما جانس بین (فلت، وفله) و(الهام والحسام) المتوزعه علی الشطرین.

أما علی صعید البیت الثانی فقـد جانس بین (جواد) المسـبوقه بیاء النداء وقد اسـتعارها لکرم الحسـین علیه السـلام وشـرف منبته وأصالته، و(جواد) الثانیه لمعناها المتعارف (الحِصان) الأصـیل، کما جانس بین (أدمی) و(ولی) المتوزعه علی الشـطرین. إن هذا التراکم الإیقـاعی الصوی إن صـح التعبیر ولیـد الانفعـال القوی الصادق مع إمکانیه التعبیر المتمیزه عنـد الشاعر الـذی نقل انفعاله وإحساسه ذلک إلی المتلقی وأثر فیه عمیق الأثر.

وعمـد الشـریف الرضـی إلی نوع آخر من الجناسـات وهو المجـانسه بین اللفظتین الأـخیرتین من البیت الشـعری، مما یعطی نغماً أقوی وأوقع فی السـمع والقلب، خاصه وأن نهایه البیت تعنی قفل الصوره مع قفل الوزن، وفی الغالب ما یتآصران ویتحدان فیزید ذلک من التأثیر فی المتلقی.

قال الشریف الرضی(١):

أترانی أعِیْرُ وَجْهی صَوْناً

وعلی وَجْهِهِ تَجُولُ الخُیُولُ

وقوله أیضاً من القصیده نفسها(٢):

کلُّ باکٍ یُبْکی علیهِ، وإنْ طا

لَ بَقاءٌ، والثاکلُ المَثکولُ

وقوله فی طفیه أخری(٣):

١- م. ن: ٢/١٨٨

٢- م. ن:١٨٧

٣- م. ن: ١/٣٦٣

من عُصْبَةٍ ضاعَتْ دماءُ محمَّدٍ

وبَنِيهِ بَيْنَ يزيدِها وَزِيادِها

إنَّ هـذه النمـاذج وغيرهـا تأكـد إمكـانيه الشـاعر فى تطويع هـذا المفصـل بإحكام فى بناء موسـيقاها وتآصـرها لتشـكيل الصوره وأحداث الأثر المرجو فى المتلقى.

ومن المفاصـل الإيقـاعيه التى اسـتعملها الشـريف فى طفيـاته هو التقطيع "وهو تجزئه الوزن الشـعرى إلى وحـدات مكثّفه المعنى متسـاويه أو مختلفه الأطوال، متوازنه الصوت"(١) ومن شأن هذا التوازن أن "يضـفى على الكلام ويحسـنه"(٢) خاصه إذا كانت هذه الوحدات على زنه واحده وحرف واحد إذ يتحقق بها صوره التوازن بشكل كامل.(٣)

وقد غزا هذا المغزى القدماء والمحدثون من شعراء العرب قبل الشريف الرضى.(٤)

وإذا ما اسـتقرأنا الطفيات وجـدنا اسـتعماله لهـذا الأسـلوب بشـكل يـدعو للالتفات. ومن هـذه النماذج المسـتقرأه كانت وحداتها متنوعه على عدد التفعيلات بدون زياده أو نقصان فى الشطر الواحد.

قال الشريف:(٥)

أغنى طلُوعُ الشمْسِ عنْ أوْصافِها

بجلالِها وضِيائها وبَعَادها

فكلمـات الشـطر الثـانى قـد وزعهـا الشـريف على تفعيلات الشـطر الثلاث بحيث إن كل كلمه قابلت تفعيله منها (متفاعلن) ونجد ذلك فى قوله:(٦)

بىْ نِزاعٌ يطغى إليْكَ وَشَوْقٌ

وَغَرامٌ وزَمْزَهٌ وَعَوِيلُ

فتوزعت كلمات الشطر الثانى على تفاعيل بحر الخفيف والتى هى (فاعلاتن،

١- لغه شعر ديوان الهذليين: ٢٠٦

٢- الأسس الجماليه فى النقد العربى: ٢٢٦

٣- م. ن: ٢٢٤

٤- ينظر: نقد الشعر: ٤٦

٥- ديوان الشريف الرضي: ١/٣٦٤

٦- م. ن: ٢/١٨٩

مستفعلن، فاعلاتن) مع دخول زحاف الخبن عليها.

ونجد أيضاً التقطيع الجزئى الذى كان ميل الشاعر له أقوى من سابقه لأن العمل الأول أصعب من الثانى خاصه وان تطويع المعنى «الصوره» للقالب الوزنى مع توزيعها إلى وحدات متساويه يكلف الشاعر جهداً، وربما أبعده عن غايته المراده فى التعبير.

والتقطيع الجزئى بعد ذلك لا ـ يلتزم بتوافق التقطيع مع التفعيلات العروضيه للقالب الوزنى فيكون أكثر راحه فى التشكيل لدى الشاعر من ذلك قوله:(١)

وَوُجُوهاً كالمصابيحِ، فَمِنْ

قَمَرٍ غابَ، ونَجْمٍ قَدْ هَوى

وقوله:(٢)

القفرُ مِنْ أوْراقِها، والطيْرُ منْ

طُرَّاقُها، والوحشُ مِنْ عُوَّادِها

وقوله:(٣)

قبلتْهُ الرِّماحُ وانتَضَلَتْ فى

هِ المنايا وعانَقَتْهُ النُصُولُ

وربما وازن الشاعر فى تقطيعه بين بدايه صدر البيت مع بدايه عجزه وبذلك يطيل من الزمن المستغرق بين التقطيعين ويحدث ارتداداً صوتياً متناسقاً من ذلك قوله:(٤)

وتَشاكَيْنَ، والشكاهُ بُكاءٌ

وتَنادَيْنَ، والنِّداءُ عَويلُ

وقوله:(٥)

والْبارِقاتُ تَلَوَّى فى مَغامِدِها

والسَّابِقاتُ تَمَطَّى فى المَضاميرِ

ولربما انضـمر التقطيع بزوال التسجيع وتباين أطوال الوحدات المقطعه مع تقاطعها عروضياً، ولكن الشاعر يستثمر ما لقوالب الأداء من تماثل فيعزز به التوزيعات

١– م. ن: ١/٤٤

٢– م. ن: ١/٣٦٣

٣– م. ن:٢/١٨٨

٤– م. ن: ٢/١٨٩

٥– م. ن: ١/٤٨٩

الإيقاعيه المتشكله ضمن الوحدات المتكرره، وربما عضد العطف بالنفى أو النداء أو حروف أخرى فيزيد بذلك التقطيعات الموزونه فى البحر الشعرى، مع اختلاف تمدداتها المستغرقه فى تراكيبها. من ذلك قوله:(١)

لا أرى حُزْنَكُمُ يُنْسى ولا

رِزْءكم يُسْلى، وإنْ طال-المَدى

وقوله:(٢)

ربَّ ما حاموا، ولا آووا، ولا

نصُروا أهْلى، ولا أغْنوا غنا

وقوله:(٣)

يا رَسُولَ اللهِ يا فاطِمَهٌ

يا أميرَ المُؤْمنينَ المُرْتَضى

وقوله:(٤)

مِنْ رَميضٍ يُمْنَعُ الظلَّ ومِنْ

عاطشٍ يسقى أنابيبُ القَنا

وقوله:(٥)

مطرٌ ناعمٌ، وريحُ شمالٍ

ونسيمٌ غضٌّ، وظِلٌّ ظليلُ

ويظهر من هذه النماذج والنماذج التى سبقتها قيمه التقطيع الصوتى، وتآصره مع التكرار بما يحمل من وحدات متوازنه على المستوى الدلالى والصوتى.

وقد بثَّ الشاعر خلالها أحاسيسه وانفعالاته بما يضفى على المعنى حده النبره المتأتيه من قوه التوقيع الموسيقى لها. كما اتضحت إمكانيه الشريف فى مسك أدواته الموسيقيه بما يمكنه من تشكيل الصوره وإعطائها بعداً مضافاً ودلاله مؤكده تثبت فى ذهن

المتلقى وتثير فيه التأمل والتفكير.

١– م. ن: ١/٤٧

٢– م. ن: ٤٨

٣– م. ن: ٤٦

٤– م. ن: ١/٤٤

٥– م. ن: ٢/١٨٩

نتائج الإجراء

ومن خلال المباحث الثلاثه يمكننا تسجيل مجموعه من النتائج وهی علی النحو الآتی:

١ . لقد اتخذ الشاعر من الحسين عليه السلام نبراساً ومثالاً فی حياته، ومثلت واقعه الطف التداعی النفسی الذی يلجأ إليه الشاعر فی أوقاته العصيبه ليتزوَّد منها التحدی والقوه والصبر علی المكاره والفداء فی غربه لذيذه العذاب.

٢ . مثَّلت الطفيات منعطفاً شعرياً مهماً لدی الشاعر، فجاءت متكامله البناء والنسج.

٣ . أظهر الشريف الرضی تفرداً فی بنائه الشعری للطفيات فعلی الرغم من تمسكه بالمحاور البنائيه للقصيده العربيه فإنه استطاع أن يضخَّ فی نسجه روحاً جديده تمثله هو.

٤ . كانت وحدات البناء الهيكلی مترابطه بشكل كلِّی وهذا متأتٍ من وعيه بموضوع تجربته وصياغتها باللغه.

٥ . استطاع الشريف أن يؤثر فی متلقيه ويشحذ ذهنه بصورٍ ملونه وإيقاعات متناسقه كانت ثمره لمخاض التجربه الشعوريه الصادقه التی مرَّ بها.

٦ . كان الموروث الشعری واضحا فی طفياته عن طريق وجود مفاصل موضوعيه وهيكليه، من ذلك المقدمه الطلليه، وحوار العاذله، وكذلك الدعاء بالسقيا لقبر المرثی.

٧ . مثَّل الطلل للشريف الرضی فی طفياته أرضا مقدسه وقف بها وأناخ، وتذكَّر ما جری بها، وبكی علی من سقطوا عليها، وتحسَّر علی مجده المضاع فيها، فصاغ بذلك

طللا جديدا هو أسمى وأعمق من طلل الجاهلى الذى وقف وبكى واستبكى وسأل الطلل ولم يجبه.

۸ . كان التذكير بمصرع الحسين عليه السلام يوم عاشوراء طريقا يتخذه الشاعر للدخول فى موضوعه، إذ كان ذلك بمثابه الشراره التى توقض أو تشعل انفعالات الشاعر ومشاعره لتكون مدخلا أو نافذه للتنفيس عن ألمه وحزنه.

۹ . يمكننا استشفاف معنى عام أوحت به البنيتان الخارجيه والموضوعيه وهو ان أرض الطف وما حلَّ عليها كان أساس الانطلاقه الصحيحه للحياه الإنسانيه النبيله، والحياه الحقَّه الخاليه من الظلم والجور، فضلا عن تمثلها الثوره الكبرى ضدَّ الطغاه والمستبدين والظالمين فى كلِّ زمان ومكان.

۱۰ . اما على صعيد البنيه الداخليه فقد زاوج الشريف الرضى بين الألفاظ الغريبه والواضحه لإخراج صوره متناسبه مع الغرض وفى الوقت نفسه تلمح فيها الابتكار والجده.

۱۱ . ساعدت الأساليب التركيبه (النداء، الاستفهام، النفى، الشرط) والبيانيه (التشبيه، الاستعاره، المجاز، الكنايه) على تلوين النسيج الشعرى بألوان كانت ثمره لانفعالات الشاعر وتنوعها، فجاءت الصور متنوعه تبعاً لذلك.

۱۲ . استثمر الشاعر مفصل الإيقاع بكل تنوعاته لتعضيد المعنى وتثبيته فى ذهن المتلقين وساعد على إضفاء مسحه جماليه مضافه للنص الشعرى.

۱۳ . نلخِّص ما تقدم انَّ الشريف الرضى كان ممسكاً بأحكام أدواته الشعريه، إذ برع فى استخدامه ألفاظه ومطابقتها للمعنى الذى يهدف إليه، مستغلاً الإمكانات التركيبه والتلوينيه وكذلك الموسيقيه لتحقيق ورسم الصوره المبتغاه. وأثر فى متلقيه بصوره كبيره واضحه.

الإجراء الثانی: طَفِّیّات الشیخ صالح الکواز الحلی– دراسه موضوعیه تحلیلیه

اشاره

مقدمه الإجراء

الحمـد لله رب العـالمين، والصـلاه والسـلام على مـن بعث رحمه للعـالمين سـيدنا محمـد خير خلـق الله أجمعين، وعلى أهـل بيته الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم ووالاهم بيقين... وبعد:

فـإنَّ الشـعر أو الأدب - بشـكل عـام - المتعلق بواقعه الطف خـاصه، وبأهـل البيت (عليهم السـلام) عامه كان أدباً محظوراً تناوله بالتحليل والـدرس في الحقبه الماضـيه، لـذا كانت أغلب الـدراسات المنجزه في هـذا الجانب دراسات لم يكتبها أصـحاب الشأن الحقيقيون، أو أصـحاب الأرض الحقيقيون، وهذا لا يعنى انتقاصاً مما كتبه الآخرون واجتهدوا فيه، ولكن الأولى ذلك وكما جاء في المثل المشهور: (أهل مكه أدرى بشعابها).

ولم يزل التراث الشيعي يحفـل بكثير من العطـاء على مر عصوره، وهو تراث ثرٌّ معطـاء، ويوجب انتماؤنا إليه الوفاء له ويتم ذلك بإحيـائه واسـتخراج كوامن الإبـداع والتفرد فيه حتى يشـخص أمـام أعين الآخرين من المتربصـين والأعـداء، وحتى لا يقولوا أو يتقولوا على هـذا التراث مـا شـاء لهم القيـل والقال، فقـد بـدأنا مرحله جديـده يتوجب علينا فيها ويتحتم أن ننهض بتراثنا وننفض الغبار عنه حتى يعود بأبهى حله، وأجمل صوره.

ونسلط اليوم الضوء على شاعر من شعراء الشيعه فى حقبه مليئه بكبار الشعراء الذين تغنوا بحب أهل البيت والوفاء لهم، وهو الشيخ صالح الكواز الحلى والحقبه القرن التاسع عشر الميلادى الذى ضم مجموعه من الشعراء عاصروا شاعرنا وهم: السيد حيدر الحلى والسيد جعفر الحلى والشيخ محمد على كمونه وجواد بدقت والشيخ محسن أبو الحب الكبير وغيرهم من أعلام هذا القرن البارزين.

واشتهر شاعرنا الشيخ صالح الكواز الحلى بقصائده فى حب أهل البيت(عليهم السلام)، وقد نالت الإعجاب والاستحسان، فضلًا عن ذلك تجلت شاعريته وفنيته فيها، وإليها أشار السيد حيدر الحلى بقصيدته التى رثى بها شاعرنا رحمه الله بقوله(١):

ولك السائرات شرقاً وغرباً

جئن بعداً ففتن ما جاء قبلا

كنت أخلصت نيه القول فيها

فجزاك الحسين عنهن فعلا

فهى (الصالحات) بعدك تبقى

بلسان الزمان للحشر تتلى

ووسم جامع ديوانه الشيخ محمد على اليعقوبى هذه القصائد بعد أن أفردها ب(العلويات)، وكان لنا نظر فى هذا المصطلح وغيره من المصطلحات التى تعلقت بأدب الطف بشكل عام، وقد أوضحنا ذلك فى تمهيد الكتاب، وانصبت الدراسه على هذه القصائد.

وتشكلت ملامح البحث من تمهيد ضمَّ شيئا من حياه الشاعر ومنزلته الأدبيه، وعقب التمهيد ثلاثه محاور موضوعيه تقدمها فرش عن أهميه موضوع القصيده وترابط أجزاء بنائها بعضها بالبعض الآخر.

أما المحور الموضوعى الأول فى طفيات الشيخ صالح الكواز الحلى فقد تناول الحسين عليه السلام ومصرعه على أرض الطف، وما مثله من قيم دينيه وخلقيه مقدسه، وتعلق بهذا المحور محور ثانٍ وهو أصحاب الحسين عليه السلام ووصف

١- ديوان السيد حيدر الحلى: ٢ / ١٣٧.

مصرعهم وشجاعتهم ودفاعهم عن الحسين عليه السلام وتعاملنا معهما بوصفهما محورا موضوعيا واحدا مع الاحتفاظ بخصوصيه كل منهما.

أما المحور الموضوعى الثانى فقد تناول زينب عليها السلام والسبايا، إذ كان محوراً موضوعياً متميزاً عند الشاعر.

أما المحور الموضوعى الثالث فقد تناول صوت الشاعر فى طفياته، وقد تجلى فى مقدماتها وخواتيمها بشكل ملحوظ.

وتلا هذه المحاور الموضوعيه الثلاثه خاتمه ضمت أبرز النتائج التى توصل إليها البحث.

التمهيد

شیء من حیاته، ومنزلته الأدبیه

ینتسب شاعرنـا أبـو المهـدی صالـح بن مهـدی بن حمزه آل نوح إلی قـبیله (الخضـیرات) إحـدی عشـائر شـمَّر المعروفه فی نجد والعراق (۱)، وأمه من أسره آل العذاری المعروفه بالفضل والأدب(۲)، وعرف بـالکواز لأنها کانت مهنه أبیه إذ کان یعتاش علی بیع الکیزان والجرار والأوانی الخزفیه(۳)، وکـانت ولادته فی الحله سـنه ۱۲۳۳ ه الموافق لسـنه ۱۸۴۶ م(۴)، ونشـأ وترعرع فیها، ولذلک لقب أیضاً بالحلی.

اشـتهر صالـح الکواز بورعه ونسـکه وإحیائه الأیام واللیالی بالعباده والتقرب إلی الله تعالی، وکان "یقیم الجماعه فی أحد مساجد (الجبـاویین) بـالقرب من مرقـد أبی الفضائل السـید أحمـد بن طاووس، وللناس به أتم وثوق فی الائتمام"(۵) ولعل نسـکه وضیق ذات یده وراء وصفه بأنه "رث الثیاب یزدریه الناظر إلیه"(۶) وهو مع ذلک "یحمل

۱- البابلیات: ۲ / ۸۷، ودیوان الشیخ صالح الکواز الحلی: ۴.

۲- دیوان الشیخ صالح الکواز الحلی: ۴.

۳- أدب الطف: ۷ / ۲۱۴ – ۲۱۵، ودیوان الشیخ صالح الکواز الحلی: ۵.

۴- البابلیات: ۲ / ۸۷، ومشاهیر شعراء الشیعه: ۲ / ۳۱۶، ودیوان الشیخ صالح الکواز الحلی: ۴.

۵- مثیر الأحزان: ۲۸۰، ودیوان الشیخ صالح الکواز الحلی: ۶.

۶- أعیان الشیعه: ۱۱ / ۴۰۴.

بین جنبیه نفساً أبیه تفیض عفه وشـرفاً وعزه وکرماً متعففاً عما فی أیدی الناس، قانعاً بما قدر لها من الرزق، مترفعاً عن الاستجداء بشعره"(۱).

ووصف بأنه خفیف شـعر العارضین، أسمر اللون(۲)، ملیح النکته(۳) لطیف الحاضره، یطابق اسمه مسماه(۴)، وکان له أخ أصغر اسـمه (حمـادی) اشـتهر بکونه شـاعراً متمیزاً کأخیه الشـیخ صالـح، ولکن الفرق بینهما هو أن (حمادی) کان سـلیقی النظم یقول فیعرب، ولاـ معرفه له بـالنحو، فی حین کـان المترجم له علی جـانب عظیم من الفضل والتضـلع فی علمی النحو والأدب(۵)، فقد درس علوم اللغه العربیه، والشـریعه الإسلامیه علی الشیخ علی العذاری والشیخ حسن الفلوجی والسید مهدی داود(۶)، ومن أشهر أساتذته أیضاً السـید مهدی القزوینی الذی له مدائح فیه، وفضلاً عن ذلک فإن المطالع فی دیوانه یلمس ثقافه وإطلاعا علی علوم العربیه والتاریخ والمنطق والفقه والعقائد بشکل واضح.

ویعد شاعرنا من المکثرین و"حدث أنه جمع المختار من شـعره، وشعر أخیه فی دیوان سماه (الفرقدان) حرصت علیه زوجته بعد وفـاته کـل الحرص، ثمَّ لاـ یـدری أین ذهب، وقیل أن ولـده عبـد الله جمع المختار من شـعر والـده فی دیوان رتبه علی الحروف الهجائیه استعیر منه ولـم یعد إلیه"(۷) فکان من النفائس الثمینه التی ضاعت فی ذلک العهد ولم یعثر علیها.

۱- دیوان الشیخ صالح الکواز الحلی: ۵.

۲- أدب الطف: ۷ / ۲۱۵.

۳- شعراء الحله: ۳ / ۱۶۳.

۴- البابلیات: ۲ / ۸۷.

۵- دیوان الشیخ صالح الکواز الحلی: ۴، قال محقق الدیوان محمد علی الیعقوبی: «إن صاحب أعیان الشیعه اختلط علیه الأمر بین الأخوین (صالح وحمادی) من أن کلیهما سلیقی النظم یقول فیعرب ولا معرفه له بالنحو فی حین أن ذلک مخالف للحقیقه».

۶- معجم الشعراء العراقیین: ۱۸۰.

۷- البابلیات: ۲ / ۹۰، ودیوان الشیخ صالح الکواز الحلی: ۱۳.

وقد نهض الشيخ محمد على اليعقوبى لجمع ما تيسر له جمعه من شعر الرجل وإصداره فى ديوان وسمه ب(ديوان الشيخ صالح الكواز الحلى)، وقد وقع فى ألف وخمسمائه بيت شعرى فضلًا عن ترجمه وافيه للشاعر ومنزلته الأدبيه فى ذلك العصر.

وإذا عرَّجنا على منزله الشاعر الأدبيه فإننا نجده قد تمتع بشهره كبيره فى أكثر محافظات العراق، وكان ذكره على ألسنه الشعراء المعروفين فى ذلك الوقت أمثال السيد حيدر الحلى وعبد الباقى العمرى وعبد الغفار الأخرس(۱) فضلًا عن اشتهار قصائده فى أهل البيت (عليهم السلام) فى المحافل الحسينيه وإنشاد الخطباء لها فى المناسبات الدينيه، فكانت منابر بغداد والحله والنجف وكربلاء والبصره تصدح بها، ومن تلك القصائد قصيده أولها(۲):

هل بعد موقفنا على يبرين

أحيا بطرف بالدموع ضنين

قد عارضها مجموعه من الشعراء البارزين فى تلك الحقبه من أمثال جواد بدقت ومحسن أبو الحب الكبير وحسن قفطان النجفى، وهذه المعارضه تدل على تأثرهم الشديد بشعر الرجل واستحسانهم إياه، وتدل أيضاً على علو شأنه وإمكانياته الفنيه والشعريه آنذاك (۳).

أما وفاته – رحمه الله – فتخبرنا المصادر بأنها كانت سنه ۱۲۹۱ه وقيل ۱۲۹۰ه الموافق ۱۹۰۳م فى الحله، ونقل جثمانه إلى النجف الأشرف، ودفن فى مقبره وادى السلام(۴)، وقد أقام مجلس العزاء على روحه ثلاثه أيام العلامه السيد مهدى القزوينى،

۱- تنظر أخباره فى ديوان الشيخ صالح الكواز الحلى: ۱۲ – ۱۳.

۲- م.ن: ۴۵.

۳- ينظر م.ن: ۱۰ – ۱۲.

۴- البابليات: ۲ / ۸۷، وشعراء الحله: ۳ / ۱۶۱، ومعارف الرجال: ۳۷۶، ومشاهير شعراء الشيعه: ۲/ ۳۱۶، وديوان الشيخ صالح الكواز الحلى: ۴.

ورثاه مجموعه من شـعراء عصـره فی مقدمتهم السید حیدر الحلی الذی رثاه بقصیده طویله توجع فیها لفقده، واشاد بأخلاقه ونبله وحسن سیرته، فضلاً عن إشادته بحسن شعره واشتهاره، فنراه یقول(۱):

ثکل أم القریض فیک عظیم

ولأم الصلاح أعظم ثکلا

قد لعمری أفنیت عمرک نسکاً

وشحنت الزمان فرضاً ونفلا

إن تعش عاطلاً فکم لک نظم

بات جید الزمان فیه محلا

ولک السائرات شرقاً وغرباً

جئن بعداً ففتن ما جاء قبلا

کم قرعن الأسماع بیتاً فبیتاً

فأفضن العیون سجلاً فسجلا

إنها شـهاده عظیمه من لدن شاعر کبیر وشخصـیه دینیه مرموقه، کشـفت من دون لبس عن صـلاح الشیخ صالح الکواز واستقامته وحسن سـیرته من جهه وحسن نظمه وبراعته واشـتهاره من جهه أخری، ومن الجهتین یمکننا القول بأن الشـیخ صالح الکواز کان رجل المبدأ والعقیده فی حیاته وشعره..

المحاور الموضوعیه فی طفیات الشیخ صالح الکواز الحلی

یشـکل موضوع القصـیده أهمیه کبری للشاعر من حیث ارتباطه بالابتداء الذی یمهد به الشاعر لموضوعه الأساسـی ثم یتسلسل به حتی خـاتمته التی تأتی مکمله له، "لـذا کانت بنیه الموضوع ملخصه لفحوی الابتـداء والانتهاء"(۲) وعلی هـذا یمکننا القول: إنَّ القصـیده الـتی ظهرت فیهـا ملامـح البنـاء الفنی هی عبـاره عن موضـوعـات عـدَّه، فمن موضوع المقـدمه والابتـداء إلی الموضوع الرئیس فیها الـذی یتفرع بـدوره إلی مجموعه من الموضوعات المرتبطه به، إلی موضوع الخاتمه الـذی ینهی به الشاعر قصـیدته، علی أنَّ هذه الأجزاء التی یظهر علیها التفرق وربما التضاد وعدم التوازن یوحدها "الخیال: القوه

١- ديوان السيد حيدر الحلي: ٢ / ١٣٧.

٢- طفيات الشريف الرضي دراسه في البناء الهيكلي والموضوعي:١٣.

التى بواسـطتها تستطيع صوره معينه أو إحساس واحد أن يهيمن على عده صور أو أحاسيس فى القصيده فيحقق الوحده فيما بينها بطريقه أشبه بالصهر"(١).

وعلى هـذا الأسـاس نقـول: إنَّ مـا يرى من تعـدد فى الموضوعـات فى دراسـتنا للقصائـد (الطفيـات) هو أمر اقتضـاه طـابع البحث ومنهجيته ليس إلا، هذا من جهه، من جهه أخرى ننبه إلى أنَّ تعدد الموضوعات فى القصـيده العربيه بشـكل عام لم يكن اعتباطياً بل تجلَّت فيه سـمه القصديه، وسار الشـعراء ويسيرون على نظام معين، ونسق موروث سنه القدماء منذ عهد متقدم فى الجاهليه مع تفـاوتهم فى مقـدار التبعيه والالـتزام، وحين نقول: نظام معين، نعنى أنه لم يكن عشوائياً وإنما كان منظماً ومرتباً ومراعياً فى ذلك المستمع أو المتلقى(٢).

١- ينظر بناء القصيده الفنى: ١٦ – ١٧.

٢- ينظر: الشعر الجاهلى خصائصه وفنونه: ١٢٥ – ١٢٦.

المحور الأول: الحسين عليه السلام وأصحابه

لعل أول محور من المحاور الموضوعيه التی دارت علیها (طفيات) صالح الكواز الحلی وكان عنصراً بارزا فيها هو الحسين عليه السلام ومصرعه على أرض الطف، وما مثله من قیم دينيه وخلقیه مقدسه، وما أضفی علیه من وصف لشجاعته وكرمه وظمئه فی ذلک الیوم العصيب، وفی الغالب جاء هذا المحور متداخلاً مع محور موضوعی آخر مرتبطٍ معه وهو أصحاب الحسين (عليهم السلام) ووصف مصرعهم وشجاعتهم ودفاعهم عن الحسين عليه السلام وعن حرم آل الرسول، لذلک سنتناول هذين الموضوعين معاً آخذين بنظر الاعتبار خصوصیه الموضوع الواحد.

وتطالعنا أول تلک القصائد، وقد ابتدأها الشاعر باسم الحسين عليه السلام فنراه يقول(١):

باسم الحسين دعا نعاءِ نعاءِ

فنعی الحیاه لسائر الأحیاءِ

وقضی الهلاک علی النفوس وإنما

بقيت لیبقی الحزن فی الأحشاء

یوم به الأحزان مازجت الحشی

مثل امتزاج الماء بالصهباء

١- ديوان الشيخ صالح الكواز الحلی: ۱۷

لقـد جعـل الشـاعر من هـذه الأبيـات الثلاثه مـدخلاً أو مقـدمه لموضوعه، فالحسـين المنعى، والحسـين الحزن الباقى فى الأحشاء والحسـين الحياه لسائر ألأحياء، والحسـين الحزن الممزوج بالحشـى كما تمتزج الماء بالصهباء، وهذا التشبيه مكرر استعمله الشاعر لإثبات حاله المقارنه، ثم يبدأ موضوعه الرئيس بقوله:

لم أنس إذ ترك المدينه وارداً

لا ماء مدين بل نجيع دماءِ

قد كان موسى والمنيه إذ دنت

جاءته ماشيه على استحياء

وله تجلى الله جلَّ جلاله

من طور وادى الطف لا سيناء

فهناك خرَّ وكل عضو قد غدا

منه الكليم مكلم الأحشاء

إنَّ هذه البدايه الموضوعيه تشـير إلى مسأله مهمه وهى أن بدايه واقعه الطف ليست فى يوم العاشـر من عاشوراء، وإنما كانت منذ خروج الحسـين عليه السلام من مدينه جده (المدينه المنوره) بعدما شعر بخطر الأعداء وتربصهم به، وهنا يستغل الشاعر المورروث الـدينى والقصـص القرآنى، فيربط بين خروج موسـى عليه السـلام من مصـر خائفاً مترقباً إلى (مدين) حيث ماؤها العذب والتقاؤه ببنتى شـعيب عليه السـلام إذ جاءته إحداهما تمشـى على اسـتحياء إذ طلبت منه السـقاء لأغنامهم(۱)، ولكن هذا المشـهد الجميل بتفاصـيله التى أوحى بها الشاعر مسـتغلاً معرفه المتلقى (السامع) بتفاصـيلها لم يكن كـذلك فيما وقع للحسـين عليه السـلام، فماء مدين الذى جاءه موسـى عليه السلام قابله نجيع الدماء بكربلاء، وما بنت شعيب عليه السلام التى جاءت لموسى عليه السلام على اسـتحياء إلا المنيه المحتومه والمصـير المقدر الذى لاقاه أبو الشـهداء، وحيث تجلى الله جل جلاله لموسـى فى طور سـيناء تجلى للحسـين فى طور وادى الطف، فهناك وقع الحسـين عليه السـلام ولم يكن فيه عضو لم تصله سيوف الأعداء ورماحهم وسهامهم الغادره، ولم يكن من موسى الكليم إلا أن يتألم

۱- تنظر قصه ذلک فی سوره القصص: ۲۵.

على كل عضو مجروح فى ذلك الجسد الشريف.

ولا ريب فى أنَّ هـذه الصوره التى اصـطنعها الشاعر صوره فريده فى بابها، مبهره للسامع، مثيره لخياله على إنَّ مثل هكذا مقارنات بين الإمام الحسين عليه السلام والأنبياء المرسلين تعكس جمله من الأمور أهمها:

١ . الحسين عليه السلام هو الامتداد الحقيقى لرساله السماء.

٢ . الحسـين عليه السـلام يمثل ويجسـد هؤلاء الأنبياء لأنه واصل ما ابتدؤوه وأحيى سـنتهم بإطارها العام وسـنه جده خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم بإطارها الخاص.

٣ . إنَّ هـذه المقارنات جاءت من قبيل إعلاء منزله الحسـين وعظيم ما افتدى به، وهى توضح طاعه الحسـين عليه السـلام لأمر الله ورسوله بوقوفه بوجه الطغاه والكافرين لإعلاء رايه التوحيد التى بعث الله لها الأنبياء، فإعلاء منزله الحسـين عليه السـلام مقارنه بما فعله الأنبياء وحدث لهم لم يكن إلا بدافع إبراز ذلك الموقف العظيم وليس أمراً آخر.

٤ . كان هذا اللون من المقارنات ما يميز شعر الشاعر من بقيه الشعراء وقد أجاد فيه فى عموم شعره.

وللتأكيد على هذه الظاهره فى شعره نجده يخاطب الحسين عليه السلام فى إحدى قصائده الطفيه بقوله(١):

فما أعابك قتلٌ كنت ترقبه

به لك الله جم الفضل قد جمعا

وما عليك هوان أن يشال على

الميّاد منك محياً للدجى صدعا

فهو يصور الحسين عليه السلام وقد ارتقب اليوم الذى يقتل فيه وقد علم أنَّ

١- ديوان الشيخ صالح الكواز الحلى : ٣١.

الله عز وجل قـد جمع له كل الفضل وكل الشـرف فی ذلک اليوم العظيم الذی حمل فيه رأسه على الرمح وكان محياه يتلألأ نوراً كأنه البدر وقد أشرق بالدجى، ثمَّ يقول واصفاً:

كأنَّ جسمک (موسى) مذ هوى صعقاً

وإنَّ رأسک (روح الله) مذ رفعا

وواضح من هذا التشبيه عقد المقارنه الموضوعيه، فالشاعر يرى فی موضوع قصه موسـى عندما خرَّ وصـعق مما رأى وسمع(۱) أنه يشابه جسد الحسـين عليه السـلام عندما خرَّ أو هوى على تراب كربلاء وكأنَّ الشاعر يريد لنا أن نستحضـر ما جرى على الحسـين عليه السـلام عنـدما كان على هـذه الحاله وبين موسـى عليه السـلام عنـدما كان فی حالته وبعـدها عنـدما أفاق، فالموقفان على ما بينهمـا من البون الشـاسع يربـط الشـاعر بينهمـا برابط الوقوع السـريع المفاجئ، وهـذا الرباط ينقطع عنـدما يتـداعى ذهن المسـتمع ليتذكر تفاصيل ما جرى على الحسين عليه السلام وما جرى على موسى عليه السلام.

أمـا الشـطر الثـانی فيعقـد مقـاربه موضوعيه كـالتی فعلهـا فی الشـطر الأول فيرى فی رفع الله جلَّ شأنه لعيسـى عليه السـلام عنـدما صلبوه(۲) كرأس الحسـين عليه السـلام عنـدما رفع فوق رؤوس الرمـاح، وهنـا أيضـاً الالتقـاء الموضوعی بين التشبيهين هو الرفع، ولكن اختلفا اختلافاً شديداً ما عدا ذلک بين رفع عيسى ورفع رأس الحسين عليه السلام.

وهـذا البيت جعل الشـيخ صالـح الكواز الحلی أشـعر من رثی الحسـين عليه السـلام فی نظر الحاج جواد بـدقت وهو أحد شـعراء كربلاء المشهورين فی حقبه شاعرنا عندما سئل عن أشعر من رثی الإمام الحسين عليه السلام، فقال: أشعرهم من شبه الحسين

۱- الأعراف: ۱۴۳.

۲- النساء: ۱۵۸، ومريم: ۵۷.

بنبيين من أولى العزم فى بيت واحد(١)، وهذه النظره تكشف عن تميز ملحوظ فى أسلوب الشاعر تمتع به وجلب الأنظار إليه.

وإذا ما عدنا إلى ما بعد هذا البيت فإن الشاعر يخبرنا بالحزن الذى عمَّ النبيين جميعاً عندما أعلمهم الله جل شأنه باليوم الذى يقتل فيه الحسين، فنراه يقول مخاطباً الحسين عليه السلام(٢):

كفى بيومك حزناً أنه بكيت

له النبيون قدماً قبل أن يقعا

بكاك (آدم) حزناً يوم توبته

وكنت نوراً بساق العرش قد سطعا

و(نوح) أبكيته شجواً وقلَّ بأن

يبكى بدمع حكى طوفانه دفعا

ونار فقدك فى قلب (الخليل) بها

نيران نمرود عنه الله قد دفعا

كلمت قلب (كليم الله) فانبجست

عيناه دمعاً دماً كالغيث منهمعا

ولو رآك بأرض الطف منفرداً

(عيسى) لما اختار أن ينجو ويرتفعا

ولا أحبَ حياه بعد فقدكم

وما أراد بغير الطف مضطجعا

لا شك أنَّ هذا الأمر الذى يطرحه الشاعر نابع من إيمان حقيقى وولاء عميق بحب الحسين عليه السلام وبحب محمد وأهل بيته الطاهرين (عليهم أفضل الصلاه والسلام) الذى فضلهم الله وشرفهم وأعلا منزلتهم على جميع الخلق وطهرهم تطهيرا، وهذا مثبت فى القرآن الكريم وسنه الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم(٣)، والشاعر قد انطلق من هذا الاعتقاد الراسخ فى قلوب

المؤمنين فهؤلاء الأنبياء على عظم شأنهم عند الله ومنزلتهم الكبيره العاليه وهم عباده المخْلَصون يبكون على ما أصاب الحسين عليه السلام الذى كان يوم ذاك نوراً بساق عرش الله

١- ديوان الشيخ صالح الكواز الحلى: ٨.

٢- م.ن : ٣١.

٣- ينظر أخبار ذلك في: ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى: ٣١ – ٣٥.

ساطعاً منيراً(۱)، ونراهم يتشفعون بالإمام ليكشف عنهم الضراء وليتوب عليهم، والسامع من غير الشيعه ليرى فى هذا الكلام مغالاه وخروجاً عما هو واقع ولربما عـدوه كفراً ولكن هـذا الكفر هو إيمان فى قلب الشاعر واعتقاد راسـخ فى ذهنه وشـعوره وهو عين الحق وما دونه سراب.

ونجد الشاعر يصف الحسين عليه السـلام وشـجاعته فى ذلك اليوم العصيب بعدما قتل أصحابه وبقى وحيداً مفرداً وقد كنى عنه ب(السبط) فقال(۲):

وعدا السبط للعدى فوق طرف

خيل صقراً على الحمائم حاما

فكأنَّ الرياح منه استعارت

يوم عاد عدواً فأضحت رماما

فلق الهام بالمهنَّد حتى

منع الدم أن يثور القتاما

خضَّب الخيل بالدماء إلى أن

كان منها على اللغام اللغاما

غادر الخيل والرجال رماما

والقنا السمر والنصال حطاما

بطل كافح الألوف فريداً

ولديه الأملاك كانت قياما

وأتى النصر طالب الإذن منه

واليه الزمان ألقى الزماما

فأبى أن يموت إلا شهيداً

ميته فاقت الحياه مقاما

فكأن الحمام كان حياه

وكأن الحياه كانت حماما

يصور الشاعر فى هذه الأبيات شجاعه الحسين عليه السلام الخارقه بما أضفى عليها من تشبيهات واستعارات لطيفه، ولكن الملفت للنظر على الصعيد الموضوعى مسألتان، أولهما: إيمان الشاعر بأن الحسين عليه السلام كان يملك الإمكانيه الغيبيه للتفوق على أعدائه حتى إن النصر أتى إليه طالباً الإذن منه كما ألقى الزمان زمامه إليه، وهذا الاعتقاد لم يكن وليد فراغ، فالحسين سبط للرسول صلى الله عليه وآله وسلم

١- ينظر مناقب آل أبى طالب: ١/ ٢٥٤ ٢٥٥.

٢- ديوان الشيخ صالح الكواز الحلى : ٤٣.

وابن فی الوقت نفسه وهو سید شباب أهل الجنه وهو الإمام إن قام وإن قعد إلی غیر ذلک من الأحادیث التی تؤکد علی منزله الحسین الرفیعه عند الله جل وعلا التی تواترت عن الرسول الکریم صلی الله علیه وآله وسلم فکیف لا تکون الأملاک قیاماً بین یدیه(۱).

أما المسأله الثانیه فهی إباء الحسین علیه السلام إلا أن یکون الفداء لدین جده وهذا الأمر لم یکن اعتیادیاً، فموت الحسین علیه السلام شهیداً قد فاق الحیاه مقاماً ورفعه ثمَّ أوضح الشاعر هذا المعنی بصوره جلیه مستعملاً أداه التشبیه (کأنَّ) فی بدایه الصدر والعجز فی قوله:

فکأنَّ الحمام کان حیاه

وکأنَّ الحیاه کانت حماما

وهکذا کان حال أبی عبد الله، فقد رأی بعین البصیره أنَّ موته حیاه وأی حیاه، الحیاه الخالده من خلال التضحیه والفداء بالنفس الغالیه بعد ما رأی أن بقاءه موت، وأی موت، الموت الذی یجلب العار ویهدم ما بناه جده الرسول صلی الله علیه وآله وسلم فاختار الموت علی حیاه الذل والهوان.

ویخاطب الشاعر الحسین علیه السلام ب(یا قتیلًا) بقوله(۲):

یا قتیلًا شقت علیه المعالی

جیبها واکتست ضناً وسقاما

إنَّ دهراً أخنی علیک لدهرٌ

عیَّرته الدهور عاما فعاما

بل ویوماً قتلت فیه لیوم

قد کسا ثوب حزنه الأیاما

إنها العاطفه الصادقه والانفعال الحزین جسده الشاعر بألوان المجاز والاستعاره الجمیله فی أبیاته، فقد جعل المعالی تشق ثوبها علی ما حلَّ بالحسین علیه السلام ویدرکها الوهن والسقم، وإن الدهر الذی ظلم الحسین علیه السلام وأخنی علیه هو

۱- ینظر هذه الأحادیث وغیرها فی ینابیع الموده:۱/۱۱، ۴۵۵، ۴۶۲، ۲/۳۸.

۲- دیوان الشیخ صالح الکواز الحلی : ۴۴.

دهر قـد عيرته الـدهور عاماً فعاما، بل إن اليوم الـذى قتل فيه ليس يوماً اعتيادياً فقـد كسا الأيام ثوب حزن لا يبلى فهو متجدد أبد الدهر.

ونجد الشاعر فى طفيه أخرى يدخل من باب ندب النساء لقتلاهن يوم الطف ثم يسترسل بوصفه شجاعتهم وبطولاتهم حتى قضوا على رمال كربلاء، وذلك فى قوله(۱):

يندبن قوماً ما هتفن بذكرهم

إلا تضعضع كل ليث عرينِ

السالبين النفس أول ضربه

والملبسين الموت كل طعين

لو كل طعنه فارس بأكفهم

لم يخلق المسبار للمطعون

لا عيب فيهم غير قبضهم اللوا

عند اشتباك السمر قبض ضنين

سلكوا بحاراً من دماء أميَّه

بظهور خيل لا بطون سفين

ما ساهموا الموت الزؤام ولا اشتكوا

نصباً بيوم بالردى مقرون

إنهم أناس أفـذاذ شـجعان لا يقف أمامهم عـدو إلا أهلكوه، وإن طعانهم لأعدائهم لم تسبره المسابير كنايه عن عمقها وقوتها فى أجساد أعـدائهم ثم يسـتعمل أسـلوب المدح بما يشـبه الذم لتصوير تمسـكهم الشديد باللواء وقبضـهم بقوه عليه عند النزال وهذه دلاله ترافق قوه إيمانهم وتمسـكهم بما يؤمنون به فى قلوبهم وعقولهم، فاللواء يعنى المبدأ والاعتقاد بالنسـبه إليهم، وشـبه الشاعر قبضـهم للوائهم كقبض الضـنين على نقوده وحرصه عليها كل الحرص، ثمَّ يذكر ما فعلوه ببنى أميه يوم الطف إذ ساروا بخيولهم وسـط بحور من دمـاء بنى أميه دلاـله على عظم قتلهم فيهم وهم سـاروا بظهور خيولهم لفرط مـا أراقوا من دم أعـدائهم حتى ظن بـانهم سـاروا بسـفن وهـو تصـوير فيه مبـالغه لطيفه، وهم فوق ذلـك لم يشـتكوا تعبـاً ولـم يسـهموا الموت الزؤام فى ذلـك اليوم

المقرون بالردی لا محاله.

۱- م.ن: ۴۷.

ثمَّ يتحول الشاعر إلى وصف مقتلهم بقوله(١):

حتى إذا التقمتهم حوت القضا

وهى الأمانى دون خير أمين

ففى هـذا البيت تشـخيص جميل للقضاء المحتوم إذ جعله حوت يلتقمهم، ولكن هـذا الموت - على بشاعته - كان أمنيه لهم فهم يفدون به أمين الله على خلقه كنايه عن الحسين عليه السلام، فكل شىء يهون فى مقابل ذلك، ثم يقول:

نبذتهم الهيجاء فوق تلاعها

كالنون ينبذ بالعرى ذا النون

فتخال كلاًّ ثمَّ يونس فوقه

شجر القنا بدلاً عن اليقطين

وهنا يسـتعمل الشاعر الموروث الـدينى ليوظفه فى تشبيهاته ليخرج لنا صوره جديده ذات أبعاد متعدده تثير خيال المتلقى وتجلب انتباهه، فما دام قـد ذكر حـوت القضـا ذكر معه النـون وقـد التقم يونس عليه السـلام فى قصـته المشـهوره الـتى أوردهـا القرآن الكريم(٢) فلمـا نبـذه الحوت فى العراء نبـذت الهيجاء أصـحاب الحسـين (عليهم السـلام) فوق هضـباتها، والالتقاء بين الصورتين (النبـذ) ثم يأتى تشبيه الشاعر كالنون (أى الحوت) الـذى نبـذ بالعراء النبى يونس الذى كنى عنه (ذى النون)، ولكن الأمر لم ينته عنـد هـذا الحـد من المقـاربه الصوريه الموضوعيه بين الطرفين فعقـد الشاعر تشبيهاً جديـداً باسـتعمال الفعل (تخال) المسـند إلى الضـمير المخاطب أى المتلقى لاتخاذ وضع المشاركه فى الصوره التى رسمها، فيونس عندما نبذه الحوت فى العراء أنبت الله جل وعلا شـجره من يقطين تظلل عليه من حر ومن برد لكن هذا المشـهد الرحيم الودود لم يكن كذلك مع أصـحاب الحسين عليهم السلام فعندما صرعوا فوق ثرى الطف لم يظللهم شجر اليقطين وإنما ظللهم شجر القنا والرماح العواسل.

١- م.ن.

٢- الصافات: ١٣٩ - ١٤٨.

ثمَّ يخاطب الشاعر المتلقی بقوله(۱):

خذ فی ثنائهم الجمیل مقرِّضا

فالقوم قد جلوا عن التأبینِ

هم أفضل الشهداء والقتلی الأولی

مدحوا بوحی فی الکتاب مبین

فالشاعر یری أن الحسین وأصحابه (علیهم السلام) قد جلوا عن التأبین ویجب علینا مدحهم والثناء علیهم، فهم أفضل الشهداء والقتلی الأولی کیف لا وقد مدحهم الله تعالی فی کتابه المبین..

إن هذا التمهید لعقد مقاربات صوریه موضوعیه کان أسلوباً واضحاً فی طفیاته، فنراه یقول فی الحسین وأصحابه (علیهم السلام) فی واقعه الطف(۲):

لی حزن یعقوب لا ینفکك ذا لهبِ

لصرع نصب عینی لا الدم الکذبِ

وغلمه من بنی عدنان أرسلها

للجد والدها فی الحرب لا اللعب

فانطلق منذ البدایه لأخذ عینات موضوعیه من قصه یوسف علیه السلام وربطها بما جری فی واقعه الطف، فصرح فی البیت الأول أنَّ له حزناً کحزن یعقوب علیه السلام علی ولده یوسف علیه السلام ولکن الاختلاف بینه وبین حزن یعقوب هو أن حزنه علی صرعی حقیقیین ولم تکن الدماء التی سالت منهم دماء کاذبه کالتی اصطنعها إخوه یوسف عندما جاؤوا علی قمیصه بدم کذب وأروه لأبیهم فحزن علی یوسف علی الرغم من علمه بأن یوسف علیه السلام حی یرزق، ثم بدأ فی البیت الثانی ب(وغلمه من بنی عدنان...) إشاره إلی ریعان شباب هؤلاء الفتیه وقد أرسلهم أبوهم إلی الحرب لا اللعب، وهذا الحدث یقابل إرسال یعقوب علیه السلام ولده یوسف علیه السلام مع إخوته لیرتع ویلعب مثلما أشارت إلی ذلك الآیه القرآنیه

۱- دیوان الشیخ صالح الکواز الحلی: ۴۷.

۲- م.ن: ۲۴.

المبارکه(۱)، ثمَّ یقول:

ومعشر راودتهم عن نفوسهم

بیض الظبا غیر بیض الخرد العربِ

فهو یأخذ وینتقی من قصه یوسف مره أخری موقفاً آخر یقابله بموقف أصحاب الحسین علیه السلام، فقابل بین مراوده (زلیخا) امرأه العزیز لیوسف علیه السلام وکادت أن تهم به ویهم بها ومراوده بیض الظبا لنفوسهم، ثم یقول:

فأنعموا بنفوس لا عدیل لها

حتی أسیلت علی الخرصان والقضبِ

فانظر لأجسادهم قد قدَّ من قبل

أعضاؤها لا إلی القمصان والأهبِ

إن أصحاب الحسین علیه السلام لم یقد قمیصهم من دبر بل من قبل إشاره أو کنایه عن شجاعتهم وإقدامهم وعدم مهابتهم للعدو فضلًا عن مقابله الموت وجهاً لوجه، أما فی حاله یوسف علیه السلام فکان قد القمیص فیه خلاف علی أثره کانت براءه یوسف إذ قد قمیصه من دبر، فتلحظ بهذه المقاربه البون الشاسع بین قصه یوسف علیه السلام وأحداثها وما جری علی الحسین علیه السلام وأصحابه النجباء، ویعقب الشاعر هذه المقاربه الموضوعیه بمقاربه أخری لطیفه، وهو قوله:

کل رأی ضر أیوب فما رکضت

رجل له غیر حوض الکوثر العذب

قامت لهم رحمه الباری تمرضهم

جرحی فلم تدعهم للحلف والغضب

إن هذه المقاربات تحتاج إلی قارئ له اطلاع غیر قلیل علی التاریخ والقصص الدینی حتی یتمکن من فهم مقصد الشاعر وإلا کانت صوره یلفها الغموض والإبهام وتثیر علامات التساؤل أکثر ما تثیر فی نفسه الإعجاب، ولعل هذه السمه کانت بارزه عند شاعرنا الشیخ صالح الکواز الحلی وقد نجح بشکل کبیر فی توظیف الموروث فی شعره لا علی سبیل التضمین والاقتباس فحسب بل علی إعاده بناء ذلک الموروث بصوره أملتها علیه تجربته الشعریه وإبداعه الخاص.

١- يوسف:١٢.

المحور الثانى: زينب عليها السلام والسبايا

لاريب انَّ لموقف زينب عليها السلام يوم الطف وبعده أثرا كبيرا وفعالا فى نجاح ثوره الحسين عليه السلام بكل أبعادها، ولما قاد الحسين عليه السلام ثورته بالسيف ضد يزيد وأتباعه واصلتها زينب عليها السلام بسيف الكلام مع أخواتها من بيت الرساله ومع الإمام العليل زين العابدين عليه السلام، وخطبها، ومواقفها فى الكوفه ودمشق لتكشف عن صلابتها وقوه عزيمتها وإيمانها الصادق الحقيقى بما كتب الله جل وعلا ـ عليها وعلى إخوتها من مصاب أليم، واستطاعت أن تهزَّ عرش الأمويين وتقضَّ مضاجعهم وتنبه الناس الغافلين المخدوعين بما آل إليه ذريه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على أيدى يزيد وأتباعه، فكانت الامتداد الحقيقى للخطاب الثورى الذى انتهجه الحسين عليه السلام، ولربما فقدت ثوره الحسين عليه السلام جذوتها لولا أخته العقيله زينب وهو ما أثبته التاريخ والواقع.

ولما نعرج على ما قاله الشاعر فى زينب عليها السلام نجده قد وقف متألماً عليها وحالها وحال أخواتها وهنَّ ينظرن إلى الحسين عليه السلام مقتولاً مسلوباً مع أولاده وصحبه وقد سحقت صدورهم خيول الأعداء ثمَّ قاموا بحرق خيامهنَّ وسبيهنَّ بصوره يندى لها الجبين.

فيمثل الشاعر زينب عليها السـلام بالعاتبه على أخيها الحسـين عليه السـلام وهو لا يقوم بنصرتها ويخلصها من أيدى الأعداء، وأى عتب تعتبه على من صار نهباً لسـيوف أعـدائه ورماحهم وقـد توزعت أشـلاؤه، إنه عتب لا يجدى ولكنه عتب أليم وتذكره زينب وتـذكر معه صـفاته الرجوليه كسـرعه الإجابه ونجده المسـتغيث أو تذكره بأنها كانت فى الحرم المنيع مصانه مخدره ولكنها الآن أصبحت بوضع آخر بعده، فيقول(١):

وتقول عاتبه عليه وما عسى

يجدى عتاب موزع الأشلاءِ

قد كنت للبعداء أقرب منجد

واليوم أبعدهم عن القرباء

أدعوك من كثب فلم أجد الدعا

إلا كما ناديت للمتنائى

قد كنت فى الحرم المنيع خبيئه

واليوم نقع اليعملات خبائى

لقـد اسـتعمل الشاعر المقارنه بين حالين كان عليهما الحسـين عليه السـلام مع أخته زينب، فقد كان أقرب منجد للقرباء والبعداء، وصار اليوم بعيـداً عنها وهى القريبه منه، بل أقرب القرباء وإنها لتـدعوه إلى نجدتها ولكنه ذهب ونأى بعيداً عنها فأصـبحت بحاله جديده من بعده بعد أن كانت بمعيته فى الحرم المنيع مصانه محفوظه لا يطلع عليها الغرباء، ثمَّ تأتى صيحتها الأليمه:

أسبى ومثلك من يحوط سرادقى

هذا لعمرى أعظم البرحاء

ماذا أقول إذا التقيت بشامت

إنى سبيت وإخوتى بازائى

وتسلم زينب عليها السلام إلى الأمر الواقع وحكم الحمام لما هم عليه إخواتها من بلاء:

حكم الحمام عليكم أن تعرضوا

عنی وإن طرق الهوان فنائی

ولکنها تتعجی وتنکر علی إخوتها أن تهون علیهم وهی تسیر إلی أعدائهم من الطلقاء:

۱- دیوان الشیخ صالح الکواز الحلی: ۱۸.

ما كنت أحسب أن يهون عليكم

ذلى وتسييرى إلى الطلقاء

ثمَّ تخبرهم بالواقع الأليم لنساء الوحى والرساله من بعدهم:

هذى يتاماكم تلوذ ببعضها

ولكم نساء تلتجى بنساء

وصوره العاتبه لم تنفك تبارح خيال الشاعر فنراه يصفها بقوله(۱):

تعاتبهم وهى العليمه أنهم

بريئون مما يقتضى قول عاتبِ

وهنا يبرء الشاعر الحسين عليه السلام وإخوته من عدم إغاثتها فضلاً عن علمها بذلك، ثمَّ يقول:

ومذهوله فى الخطب حتى عن البكا

فتدعو بطرف جامد الدمع ناضبِ

فهو يصورها بالمذهوله التى جمد دمعها لهول المصاب وهى تخاطب عشائر مفقوديها ليقوموا بنجدتهم ويخلصوهم من هذا الوضع وهم من هم فى الشجاعه والنجده فى النوائب ثم تعذرهم فتسلم إلى البكاء والشجن:

عذرتكم لم أتهمكم بجفوه

ولا ساورتكم غفله فى النوائب

شكت وارعوت إذ لم تجد من يجيبها

وما فى الحشى ما فى الحشى غير ذاهب

ونلحظ الشاعر قد عمد إلى التكرار فى عجز البيت الثانى مما أضفى دفعاً حزيناً وثقلاً عتيداً على هذا المصاب الذى لم ولن يبارح القلب والحشا، وهذه الصوره تتكرر عند الشاعر ولكن بتفاصيل أخرى هدفها إبراز الحزن والأسى الذى أصاب العقيله فنراه يقول(۲):

وزينب تدعو والشجى ملء صدرها

بمن ملأت صدر الفضاء نوالها

ثمَّ تخاطب أخوتها خطاباً مراً ملؤه العتب والتحسر:

أيا إخوتي لا أبعد الله منكم

وجوهاً تود الشهب تمسى مثالها

نشدتكم هل ترجعون لحيكم

فتحيى عفاه أتلف الدهر حالها

١- م.ن: ٢١.

٢- م.ن: ٤٠ .

نشدتكم هل تركزون رماحكم

بدار لها الوفاد شدَّت رحالها

وهل اسمعن تصهال خيلكم التى

يود بأن يمسى الهلال نعالها

وهل انظر البيض المحلاه بالدما

تقلدتموها وانتضيتم نصالها

فيا ليت شعرى هل أبيتنَّ ليله

ببحبوحه تحمى وأنتم حمى لها

وتمسى ديارى مثل ما قد عهدتها

ملاذ دخيل ظلَّ يأوى حجالها

إنه اعتزاز الأخت بإخوتها الذين كانوا لها كهفاً وملجأ ولما ذهبوا ضاع ذلك العز وهتك ذلك الخدر، وإلحاحها عليهم بتكرار (نشدتكم) مفتتح بيتين متتاليين ثم استعمال أداه الاستفهام (هل) فى مفتتح البيتين التاليين تؤكد على عمق الرابطه التى تجمعها بإخوتها وماذا يمثلون لها وكيف تنظر لهم نظره الإجلال والاحترام والحب، فهم جديرون بها، وهم أصحاب الوجوه النيره، والرماح الطويله، والشجاعه والكرم والنجده، وبيتهم الملاذ الآمن لمن يأوى إليه، وأبدع الشاعر حين جاء بالفعل (يود) الذى يظهر معنى الاشتياق وتلهف وأسنده للهلال كى يكون نعالاً لا لإقدام إخوه زينب عليها السلام وإنما لخيلهم التى يركبونها وهى مبالغه واضحه ولكنها مقبوله إذ جاءت على لسان زينب التى تفدى إخوتها بكل غال ونفيس، فلا يبعد عنها أن ترى فى كل ألأشياء فى الكون مطاعه لإخوتها الأجلاء.

وإذا ما تركنا صوره العاتبه الشجيه الباكيه نرى الشاعر يصورها بصوره الواعظه لأعدائها وأعداء أخيها الحسين عليه السلام وإخوتها جميعاً، فقال ممهداً لوعظها الأليم(١):

لم أنس زينب إذ تقول وقد

كضَّ المصاب فؤادها كضا

لله رزء قد أصاب لنا

ندبا فعطّل بعده الفرضا

ومضى بصحه دیننا فغدا

حتى المعاد يعد فى المرضى

١- م.ن: ٢٨.

إنه مصاب جليل قد وقع على هذا الدين حين قتل الحسين عليه السلام ولن يتعافى هذا الدين إلى المعاد فهو يبقى علامه أو ندباً واضحاً لا يمكن تجاوزه، ثمَّ يقول(۱):

وترد تدعو القوم واعظه

إذ ليس يسمع كافر وعظا

إن الأمر اللافت فى هذا البيت هو وعظ زينب عليها السلام لهؤلاء القوم على الرغم من تيقنها من أنهم لا يسمعون وعظها، لأنهم كافرون، والكافر لا يسمع وعظ الكلام.

ثمَّ تخاطبهم على الرغم من ذلك بقولها:

يا قوم قتلكم الحسين أما

يكفيكم عن صدره الرضا

إنها متألمه على حال أخيها الذى قضى ظامئاً بحد سيوفهم ثم هؤلاء يرضون صوره بخيولهم بعد قتلهم إياه، ثم تواصل استفهاماتها الإنكاريه إذ تقول:

أو ما كفاكم نهبكم خيم النسوا

نِ عن ابرادها تنضى

إنها تثير بقايا الكرامه والغيره العربيه علها موجوده فى قلوبهم القاسيه فتسألهم إذا كنتم نهبتم ما فى الخيام فلماذا تنضون النساء ملابسها التى تلبسها أما عندكم غيره أو كرامه ولكن هذه التساؤلات قد ذهبت أدراج الرياح:

أبريتم أصواتنا جزعا

ولطالما هى تألف الغضا

فهى تشير إلى خدرها وخدر أخواتها من بنات الرساله إذ لم تالف أن يسمع لها صوت من الأجنبى ولكنها اليوم لشده جزعها وما أصابها قد علا صوتها وارتفع، ثم تخاطبهم قائله:

أرقدتهم عين الضلال بنا

ومنعتم عين الهدى غمضا

لقد شخص الشاعر بهذا البيت على لسان زينب عليها السلام عمق المصيبه التى

١- قافيه البيت مخالفه لروى القصيده فاثبتناها كما وجدت فى الأصل.

حلت بقتل الحسين علیه السلام، فالحسین ابن الرساله المحمدیه وهو الممثل الحقیقی لها (عین الهدی) التی حاول ألأعداء لرساله الرسول محمد صلی الله علیه وآله وسلم أن یغمضوا هذه العین ویطفئوا نور الله جل وعلا فضلاً عن إشاره الشاعر فی صدر البیت إلی أن أهل بیت النبوه قد ارقدوا (عین الضلال) وهی إشاره إلی فضل الرسول صلی الله علیه وآله وسلم وأهل بیته فی إخراج العالم من ظلم الکفر والطغیان إلی نور الهدی والإیمان.

وهذا الأمر یسترسل به الشاعر فیقول متسائلاً علی لسان زینب علیها السلام:

ما کان ذنب محمد لکم

حتی قتلتم آله بغضا

ثم یقول (۱):

بالأمس أبرمنا عهودکم

والیوم أسرعتم لها نقضا

أکبادکم للغیظ أوعیه

بالطف ألفیتم بها نفضا

فلشد ماربضت کلابکم

حذر الأسود فلم تطق نهضا

جئتم بها شوهاء معضله

لا تملکون لعارها رحضا

إنها تذکرهم بإبرامهم العهود مع الرسول صلی الله علیه وآله وسلم وقد سارعوا الیوم إلی نقضها بقتل ابن بنت نبیه سید شباب أهل الجنه وهم لم یکونوا صادقین فی ذلک فحقدهم وغیظهم منه قد بان فی الطف وفی ذلک إشاره إلی المثل المعروف (کل إناء ینضح بما فیه) ولکن الکلاب تخاف الأسود ولشد ما بقت فی مکانها مرتعبه من صولاتهم وهم الکلاب فالآن وجدوا الفرصه وقاموا بفعلتهم الشوهاء البغیضه التی بسببها سیلاحقهم العار ولا یستطیعون دحضها ونکرانها إلی أبد الدهور هکذا خاطبتهم العقیله فی خطبها المرویه فی الکوفه والشام وقد استوحی الشاعر من خطبها تلک المعانی

١- ديوان الشيخ صالح الكواز الحلى : ٢٩.

والصور(۱).

ونجد الشاعر يميل إلى المقارنه مستغلاً ثقافته التاريخيه خير استغلال، فيقول(۲):

ونال شجى من زينب لم ينله من

(صفيه) إذ جاءت بدمع مدفق

فكم بين من للخدر عاده كريمه

ومن سيروها فی السبایا لجلق

فهو يصطنع مقارنه بين موقف زينب (عليها السلام في واقعه الطف وكيف وقفت على جسد أخيها وقد قطع إرباً إرباً وفصل رأسه الشريف وموقف (صفيه) اخت (حمزه) عليه السلام عم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقد وقفت أيضاً على جسد أخيها أسد الله ورسوله ورأته وقد مثلت به هند بنت عتبه، ولا شك في أن الموقفين عظيمان جداً عليهما ولكن الحال اختلف بعد ذلك فصفيه قد عادت إلى خدرها معززه مكرمه مصانه بينما ذهبت زينب عليها السلام مع قاتلي أخيها سبيه تساق من بلد إلى بلد على النياق المهزوله لتصل إلى يزيد بن معاويه الذى كنى عنه الشاعر ب(جلق).

ويستعين الشاعر بالمعين التاريخي مره أخرى لرصد أبعاد الموقف العصيب على أهل البيت (عليهم السلام)، اذ يقول(۳):

لئن ثوى جسمه في كربلاء لقى

فرأسه لنساه في السباء رعى

ثم يحول خطابه إلى الجمع المخاطب من الكرام لينجدوا هذه الكرائم من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم:

نسيتم أو تناسيتم كرائمكم

بعد الكرام عليها الذل قد وقعا

أتهجعون وهم أسرى وجدهم

لعمه ليل بدر قط ما هجعا

فليت شعرى من (العباس) ارقه

أنينه كيف لو أصواتها سمعا

١- تنظر خطبتها في: بلاغات النساء: ٢٠.

٢- ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي : ٣٦.

٣- م.ن: ٣٢.

فهو يذكر موقف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في معركه بدر وقد أسر عمه (العباس) فلم يذق طعم النوم وكانت عينه ترنو إلى عمه خوفاً عليه وعطفاً ومحنَّه وقد سمع أنينه هذا وعمه لم يمس بسوء ولم يعتدى عليه وهو رجل فكيف بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم لو سمع بناته في ليله الحادى عشر من محرم الحرام وقد قتل فيه من يدافع عنهم ضد أعدائهم الذين لم يرعوا لهم حرمه أو ذمار وقد أحرقت خيامهم وسلبوا.

ولم يكتف الشاعر بهذه المقارنه التاريخيه فألحقها بأخرى ليزيد من الحزن والألم وليثير القلوب والعيون، فقال(۱):

وهادر الدم من (هبار) ساعه إذ

بالرمح هودج من تنمى له قرعا

ما كان يفعل مذ شيلت هوادجها

قسراً على كل صعب في السرى ظلعا

ما بين كل دعى لم يراع بها

من حرمه لا ولا حق النبى رعى

و(هبار) هذا كان شاعراً هجا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهدر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم دمه يوم فتح مكه لأنه روَّع زينب بنت رسول الله زوجه أبى العباس بن الربيع حين حملها حموها إلى المدينه ليلحقها بأبيها بعد وقعه بدر فتتبعها (هبار) وقرع هودجها بالرمح وكانت حاملا فأسقطت ما في بطنها، فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: الإسلام يجب ما قبله (۲)، فهذا الموقف يوظفه الشاعر بشكل لطيف ليصنع المفارقه في المواقف موقف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من (هبار) وكيف عفى عنه على الرغم مما فعل وموقف يزيد وأتباعه مع أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وما فعلوا فيهم، أركبوهم على ظهور النياق المهزوله، وكانوا يضربونهن بالسياط ويشتمونهن بسبب وبلا سبب كرهاً وبغضاً لآل

۱- م.ن: ۳۳.

۲- سيره النبى: ۲ / ۴۸۰.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يرعوا عهداً ولم يبقوا له حرمه تستر هؤلاء الأدعياء المجرمين.

إن هذا التلميح والتصريح بالإشارات التأريخيه يكشف عن وعى الشاعر بحركه التاريخ فضلًا عن استعمال هذه الإشارات بشكل متميز وتوظيفها شعرياً ينبئ عن إمكانيه معلوماتيه فنيه واضحه، وهذا الأمر نجده أيضاً فى تعرضه إلى ما أصاب أم عبد الله الرضيع الذى قتل وهو يحمله الحسين عليه السلام ليطلب له الماء من أعدائه وجاءت هذه الأبيات بعد أبيات يصف فيها سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهذه المرضعه هى واحده من هذه السبايا، إذ قال (١):

وربَّ مرضعه منهنَّ قد نظرت

رضيعها فاحص الرجلين فى التربِ

تشوط عنه وتأتيه مكابده

من حاله وظماها أغظم الكرب

فقل (بهاجر) (اسماعيل) أحزنها

متى تشط عنه من حر الظما تؤب(٢)

فقد قارن الشاعر بين أم إسماعيل (هاجر) عليهما السلام حين تركت رضيعها (إسماعيل) لتبحث له عن ماء عندما تركها إبراهيم عليه السلام فى واد غير ذى زرع، ومن سعيها وراء السراب ظناً منها أنه ماء ثم عودتها إلى إسماعيل أصبح السعى بين الصفا والمروه وهو من الشعائر المعروف فى الحج، فقارن الشاعر بين هذه الأم وأم عبد الله الرضيع ولكن هذه الأم لم تستطع أن تأتى بالماء إلى ولدها وقد رأته يابس الشفتين فاحص الرجلين فى التراب ولكنها عمدت إلى فعل آخر قارنه الشاعر بصوره تاريخيه

١- ديوان الشيخ صالح الكواز الحلى : ٢٥.

٢- اشار القران الكريم اجمالا الى هذه القصه فى سوره ابراهيم الايه ٣٧ اذ ورد على لسان إبراهيم عليه السلام: (رَّبَّنَا إِنِّى أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ). أما تفاصيل القصه التى اعتمدها الشاعر فكانت مرجعياتها ستيَّه متمثله بأحاديث الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم ينظر على سبيل المثال لا الحصر: قصص الأنبياء: ٢٠٣ – ٢٠٥.

أخرى بقوله:

وما حكتها ولا (أم الكليم) أسى

غداه فی اليم ألقته من الطلبِ(١)

ففعل أم الرضيع حين عمدت إلى أن تعطى ولدها لأبيه ليطلب له الماء من أعدائه بعد أن يئست ونشف منها حليبها كفعل أم الكليم حين عمدت إلى إلقائه فی اليم ليواجه خطر الماء، ولكن ذاك واجه الخطر مع الأعداء وأی أعداء لا ـ يرحمون حتى الرضيع، ثم يبرز حال أم إسماعيل وحال أم الكليم بقوله:

هذی إليها ابنها قد عاد مرتضعاً

وهذه قد سقى بالبارد العذبِ

ولكن حال أم عبد الله الرضيع اختلف وأی اختلاف:

فأين هاتان ممن قد قضى عطشا

رضيعها عنها أو نأی عنها ولم يؤبِ

بل آب مذ آب مقتولاً ومنتهلاً

من نحره يوم كالغيث منسكبِ

لقد عاد رضيعها مسقياً بالدم منحوراً بيد الأعداء، ثم قال(٢):

شاركنها بعموم الجنس وانفدت

عنهنَّ فيما يخص النوع من نسبِ

كانت ترجى عزاءاً فيه بعد أب

له فلم تحظ بابن لا ولا بأب

هكذا هو حال أم عبد الله الرضيع، قتل ابنها وكان رجاءها وذخرها ولم يتوقع أن يقوم الأعداء بقتله فليس له ذنب ولكنها فوق فقدها ابنها وبعلها سبيت مع سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهكذا اختلفت هذه المرأه بما جرى عليها من مصائب مع

تلك النساء اللواتی التقت معهن بالولد الرضیع..

وفی إطار السبایا تناول الشاعر الباقی من ذریه الحسین علیه السلام وهو ابنه علی بن الحسین علیه السلام المشهور ب(زین العابدین) الذی کان علیلاً ولم یستطع القتال فکان الوحید الناجی، وقد سیق مع النساء من آل محمد صلی الله علیه وآله

۱- تنظر قصه ذلک فی سوره القصص: ۷.

۲- دیوان الشیخ صالح الکواز الحلی : ۲۵-۲۶.

وسلم فيصفه الشاعر مقيداً فوق بعير مهزول وهو يرنو إلى عماته وأخواته، فنراه يقول(١):

أضحى وكانت له الأملاك حامله

مقيداً فوق مهزول بلا قتبِ

يرنو إلى الناشرات الدمع طاويه

أضلاعهنَّ على جمرٍ من النوبِ

و (العاديات) من الفسطاط ضابحه

و(الموريات) زناد الحزن فى لهبِ

و (المرسلات) من الأجفانِ عبرتها

و(النازعات) بروداً فى يد السلبِ

و (الذاريات) تراباً فوق أرؤسها

حزناً لكل صريع بالعرا تربِ

فنلحظ الشاعر قد وظف أسماء بعض السور القرآنيه وما يتجلى من آياتها فى وصف هؤلاء النسوه، وجاءت صوره بشكل متقابل بين الصدر الممثل للصوره الأولى والعجز الممثل للصوره الثانيه على مدى البيت الثالث والرابع، أما الخامس ابتدأ باسم سوره (الذاريات) ولكن صورته استمرت حتى نهايه العجز معرباً عن تخليه عن هذا اللون من التقابل إلى غيره من الفنون.

ويكرر الشاعر هذا المشهد فى قصيده أخرى، فيقول(٢):

وأمين الله فى الأرض بعدا

لسبطِ أضحى مقيَّداً مستضاما

تاره ينظر النساء وطوراً

أرؤساً بالرماح تجلو الظلاما

كيف يسرى بين الأعادى أسيرا

من يغادر وجودها اعداما

قيدوه من حلمه بقيود

ربَّ حلم يقيد الضرغاما

فنلحظ الشاعر يصف الإمام زين العابدين عليه السـلام بأنه (أمين الله) فى ألأرض بعد أبيه السـبط الحسين عليه السلام ولكنه مقيد مستضام مغلوب على أمره بين هؤلاء الأوباش الذين سبوا عماته وأخواته وقطعوا رأس أبيه وإخوته وعمومته

١- م.ن: ٢٥.

٢- م.ن: ٤٤.

وأصحاب أبيه فتاره ينظر إلى النساء وتاره أخرى إلى هذه الرؤوس النيره التى تجلو الظلام، لقد قيّد الأعداء حلمه، هذا الحلم النابع من اعتقاد راسخ بضروره تفويض الأمور إلى الله تعالى، وإن الذى يجرى فى ذات الله وتحت عينه فإن هذا الحلم سيصبح قيداً يقيده ولا يستطيع فكه.

هذه أبرز جوانب موضوع السبايا التى تناوله الشاعر، وهو موضوع حساس تعامل معه الشاعر بصوره تثير المشاعر بالحزن والألم لما أصاب زينب عليها السلام والإمام زين العابدين عليه السلام وبقيه النساء بعد فقدهم الحسين عليه السلام ومن كانوا يحاموهم ويدافعوا عنهم وعكس هذا الموقف ظلم بنى أميه لأهل البيت (عليهم السلام) وكيف أنهم لم يراعوا حرمه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعهوده ومواثيقه التى عاهدوه بها ونقضوها بفعلتهم النكراء فى واقعه الطف..

المحور الثالث: الشاعر

من المحاور الموضوعيه اللافته للنظر في طفيات الشيخ صالح الكواز الحلي هو الشاعر نفسه، وقد تجلى صوت الشاعر بصوره ملحوظه في مقدمات قصائده وخواتيمها، ولم يظهر في وسطها إلا في قصيده واحده سنأتي عليها تباعاً..

أما ظهوره في مقدمات قصائده فتجلى ذلك في خمس قصائد، إذ اتخذ من هذه المقدمات تمهيداً لموضوعه الرئيس وهو رثاء الحسين عليه السلام وأصحابه وما جرى على نسائه وعياله من سبي وتشريد، تناول الباحث إحداها في المحور الأول وقد بدا صوت الشاعر في هذه المقدمات صوتاً حزيناً ملؤه الأسى والنحيب على من تذكرهم وتلمس ورأى رسومهم وأطلالهم الشاخصه بعد أن رحلوا عنه وأصحروه وحيداً حزيناً متسائلاً، إذ قال(١):

رحلوا والأسى بقلبي أقاما

جيره جارهم بهم لن يضاما

ذهبوا والندى فعاد المنادي

لا يرى من يد الصروف اعتصاما

كم حبست الانضاء بالدار حتى

خلتها في وقوفها آكاما

وسألت الرسوم عنهم فما أغنى

سؤالي وما شفى لي سقاما

وإذا ما سألتهنَّ أعادت

في لسان الصداء منها الكلاما

وكأني كنت المناشد عنهم

وهي كانت مناشداً مستهاما

١- ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي : ص٤٢.

وبعد هذه الأبيات الطلليه الشجيه يدعو بدعاء السقيا لهذه الأرض بقوله:

يا سقى الله معهداً قد سقته

سحب أجفانى الدموع السجاما

فدعاء السقيا من عادات أهل الباديه وهو دعاء الخير والبركه لأرض المرثى كما يمثل الخير والبركه الشامله للأرض التى يحل بها الفقيد وتشير إلى كرمه أيضاً (١)، ولكن الشاعر هنا لم يخاطب السحب كى تهطل وإنما أشار إلى أن سحب دموعه قد سقت تلك الأرض قبل أن تسقيها السحب الحقيقيه، ثم يعقب ذلك بقوله:

خيل القلب لى به وهو خال

عرباً خيلهم تحوط الخياما

من بنى غالب الألى فى المعالى

غلبوا كل غالب لن يسامى

فهو ينتقل إلى موضوعه عن طريق تخيل القلب الذى هو أساس العاطفه والحب وأيضاً البكاء والحزن تخيله عرباً قد أحاطت خيلهم الخيام فى ذلك المعهد على الرغم من تيقنه بأنه خال إلا من الذكريات الأليمه، ثم يحدد فى البيت الذى يليه من هم وأى شأن سام لهم فى المعالى، فهم بنو غالب أجداد الحسين عليه السلام المعروفون بعروبتهم وشجاعتهم وكرمهم ورعايتهم للذمار وحفاظهم على العهود والأمانات فهو من نسل هؤلاء الأفذاذ، ثمَّ يعرض حقد أعدائهم عليهم وثوره الحسين عليه السلام ضدهم.

وبهذا فإن الطلل الذى تحدث عنه لم يكن سوى أرض الطف التى استحضرها الشاعر فى ذاكرته وخياله وهذا واضح من انتقاله من مقدمته الطلليه إلى موضوعه الرئيس.

ونرى وقفه الطلل فى قصيدته النونيه الشهيره التى مطلعها(٢):

هل بعد موقفنا على يبرين

أحيا بطرف بالدموع ضنينِ

وادٍ إذا عاينت بين طلوله

أجريت عينى للحسان العين

فتخال موسى فى انبجاس محاجرى

مستسقياً للقوم ماء جفونى

١- ينظر الرثاء فى الشعر الجاهلى وصدر الإسلام: ١٩٦.

٢- ديوان الشيخ صالح الكواز الحلى : ۴۵.

فهو يتحدث عن وقفه فی ذلک الوادی وکيف أن دموعه أبت أن تنزل لفرط المصاب وهوله عليه، ولکنه علی الرغم من ذلک حين يعاين طلول ذلک الوادی تجری عينه لتلک الحسان التی تعجب العين ثم يستحضر المعين القرآنی فی قصه موسی عليه السلام فيوظفه بشکل جميل لا يخلو من ابتکار الصوره، فعيون الماء الاثنتی عشر فی قصه موسی التی انبجست(۱) لم تکن عند الشاعر سوی محاجره وماء جفونه التی استسقی به لقومه، ولعل فی هذه الصوره يکمن بعد آخر وهو عمليه الدعاء بالسقيا کما لاحظنا فی القصيده المتقدمه يتطور إلی الاستعانه بالقصص القرآنی وتوظيفه فی إقامه هذه الشعيره فی هذه القصيده، ويری الشاعر أن فی عينيه من دموع وحزن هی أقوی وأکثر خيرا من تلک السحب وکأن هذه الدموع النازله هی دموع تطهر القلب وتنعشه وتزيد من إيمانه وتماسکه ليستمر مع صعوبات الحياه وأحزانها..

ثم يقول:

طلل نظرت نؤيَّه محجوبه

نظر الأهله فی السحاب الجون

إن هذه البقايا التی تکاد لا تری ينظر إليها بإمعان کالذی ينظر الهلال فی سماء مملوءه بالسحب السوداء، ويخاطب فيها الحداه قائلًا:

قال الحداه وقد حبست مطيَّهم

من بعد ما أطلقت ماء شؤونی

ماذا وقوفک فی ملاعب خرَّدٍ

جدَّ العفاء بربعها المسکون

وقفوا معی حتی إذا ما استيئسو ا

خلصوا نجياً بعدما ترکونی

فقد بقی وحيداً وترکه صحبه بعدما وجدوه مستسلماً لأحزانه تارکاً دموعه علی خديه لا يسمع نداءهم فترکوه، ثم يشبه ترکهم إياه بهذه الصوره الجميله:

فکأنَّ يوسف فی الديار محکم

وکأننی بصواعه اتهمونی

۱- وردت قصه ذلک فی سوره الأعراف: ۱۶۰.

لقد استعمل الشاعر الأداه (كأنَّ) فی تحديد ملامح صورته، وجاءت الأولی فی بدايه الصدر والأخری فی بدايه العجز، الأولی أوضحت تحكم يوسف عليه السلام بأرض مصر حين جعل علی خزائنها، فهذه الصوره تشبه تحكم أصحاب الشاعر به، ثم يأتی بالصوره الثانيه (وكأننی بصواعه اتهمونی)؛ فجريمه أخی يوسف عليه السلام عندما وضع فی رحله صواع الملك كذلك كان حاله معهم.

ثم يصل إلی قوله:

قلبی يقل من الهموم جبالها

وتسيخ عن حمل الرداء متونی

وأنا الذی لم أجزعن لرزيه

لولا رزاياكم بنی ياسين

تلك الرزايا الباعثات لمهجتی

ما ليس يبعثه لظی سجين

فهو يربط تحمل قلبه للهموم وعدم جزعه منها علی الرغم من انه يعجز عن حمل الرداء علی متونه، ولكن هذا الأمر لا يكون – أی تحمله للهموم – مع مصائب أهل بيت محمد صلی الله عليه وآله وسلم الذی كنی عنهم ب(بنی ياسين) فأثرها فی قلبه ولظاها أقوی وأشد من سجين.

وعلی العموم فإن الشاعر فی هذه المقدمه الطلليه التی قدم بها لموضوعه لم يوضح أن الطلل الذی وقف وبكی رسومه وذكرياته فيه أنه أرض الطف بل تركها هكذا مفتوحه يمكن قراءتها بالشكل الذی قرأنا به قصيدته السابقه.

ولكن وضوح الرؤيه الطلليه الطفيه نجدها عنده فی قصيده أخری جاء فيها(۱):

أغابات أسدٍ أم بروج كواكب

أم الطف فيه استشهدت آل غالب

ونشر الخزامی سار تحمله الصبا

أم الطيب من مثوی الكرام الأطائب

وقفت به رهن الحوادث انحنی

من الوجد حتی خلتنی قوس حاجب

تمثلت فی أکنافه رکب هاشم

تهاوت إلیه فیه خوص الرکائب

۱- دیوان الشیخ صالح الکواز الحلی : ۲۰.

فهـذه المقـدمه على قله أبياتها تكشف بوضوح معنى الطلل عند الشاعر وقد تجلى بأرض الطف وما جرى فيها على الحسـين عليه السـلام وأصـحابه ونسائه من قتل وتشـريد وسبى، والشاعر بهـذه الحال قـد طوَّع الموروث الشـعرى القـديم ليصوغ بنيه جحديده وطللاً جديـداً أسـمى وأعمق من طلل الجاهلى الـذى وقف وبكى واسـتبكى وسأل الطلل ولم يجبه، وهـذا الأمر وجدناه قبلاً عند زعيم مدرسه الشـيعه السـيد الشـريف الرضى فى طفياته التى رثى بها الإمام الحسين عليه السلام(١)، وهـذا الأمر يجعلنا نعتقد بأن لشـعراء الشـيعه - حصـراً - فهمـاً ووعياً بالطلل لم يتناوله الشـعراء الآخرون بسـبب اختلاف الرؤيه والاعتقاد مما يجعل ذلك ميزه لهم، وخصيصه فى أشعارهم وبخاصه عندما يتعلق الأمر بواقعه الطف.

ويطالعنا الشاعر بوقفه أخرى تحدث عنها بشكل صريح قائلاً(٢):

لم أنس وقعه كربلاء وإن

أنسَ الرزايا بعضها بعضا

من أين بعد السبط مفتقد

فيكون عضب مصابه أمضى

قالوا الحسين لأجلكم كرما

شرب الحتوف فقلت لا أرضى

أرضى بأن أرد الجحيم ولا

يرد الردى قتلا ولا قبضا

فوقفه الشـاعر واضـحه محـدده، ومشـاعره تجـاه الحسـين عليه السـلام صادقه طافحه بالحب والفـداء من أجله فهو لا يرضـى بقتل الحسين عليه السلام ويرضى أن يرد الجحيم ولا يصاب الحسين بقتل أو قبض.

أما إذا تناولنا صوت الشاعر فى خواتيم قصائده الطفيه فإننا نجده صوتاً متوسلاً مستشفعاً بأهل بيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم مخاطباً إياهم بنعوت مختلفه يتقطر

١- طفيات الشريف الرضى دراسه فى البناء الهيكلى والموضوعى:١٩.

٢- ديوان الشيخ صالح الكواز الحلى : ٢٨.

منها الوفاء والحزن علی ما أصابهم، فنراه يقول (۱):

بنی علی وأنتم للنجا سببی

فی يوم لا سبب إلا وقد قطعا

ويوم لا نسب يبقی سوی نسب

لجدكم وأبيكم راح مرتجعا

ويخاطبهم بأخری بقوله(۲):

يا بنی خير والد ليت عينا

ما بكتكم تسهدت لن تناما

وبأخری(۳):

يا سادتی يا بنی الهادی ومن لهم

بثی وحزنی إذا ما ضاق دهری بی

ويخاطب الحسين عليه السلام بشكل خاص بقوله(۴):

يا ابن بنت النبی عذراً فإنی

قد رأيت الحياه بعدك ذنبا

أما توسله واستشفاعه بهم فاتخذ طريقاً فی المثوبه علی شعره وقصائده التی قالها فيهم فهو يجعل شعره فی حبهم ورثائهم هديه يقدمها لهم كی ينال الشفاعه والأجر والمثوبه، فنراه يقول(۵):

زففت إليكم من حجال بديهتی

عروس نظام دان أهل الحجی لها

فإن قبلت هانت عظائم عثرتی

وأيقنت أن الله فيها أقالها

فما ضرَّ ديوانى سواد طروسه

إذا لقيت فى الحشر منكم صقالها

وما ضرَّ ميزانى تقال جرائمى

إذا كنت فيها مستخفاً ثقالها

ولا اختشى هولاً وإن كنت طالحاً

إذا قيل يوم الحشر صالح قالها

فالأبيات تكشف سر اعتناء الشاعر بقصائده هذه وماذا يريد من ورائها، ويجعل

١- م.ن: ٣٣.

٢- م.ن: ٤٤.

٣- م.ن: ٢٧.

٤- م.ن.

٥- م.ن: ٤١.

مسأله قبولها ورفضها من أهل البيت (عليهم السلام) هو المقياس الذى يتقبله الشاعر على الرغم من افتخاره بشعره الذى نعته بالعروس التى زفها إليهم، وهو بهذه القصائد لا يخشى من النار إن كان طالحاً ما دامت قصائده قد نالت القبول من أهل البيت (عليهم السلام).

ونراه يقول فى الأخرى بعد أن يصور مشاعره الشجيه على مصائبهم عليهم السلام (۱):

واليكم منى خريده حسن

قلدت من جمان فكرى نظاما

ابتغى منكم القبول وأرجو

جائزات تنيلنى الإكراما

فاقبلوها يا سادتى وأنيلوا

فسوى نيل فضلكم لن يراما

كان فيها عون الإله ابتداءا

فاجعلوها منكم القبول اختتاما

فهو ينعت قصائده بخريده الحسن المقلده بجمان فكره، ويبتغى أن تتقبل منه كى ينال الجائزات، ثم يتوسل لهم بالقبول ليسأل فضلهم وشفاعتهم، وهو يخبر بأن عون الإله كان يرعاه ويعينه على كتابه هذه الأشعار، فكما كان عون الإله فى البدايه يسألهم أن يجعلوا قبولهم لها ختاماً ومسكاً له، ولعل هذا اللون فى النهايات كان واضحاً ومقبولاً كأنه نهج مشى عليه الآخرون فإننا نجده عند الشريف الرضى فى طفياته التى رثى بها الإمام الحسين عليه السلام، والشريف الرضى هو علم وزعيم لمدرسه شعراء الشيعه ولا عجب أن يتبعه الشعراء من المتأخرين فى ذلك حتى يصبح ظاهره بارزه عندهم(۲).

۱- م.ن: ۴۵.

۲- ينظر: ديوان الشريف الرضى: ۲ / ۱۹۰، وعلى سبيل الإشاره لا الحصر ينظر ديوان ابن كمونه: ۷، ۱۳، ۱۸، وديوان محسن أبو الحب الكبير: ۲۹، ۳۶، ۴۳، وديوان السيد حيدر الحلى: ۱ / ۵۵، ۷۰، ۹۲.

ولهـذا الأمر مرجعيات عقائـديه، فقـد " كان الأئمه من آل محمد يشـجعون الشـعراء على النظم فى هذا الغرض، ووعدوا من قال فيهم بيتاً من الشعر بيت فى الجنه"(۱)، وكانت العلاقه بينهم وبين شعرائهم علاقه أخرويه أكثر مما هى دنيويه"(۲).

ويـذكر الشاعر فضل أهل البيت (عليهم السـلام) طالبا أن يسـتجيبوا دعواه ويكشـفوا ضـره وبلواه لما لهم من منزله عنـد الله رفيعه عظيمه(۳):

ندبتكم فأجيبونى فلست أرى

سواكم مستجيباً صوت منتدبِ

فانتم كاشفو البلوى وعندكم

صدق الامانى فلم تكذب ولم تخب

ألستم جعل البارى بيمنكم

رزق الخلائق من عجمٍ ومن عرب

بل أنتم سبب بالعرشِ متصل

لكل ذى سبب أو غير ذى سبب

وهـذا التوسل والاستشـفاع يكشف عن ضـيق يد الشاعر وابتلائه بالمصائب الدنيويه، ولم يجد أفضل وأعلى شأناً عند الله من أهل البيت (عليهم السلام) كى يكشفوا ضره وبلواه.

ونجده فى أخرى أكثر تماسكاً مما يلم به، فنراه يقول(۴):

لوما أنهنه وجدى فى ولايتكم

قذفت قلبى لما قاسيته قطعا

من حاز من نعم البارى محبتكم

فلا يبالى بشىء ضرَّ أو نفعا

فإنها النعمه العظمى التى رجحت

وزناً فلو وزنت بالدر لارتفعا

من لی بنفسٍ علی التقوی موطنه

لا تحفلنَّ بدهرٍ ضاق أو وسعا

١- الأدب العربی فی کربلاء: ١٧۴.

٢- هذا الأمر یؤکده ما قاله الکمیت مخاطباً الإمام محمد الباقر علیه السـلام: " والله ما أحببتکم للدنیا، ولو أردت الدنیا لأتیت من هی فی یدیه ولکنی أحببتکم للآخره.. " ینظر / معاهد التنصیص علی شواهد التلخیص: ٣ / ٩۶.

٣- دیوان الشیخ صالح الکواز الحلی : ٢٧.

۴- م.ن: ٣٣ .

فقـد حـاز قلبه محبه أهـل البيت (عليهم السـلام) فلم يبـالِ بضـرٍ أو نفعٍ، فهى النعمه العظمى التى لا تقارن ولا توزن بالـدر وجعل ذلک أساس تقواه التى توطنت النفس معها حتى باتت لا تحفل بالدهر إن ضاق أو وسع، ونجد الصـرامه والحزم فى مبالغه لطيفه فى البيت الأول الذى يدل على مدى تمسک الشاعر بأهل البيت (عليهم السلام) حتى إنه مستعد أن يقذف قلبه قطعاً إذا مال إلى غيرهم، ونجد هذا المعنى فى نهايه أخرى قال فيها(۱):

عجباً لقلبى وهو يألف حبكم

لم لا يذوب بحرقه الأرزاءِ

وعجبت من عينى وقد نظرت إلى

ماء الفرات فلم تسل فى الماء

وألوم نفسى فى امتداد بقائها

إذ ليس تفنى قبل يوم فناء

ما عذر من ذكر الطفوف فلم يمت

حزناً بذكر الطاء قبل الفاء

إنى رضيت من النواظر بالبكا

ومن الحشى بتنفس الصعداء

ما قدر دمعى فى عظيم مصابكم

إلا كشكر الله فى الآلاء

وكلاهما لا ينهضان بواجب

أبداً لدى الآلاء والأرزاء

إنها مشاعر صادقه مفعمه بالحب والحزن على ما جرى فى أرض الطف، فهو يجعل من عظيم دمعه فى مصائب أهل البيت كشكر الله فى الآلاء، وكلا الأمرين لا ينهضان بمعنى لا يستطيعان أن يصـلا إلى استيفاء حقهم على الإنسان لعظم قـدرهم عنـد الله جل وعلا.

ونجـد الشـاعر فى خـاتمه أخرى أكثر ألمـاً وعـاطفه تجـاه الحسـين عليه السـلام وما حل به فى أرض الطفوف، فهو يقول مخاطباً الحسين عليه السلام (۲):

۱- م.ن: ۱۹.

۲- م.ن: ۲۷. تعاملنا مع هذه الأبيات على أنها خاتمه لقصيده مفقوده لمشابهتها أسلوب الشاعر فى خواتيم قصائده الطفيه .

يا ابن بنت النبی عذراً فإنی

قد رأيت الحياه بعدك ذنبا

من تراه أشد منی وقاحا

جعل الصبر بعد قتلك دأبا

فكأنی لم يأتنی خبر الطف

أو انی استسهلت ما كان صعبا

أين حبی إن لم أمت لک حزناً

أين حزنی إن لم أمت لک حبا

فهو يرى حياته بعد الحسين عليه السلام ذنباً لا يغفره لنفسه، وان صبره وقاحه قد دأبت نفسه عليه بعد أن قتل، ثم ينكر على نفسه أنه لم يأته خبر الطف بل إنه استسهل الأمر العظيم الصعب، فتراه حانقاً على نفسه غضبان على فعله الشنيع، فحبه الحسين عليه السلام وحزنه عليه لا يفترقان فيه فهما حياته وموته.

ونجد هذه الحراره والشعور المتدفق الطافح بالحب والفداء وسط إحدى علوياته فتراه يقول(١):

لک الله مقتولاً بقتلی لک الهوى

أباح قديماً قتلها وقتالها

فليت رماحاً شجرتک صدورها

تلقيت فی أحشاء صدری طوالها

وبيض صفاح صافحتک فليتنی

وقيتكها فی صفحتی صقالها

وهذا الصوت الوحيد الذی وجدناه عند الشاعر قد جاء فی وسط القصيده، ففی الغالب يظهر الشاعر فی مقدماتها وخواتيمها، أما فی الوسط فيكون وصفاً ومعالجه للموضوع على لسان شخصياته مثلما مر بنا فی المحورين المتقدمين، ولعل ظهوره فی هذا

الموضع يمثل انفلاتا عاطفياً طغى على شعوره فلم يستطع أن يواريه أو يكبحه فجاراه بهـذه المجاراه اللطيفه الصادقه، فهو يتمنى أن يقى الحسين عليه السلام من رماح أعدائه وسيوفهم وأن يفتديه وهذا أقل ما يستطيع تقديمه للفدائى العظيم.

وتجدر الإشاره إلى ظهور صوت الشاعر فى مقطوعتين، الأولى تعاملنا معها على

١- م.ن: ٤٠.

أساس أنها خاتمه لقصيده ضائعه إذ جاءت على شاكله خواتيمه، وقد مرَّ ذكرها، أما المقطوعه الأخرى فقد جاء فيها صوت الشاعر مخلوطاً بالغضب والحنق على أعداء أهل البيت (عليهم السلام) والحزن والبكاء على ما أصابهم، إذ قال(۱):

إذا أنا لا أبكى لمثلك حق لى

بكائى على أنى لمثلك لا أبكى

وكيف يصان الدمع من بعد ما اجتروا

على حرمات الله أعداك بالهتك

ثم يستنكر متعجباً لما جرى فى يوم الطف من سفح وسفك:

أأنسى دموعاً أو دماءا تجاريا

من الآل يوم الطف بالسفح والسفک

وقال فيها:

فلم يجحدوا ذبح الحسين وما جرى

عليه غداه الطف من أعظم الفتک

فتلك رزايا فى السماء إلى الثرى

فمن ملك يبكى عليه ومن ملك

ثم ينهيها بقوله:

كفى حزناً أن المحاريب أظلمت

غداه توارى فى الثرى كوكب النسك

ونلحظ الشاعر إتيانه بالجناس التام بين (ملك) من الملائكه، وبين (ملك) بمعنى التملك والتسلط، وجاء بالاستعاره فى البيت الأخير ليضفيها على الحسين عليه السلام إذ جعله كوكباً للنسك وقد أظلمت المحاريب دونه..

١- م.ن : ٣٧.

نتائج الإجراء

ومن خلال ما تقدم يمكن أن نخلص إلى أهم النتائج التى تمخض عنها البحث، وهى:

۱ . لقد كان لواقعه الطف الأثر الواضح فى شعر صالح الكواز الحلى إذ أمدته بكثير من الخيال والصور.

۲ . لقد مثلت واقعه الطف المعين الروحى الذى يتزود منه الشاعر فى أوقاته العصيبه التحدى والصبر والقوه.

۳ . كذلك مثلت واقعه الطف عند الشاعر الطريق الصحيح والحق الذى يجب أن يسلك حتى يضمن الإنسان النهايه الأخرويه السعيده.

۴ . استعان الشاعر بالمعين القرآنى وبخاصه فى عقد مقاربات موضوعيه صوريه بين الأنبياء عليهم السلام والحسين عليه السلام أكد من خلالها أن الحسين عليه السلام هو الامتداد الحقيقى لرساله السماء وهو المحيى سنن الأنبياء عن طريق التضحيه والفداء.

۵ . كذلك استعان الشاعر بالمعين التاريخى فى عقد مقاربات موضوعيه صوريه بين شخصيات ومواقف تاريخيه وما حدث للحسين عليه السلام وأصحابه وأهل بيته الكرام فى واقعه الطف.

۶ . مثـل الحسـین علیه السـلام عنـد الشاعر الفـداء والتضـحیه لـدین جـده الرسول الکریـم صـلی الله علیه وآله وسـلم فوجب علینا التضحیه والفداء دونه وسلوک نهجه العظیم فی عدم الرضوخ والاستسلام للظالمین.

۷ . أصحاب الحسین علیه السلام هم النخبه الخیره التی وقفت مع الحسین علیه السلام وبذلت مهجتها دونه.

۸ . کمـا کـان لموقف زینب علیهـا السـلام أثر کبیر فی نفس الشاعر فصورها بالعاتبه علی أخیها الحسـین علیه السـلام إذ لم یقم بنصـرتها ویخلصـها من یـد ألأعـداء الغاشـمین الـذین لم یرعوا حرمه لبنات الرساله وخانوا وصایا الرسول فیهم، وکذلک صورها بالواعظه للقوم الذین أقدموا علی فعل أمر عظیم وهو قتل الحسین علیه السلام وسبی نسائه وعیاله.

۹ . تجلی صوت الشـاعر فی طفیـاته فی مقـدماته الطللیه، فقـد اسـتطاع أن یشـکل طللاً جدیـداً تمثل بأرض الطف، وراح یحاکیه ویستذکر ما وقع علیه فی ذلک الیوم العصیب.

۱۰ . وتمثـل صوت الشـاعر فی خواتیم طفیاته التی جاء فیها متوسـلاً متضـرعاً طالبا الرضا والقبول من أهل البیت (علیهم السـلام) کی یقبلوا بها لتکون شـفیعاً عندهم، وبهذه الالتفاته یتضح أن الشاعر یسـتغل فاجعه الطف أو مصـیبه الحسـین علیه السلام بشکل أعم لتکون له رصـیداً یستشـفع من خلاله بأهل البیت (علیهم السـلام) لیکونوا له ذخراً وشافعین فی الیوم الأخروی وهـذا الأمر له مرجعیاته العقائدیه التی آمن بها الشاعر وتحرک من خلالها.

۱۱ . بقی أن نقول أن طفیات الشـیخ صالـح الکواز الحلی تمتعت بتکامل البناء والنسج من جهه والعاطفه الصادقه والشـعور الحی من جهه أخری فضلاً عن عمق

الخیال والصوره البـدیعه التی جـذبت ذهن المتلقی وشـعوره إلیها، فکانت بحق من روائع الشـعر الحسـینی الذی یظل حیاً ما بقی ذکر الحسین علیه السلام.

وأخیراً نحمـد الله العلی القـدیر علی حسن معونته لإتمـام هـذا البحث الـذی قصـدنا فیه وجهه تعـالی وأهـدیناه تقرباً وتشـفعاً إلی سیـدی ومولای أبی عبـد الله الحسـین علیه السـلام معتذرین فی الوقت نفسه عن أی هنه أو زلل وقعنا فیه، ولا ریب فإن فوق کل ذی علم علیم..

ومن الله التوفیق..

الإجراء الثالث: القرآنیه فی طفیات–الشیخ صالح الکوَّاز الحلی

اشاره

مقدمه الإجراء

الحمد لله رب العالمين، الذی نزَّل القرآن علی عبده هدیً ورحمهً للعالمین، والصلاه والسلام علی المبعوث والمخصوص بذلک الهدی، وبتلک الرحمه؛ محمد الصادق الأمین، وعلی من ترکهم حمله لذلک الهدی ولتلک الرحمه؛ أهل بیته الطیبین الطاهرین، وعلی المستقبلین لذلک الهدی ولتلک الرحمه؛ صحبه الأبرار المنتجبین، ومن تبعهم إلی یوم الدین... وبعد:

یعدُّ القرآن الکریم مرجعاً مهماً من مرجعیات الشاعر بصوره عامه، یلجأ إلیه لیتزوَّد منه کثیراً من تقنیات الأسلوب والصوره والألفاظ، ومن ثمَّ فإنَّ ظهور القرآن فی النصوص الإبداعیَّه، وتغلغله فیها أمرٌ یکاد لا یستثنی منه أی دیوان شعر عربی، منذ نزوله حتی الآن مع اختلاف نسبه تکثیفه فی هذا الدیوان أو ذاک.

وهذا الأمر ساعد المتلقی علی تفهّم خلفیَّه النص المرسَل؛ بوصف القرآن مرجعاً عاماً للمسلمین، وأتاح للشاعر تشکیل صوره منه بما یتوافق وتلک الخلفیَّه، مع احترازه من تجاوز المتلقی أو المرجع نفسه، وبما یحقق الإبداع وإشراک المتلقی فی اتساع أبعاد النص المنتج.

ومثَّلت (طفیات)(۱) الشیخ صالح الکواز الحلی، وهی قصائده فی رثاء الحسین بن علی، وبقیَّه الشهداء (علیهم السلام)(۲) منعطفاً مهماً فی توظیف الشاعر لآی القرآن

۱- نعت جامع دیوان الشیخ صالح الکواز الحلی الشیخ محمد علی الیعقوبی هذه القصائد ب(العلویات) وکان لنا فی هذا المصطلح رأی أثبتناه فی البحث الموسوم: (طفیات الشیخ صالح الکواز الحلی دراسه موضوعیه تحلیلیه).
۲- دیوان الشیخ صالح الکواز الحلی: ۱۶.

الكريم بما يجلب انتباه المتلقى، ويثير فيه الإعجاب والتأمل، فقد كانت القرآنيه مهيمنه على نصوصه، مستغلاً إياها فى تشكيل صوره، وتحريكها بفعاليه عاليه، فهو يربط بين النصوص القرآنيه أحداثاً وشخوصاً وقصصاً، وما جرى فى واقعه الطف الأليمه، وهذه السمه وما شابهها من التضمينات الأخرى رصدها جامع ديوانه الشيخ محمد على اليعقوبى، حين وصفه بقوله: "نجده يمتاز على شعر غيره ممن عاصره أو تقدَّم عليه أو تأخر عنه فيما أودعه من التلميح بل التصريح على الأغلب إلى حوادث تاريخيه وقصص نبويَّه وأمثال سائره ليتخلَّص منها إلى فاجعه الطف مما يحوج القارئ إلى الإلمام بكثير من القضايا والوقائع ومراجعه الكتب التاريخيه.."(١).

وكان الاتكاء على القرآن الكريم أحداثاً وشخوصاً وقصصاً هو الأبرز من حيث التوظيف، والأوضح الذى عمد إليه الشاعر فى طفياته، وجاء البحث ليكشف عن أبعاد هذه الظاهره فى ضوء خطه كانت ثوابتها متكونه من تمهيد تناولنا فيه نقطتين، الأولى: تعريف موجز بحياه الشاعر صالح الكواز الحلى ومنزلته الأدبيه، والثانيه: تناولنا فيها مفهوم القرآنيه وأسباب تبنيه دون غيره من الاصطلاحات القريبه منه ك(أثر القرآن) أو (التناص القرآنى)، وأعقب التمهيد مبحثان، تضمن المبحث الأول البنائيه القرآنيه فى طفيات الشيخ صالح الكواز الحلى، وأوضحنا فيه طبيعه توظيف الشاعر القرآنيه على مستوى القصيده وأثرها فى بنائها الفنى.

أما الثانى فتناولنا فيه التقنيات القرآنيه فى الطفيات، وكانت تقنيتين، الأولى: القرآنيه المباشره غير المحوره، والثانيه: القرآنيه المباشره المحوره(٢).

وأشفع المبحثان بخاتمه ضمَّت أبرز النتائج التى توصل إليها البحث.

١- م.ن: ٨.

٢- أشار الدكتور مشتاق عباس معن مجترح مصطلح (القرآنيه) إلى تقنيه ثالثه وهى القرآنيه غير المباشره المحوَّره، وهو ما لم يتوافر فى أنموذجه التطبيقى، وكذلك لم يتواجد فى أنموذجنا (الطفيات). ينظر: تأصيل النص: ١٨٣.

التمهيد

١– ضوء على حياه الشيخ صالح الكواز الحلى ومنزلته الأدبيه

الكواز هو أبو المهدى صالح بن مهدى بن حمزه آل نوح من قبيله الخضيرات إحدى عشائر شمَّر المعروفه فى نجد والعراق(١)، وشهرته بالكواز لأنها كانت مهنه أبيه، إذ كان يعتاش على بيع الكيزان والجرار والأوانى الخزفيه(٢)، وكانت ولادته فى الحله سنه ١٢٣٣ه الموافق ١٨٤۶ م(٣)، ونشأ فيها وترعرع لذلك لقب بالحلى.

اشتهر صالح الكواز بتدينه، وما تبع ذلك من ورع وتقوى وعباده، حتى إنه كان يقيم الجماعه فى أحد مساجد الحله مع وثوق الناس بالائتمام به(۴)، مما يعنى ذلك السمعه الطيبه والأخلاق الإسلاميه التى تمتع بها أهَّلته لأن يكون رجل دين بارز فضلاً عن كونه شاعراً ملتزماً بخطه الإسلامى.

أما ثقافته فتخبرنا المصادر أنه على جانب عظيم من الفضل والتضلع فى علمى النحو والأدب(۵)، فقد درس علوم العربيه والشريعه الإسلاميه على يد الشيخ على

١– البابليات: ٢ / ٨٧، وديوان الشيخ صالح الكواز الحلى: ۴.

٢– أدب الطف: ٧ / ٢١۴ – ٢١۵،وديوان الشيخ صالح الكواز الحلى:۵.

٣– البابليات: ٢ / ٨٧، ومشاهير شعراء الشيعه: ٢ / ٣١۶، وديوان الشيخ صالح الكواز الحلى: ۴.

۴– ينظر: مثير الأحزان: ٢٨٠، وديوان الشيخ صالح الكواز الحلى: ۶.

۵– ينظر: ديوان الشيخ صالح الكواز الحلى: ۴.

العذارى والشيخ حسن الفلوجى والسيد مهدى داود(١)، ومن أشهر أساتذته أيضاً السيد مهدى القزوينى الذى له مدائح فيه(٢)، وفضلًا عن ذلك فإن المطالع فى ديوانه يلمس ثقافه واضطلاعا غير قليل على علوم العربيه والتاريخ والمنطق والفقه والعقائد بشكل واضح، ولعلَّ هذه العلوم كانت من مستكملات رجل الدين والأدب وبخاصه إذا عرفنا عنه الضيق المادى الذى نعزوه ليس فقط إلى نفسه الأبيَّه وتعففه عما فى أيدى الناس(٣) وإنما إلى انشغاله بالتعلم وربما التعليم أيضاً وهذا واقع عقلاً ومقبول منطقاً من حيث استعمال المساجد للتدريس وتعليم وهو أمر معروف فى تلك الحقبه التى عاشها الشاعر، ومن ثمَّ فإنَّ ما ذهب إليه صاحب كتاب أعيان الشيعه من أن الشيخ صالح كأخيه الشيخ حمادى سليقى النظم يقول فيعرب ولا معرفه له بالنحو(٤) لا أساس لها من الصحه، وربما اختلط عليه الأمر فوصف الأخوين بوصف واحد(٥).

وإذا ما نظرنا إلى ما قاله معاصره السيد حيدر الحلى رجل الدين والأدب فى حقه لتبين لنا منزله شاعرنا وما كان يتمتع به من مواهب وإبداع، فقد قال عنه فى تصديره إحدى قصائد المترجم فى كتابه (دميه القصر) المخطوط ما نصه: "أطول الشعراء باعاً فى الشعر وأثقبهم فكراً فى انتقاء لئالى النظم والنثر خطيب مجمعه الأدباء والمشار إليه بالتفضيل على سائر الشعراء"، وقال عنه أيضاً فى الكتاب المذكور وهو فى صدر التقديم لإحدى قصائده: "فريد الدهر وواحد العصر الذى سجدت لعظيم بلاغته جباه أقلامه واعترفت بفصاحته فضلاء عصره وأيامه وفاق بترصيع نظامه وتطريز كلامه أرباب الأدب من ذوى الرتب ومن رايه فى النظم على

١- معجم الشعراء العراقيين: ١٨٠.

٢- ينظر: ديوان الشيخ صالح الكواز الحلى: ٥١، ٦٧، ٦٨، ٧٠، ٩٨.

٣- م. ن: ٥.

٤- ينظر: أعيان الشيعه: ١١/٤٠٤.

٥- ينظر: ديوان الشيخ صالح الكواز الحلى: ٤.

کل رای أدیب راجح الشیخ صالح الحلی"(۱).

والـذی نستشـفه من هـذا الإـطراء الکبیر أموراً عـدَّه أهمهـا تقـدم الشـیخ صالـح الکواز الحلی علی شـعراء زمـانه بمـا امتلک من إمکانیـات فنیه ولغویه تمتع بهـا شـعره ممـا أهله لأـن یکون فریـد دهره وواحـد عصـره، والأمر الآخر هو اعتراف أهل زمانه لیس بشاعریته فحسب وإنما بخطابته وفصاحته وتقـدمه فی هـذا المضـمار أیضاً، ولعلَّ هذه الأمور أو الأوصاف لا تنطبق علی شخصـیَّه أمیَّه بقدر ما تنطبق علی شخصیَّه لامعه بالشعر والخطابه ومشهوره بالعلم والفضل.

ومهما یکن من أمر فإن للمترجم صـلات مع باقی شـعراء عصـره البارزین من أمثال السید حیدر الحلی وعبد الباقی العمری وعبد الغفـار الأخرس فضـلًا عن اشـتهار قصائـده وبخاصه (الطفیات) فی المحافل الحسـینیه وإنشاد الخطباء لها فی المناسـبات الـدینیه، وکانت منابر بغداد والحله والنجف وکربلاء والبصره تصدح بها(۲).

وکان الشاعر معـدوداً من المکثرین، إلا أنَّ دیوانه لم یصل إلینا، والـذی بقی منه جمعه الشـیخ محمـد علی الیعقوبی وأصدره فی دیوان وسـمه ب(دیوان الشیخ صالـح الکواز الحلی)، وقـد وقع فی ألف وخمسـمائه بیت شـعری، فضـلًا عن قیـامه بترجمه وافیه له(۳).

أمـا وفـاته - رحمه الله - فأشـارت المصـادر إلی أنها فی سـنه ۱۲۹۱ه وقیل ۱۲۹۰ه الموافق ۱۹۰۳م فی الحله، ونقـل جثمـانه إلی النجف الأشرف ودفن هناک(۴)، وأقیم له مجلس عزاء مهیب یلیق بهذه الشخصیه الحسینیه ورثاه جمع من شعراء عصره کان فی

۱- م. ن: ۷ – ۸.

۲- ینظر م. ن: ۸، ۱۲ – ۱۳.

۳- م. ن: ۱۳ – ۱۴.

۴- البابلیات: ۲ / ۸۷، وشـعراء الحله: ۳ / ۱۶۱، ومعـارف الرجال: ۳۷۶، ومشاهیر شـعراء الشیعه: ۲ / ۳۱۶، ودیوان الشـیخ صالح الکواز الحلی: ۴.

مقدمتهم السید حیدر الحلی الذی رثاه بقصیده طویله ملؤها الأسی والتأسف لفقده، وأشاد فیها بالسیره الحسنه والأخلاق الحمیده مع إشادته بحسن شعره واشتهاره فنراه یقول(۱):

ثکل أم القریض فیک عظیم

ولأم الصلاح أعظم ثکلا

قد لعمری أفنیت عمرک نسکاً

وشحنت الزمان فرضاً ونفلاً

إن تعش عاطلاً فکم لک نظم

بات جید الزمان فیه محلی

ولک السائرات شرقاً وغرباً

جئن بعداً ففتن ما جاء قبلا

کم قرعن الأسماع بیتاً فبیتاً

فأفضن العیون سجلاً فسجلا

وهکذا نتبین منزله الشیخ صالح الکواز الحلی الأخلاقیه والدینیه والمنزله الشعریه المرموقه التی نالها فی عصره، وأشاد بها معاصروه، فکان بحق " رجل المبدأ والعقیده فی حیاته وشعره "(۲).

۲- مفهوم القرآنیه

من المفاهیم الإجرائیه الجدیده علی الساحه النقدیه مفهوم (القرآنیه)، وقد اجترحه أحد الباحثین الأجلاء(۳)، وعرَّفه بقوله: " آلیه من الآلیات التی یتوسل بها المبدع فی تشکیل نصوصه الإبداعیه من جهتی الرؤی والأنساق، بنیه وإیقاعاً، بحسب سیاق القرآن الکریم"(۴).

وجاء اجتراحه هذا بعد أن وجد فیه دلاله أوفی من غیره من المصطلحات النقدیه المستعمله التی من أبرزها وأشهرها (أثر القرآن)، وکذلک مصطلح (التناص القرآنی)،

۱- دیوان السید حیدر الحلی: ۲ / ۱۳۷.

٢- طفيات الشيخ صالح الكواز الحلی؛ دراسه موضوعيه تحليليه: ٨.

٣- هو الدكتور مشتاق عباس معن فی كتابه: تأصيل النص: ١٦٨ – ١٨٨.

٤- تأصيل النص: ١٧٠.

فقد اعترض على الأول بقوله: "سعى نقادنا القدامى وجمله من النقاد المحدثين إلى تمييز الأخذ من القرآن الكريم والإفاده منه بمصطلحات تدل عليه، كما اختلف القدامى فى تلك الاصطلاحات، فبعضهم ميَّزه ب(الاقتباس) أو (التضمين) فى حين أدخله بعضهم فى خانه (السرقه) ك(أبى محمد عبد الله بن يحيى المعروف بابن كناسه ت ٢٠٧ ه) الذى ألَّف كتاباً بعنوان (سرقات الكميت من القرآن وغيره)(١)، وجرياً على ذاتيه التمييز تلك سعينا لاجتراح مصطلح (القرآنيه) لتمييز عمليه الأخذ والإفاده من القرآن من سواها"(٢).

وهذا الأمر واضح من تعريف البلاغيين، فقولهم فى الاقتباس بأنه " تضمين الكلام نظماً كان أم نثراً شيئاً من القرآن والحديث لا على أنه منه، أى على طريقه أن ذلك الشيء من القرآن والحديث، يعنى على وجه لا يكون فيه إشعار بأنه منه، كما يقال فى أثناء الكلام قال الله تعالى كذا "(٣).

ومن خلال التعريف يتضح تداخل أمرين، الأول: الاقتباس والتضمين، والثانى: جعل الحديث النبوى اقتباساً أو تضميناً متداخلاً مع القرآن الكريم، وهذا ما حاول الباحث الابتعاد عنه باجتراحه مصطلح القرآنيه ذى الخصوصيه الواضحه من لفظ المصطلح.

أما فيما يتعلق بابن كناسه، وجعله الأخذ من القرآن سرقه يعاب عليها الشاعر، فهذه مسأله نادره فى هذا الباب، ولعلَّ مرجعها موقف فقهى دينى، فإننا نجد من العلماء

١- ابن كناسه هو ابو يحيى محمد بن عبد الله بن عبد الأعلى الأسدى من أهل الكوفه انتقل إلى بغداد وأقام بها؛ اخذ عن جله الكوفيين، ولقى رواه الشعراء وفصحاء بنى أسد، وكان شاعرا وله من الكتب: الأنواء،ومعانى الشعر، وسرقات الكميت من القرآن وغيره.ولد سنه ١٢٣ ه وتوفى ٢٠٧ه. تنظر ترجمته فى: الفهرست:١/١٠٥.

٢- تأصيل النص: ١٦٩.

٣- مختصر المعانى: ٤٥٠، والإيضاح: ٦ / ١٣٧.

أو الفقهـاء من أبـاحه (أى الاقتبـاس)، وقيّده بعض منهم، وكرَّهه ثالث، وحرمه آخر، وقـد "اشـتهر عن المالكيَّه تحريمه وتشـديد النكير على فـاعله"(١)، ولعـلَّ هـذا الأمر وراء تسـميه ابن كناسه الاقتباس والتضـمين القرآنى بالسـرقه، فالسـرقه تعنى الأخـذ على اختلاف وجوهه من القبول أو الرفض أو الاستهجان أو الطعن وغيرها.

أمـا اعتراضه على المصـطلح الآـخر وهو (التنـاص القرآنى) فعلله بقوله: "يـدل مصـطلح (التنـاص) على ثنـائيه مفـاهيميه من جهه (الآخذ والمأخوذ)، الأمر الذى يحدث لبساً عند بعض المتلقين لو أضـفناه إلى القرآن، إذ يدلل على أن المأخوذ هو القرآن، كما يصـح أن يكـون الآخـذ أيضـاً، ولاسـتحاله الاتفـاق مـع الفرض الثـانى، أعرضـنا عـن هـذا الاصـطلاح، وأن نسـتبدل به مصـطلحاً جديداً"(٢).

إنَّ هـذه الفروق الـدقيقه فى اسـتعمال المصـطلح أو ذاك هى بلاـ شـک وليـده العلميـه الصـارمه والبحث المعمـق فى فهم تلك الاصـطلاحات، وبيـان الفوارق الـدلاليه فيمـا بينهـا، نعم إنَّ إطلاـق المصـطلح مهم، ولكن الأهم منه التطابق الفعلى والحقيقى مع الظاهره التى أطلق عليها أكثر من غيره، والأهم من ذلک كله اسـتعمال المصـطلح فى حقله الـذى انطلق منه ليأخذ مكانه الطبيعى فى الحياه والانتشار، والا تعرض للإهمال والنسيان.

ومن هنا جاء اسـتعمالنا لهـذا المصـطلح، فضـلًا عن آليات تناوله البنائيه والتقنيه وكيفياتها التى عززها مجترح المصـطلح بأنموذج تطبيقى على ما ذهب إليه، ونحن بدورنا انتقينا أنموذجاً آخر يختلف عصـراً، ومن ثمَّ يختلف بناء وتقنيه، لنعزز به حياه المصـطلح وانتشاره من جهه، ويحقق كشفاً جديداً مضافاً لأنموذجنا التطبيقى عليه من جهه أخرى.

١- الإتقان فى علوم القرآن: ١ / ١١.
٢- تأصيل النص: ١٦٩.

المبحث الأول: بنائيه (القرآنيه) في طفيات الشيخ صالح الكواز الحلي

لا ريب في أن أي نص إبـداعي يحمل في جذوره كثيراً من النصوص الأدبيه والمعرفيه التي سبقته، أو التي عاصـرته مع اختلاف هيمنه أو سيادة هـذا النص أو ذاك على نتاجه، مما يعني تأثير ذلك النص على الشاعر واستحضاره في شعوره أكبر وأقوى من النصوص الأخرى.

إنَّ هـذه التأثريه تتم عنـد الشاعر بقصـد أو من دون قصد للإفاده مما هو متوافر لديه من مصادر ثقافيه متنوعه، تعينه على تشـكيل نصه الإبداعي باللغه.

ويعد القرآن الكريم واحداً من أكبر وأهم تلك المصادر التي يتوسل الشاعر بها في صياغه نصه الإبداعي، وإخراجه، مستفيداً منه في الأسلوب والبناء والموضوع والفكره، ولا ننكر اختلاف الشـعراء في طرائق ذلك التوسل فضـلًا عن مدى كثافته في النصوص الشعريه.

وإذا مـا دققنـا النظر في (طفيات) الشـيخ صالـح الكواز الحلي، فإننا نجـدها مترعه بالقرآنيه، فقـد وظَّف الشاعر القرآن في خـدمه قضيته الحسينيه، وكان ينظر إلى القرآن من خلال قضيته تلك، لذا كانت القرآنيه مهيمنه على نصوصه، ومن ثمَّ لم تتنافس معها

نصوص إبداعيه أخرى، ويبدو أنَّ الشاعر وجد فى الحسين عليه السلام وأهل بيته وما جرى عليهم فى تلك الواقعه أمراً لا يماثله أو يقارنه إلا ـ ما وجد فى القرآن وحواه من نماذج ساميه يمكن التمثل بها، وإنَّ هذه القصديه والإلحاح الواضحين عند قراءه الطفيات تدفعنا الى القول بان الشاعر كان يرى فى الحسين القرآن، وفى القرآن الحسين، ولا غرو ان آمن الشاعر بهذا الاعتقاد وترسخ فى ضميره ووجدانه، وبخاصه إذا علمنا مقوله الإمام على عليه السلام: (أنا القرآن الناطق)(۱)، فيتضح لنا أبعاد تعامل الشاعر مع النص القرآنى، فالحسين عليه السلام يمثل الامتداد الحقيقى ليس فقط لأبيه، بل لجده أيضاً(۲)، ومن ثمَّ فهو الامتداد الحقيقى أيضاً لرساله السماء؛ وكذلك آمن الشيعه بأئمتهم الاثنى عشر من حيث تمثلهم بالحجج الإلهيه على الخلق أجمعين، والقرآن حجه على الخلق أيضاً.

إنَّ رؤيه الشيعه والشاعر أحدهم فى الحسين عليه السلام وموقفه يوم عاشوراء على أنه موقف قلَّ نظيره إن لم ينعدم فى تاريخ الإنسانيه، فالذى قدمه الحسين عليه السلام باستشهاده أحيى سنن الإله وشرائعه التى أنزلها على أنبيائه جميعاً، ومن ثمَّ كان الحسين عليه السلام ملخصاً لفحوى ما جاؤوا به، وبعثوا من أجله.

إنَّ هذا الفهم لطبيعه الاعتقاد عند الشاعر تجعلنا لا نستغرب او نتعجب مما جاء فى أشعاره، فالشاعر ينطلق من اعتقاد من أول القصيده ليعود إلى اعتقاد آخر فى نهايتها ليستكمل حلقه الالتزام الفكرى والعقائدى بصوره شعريه.

وتراوحت تبعاً لذلك كثافه القرآنيه من أول القصيده إلى وسطها ومن ثمَّ نهايتها، ومن تلك الطفيات المشحونه بالقرآنيه فى بدايتها ووسطها وخاتمتها قصيدته التى يبدؤها بقوله(۳):

۱- ينابيع الموده لذوى القربى: ۱ / ۲۱۴.

۲- تنظر الأحاديث النبويه فى: ينابيع الموده لذوى القربى: ۱ / ۱۱، ۴۵۵، ۴۶۲، و۲ / ۳۸.

۳- ديوان الشيخ صالح الكواز الحلى: ۲۴.

لی حزن یعقوب لا ینفک ذا لهب

لصرع نصب عینی لا الدم الکذبِ

وغلمه من بنی عدنان أرسلها

للجد والدها فی الحرب لا اللعب

ومعشر راودتهم عن نفوسهم

بیض الضبا غیر بیض الخرد العرب

فانعموا بنفوس لا عدیل لها

حتی أسیلت علی الخرصان والقضب

فانظر لأجسادهم قد قدَّ من قبل

أعضاؤها لا إلی القمصان والأهب

لقد استقطب الشاعر انتباه المتلقی منذ انطلاقته النصیه حین عمد إلی أخذ عینات موضوعیه من سوره یوسف علیه السلام وربطها بصور موضوعیه أخری حدثت فی واقعه الطف، وبدأ بتشبیه حزنه بحزن یعقوب علی یوسف (علیهما السلام)، حین جاء أخوته إلی أبیهم علی قمیصه بدم کذب لیأکدوا مصرعه علی ید الذئب، وهذا واضح فی قوله تعالی:

«وَجَآؤُوا عَلَی قَمِیصِهِ بِدَمٍ کَذِبٍ» (۱).

وهذا المقطع القصصی وظفه الشاعر بصوره لطیفه حین قرنه بنفسه، فحزنه ذو لهب متجدد، وسببه مصرع سالت به دماء حقیقیه ولیس کالذی حدث مع یعقوب علیه السلام والجامع بین الصورتین (الحزن)، وعمد فی البیت الثانی إلی أخذ عینه أخری من سوره یوسف، إذ قال:

وغلمه من بنی عدنان أرسلها

للجد والدها فی الحرب لا اللعب

وأشار بلفظه (الغلمه) إلی ریعان شبابهم وقوتهم وقد أرسلهم والدهم کنایه عن الحسین علیه السلام إلی الحرب لا اللعب، وهذا الحدث قابل إرسال یعقوب علیه السلام ولده یوسف مع إخوته لیرتع ویلعب، وهذا ما أشارت إلیه الآیه القرآنیه علی لسان إخوه

يوسف مخاطبين أباهم بشأنه:

«أَرْسِلْهُ مَعَنا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ»(٢).

١- يوسف: ١٨.

٢- يوسف:١٢.

والمفارقه بين الموقفين، موقف الحسين عليه السلام وإرساله أولاده وإخوانه إلى الحرب، وبين إرسال يعقوب عليه السلام ليوسف وإخوته ليلعبوا ويصطادوا، وشتان ما بين اللعب والحرب، والجامع بين الصورتين (الإرسال).

ثم يعمد فى البيت الثالث إلى أخذ عينه أخرى، فقال:

ومعشر راودتهم عن نفوسهم

بيض الضبا غير بيض الخرد العرب

وهنا يقابل بين أصحاب الحسين عليه السلام ومراودتهم السيوف يوم الطف، وبين مراوده زليخا امرأه العزيز ليوسف عليه السلام، وكادت أن تهمَّ به ويهمَّ بها كما أشارت إليه الآيه الكريمه:

«وَرَاوَدَتْهُ الَّتِی هُوَ فِی بَیْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ...»(۱).

والجامع بين الصورتين (المراوده).

ثم يقول (۲):

فانعموا بنفوس لا عديل لها

حتى أسيلت على الخرصان والقضب

فانظر لأجسادهم قد قدَّ من قبل

أعضاؤها لا إلى القمصان والأهب

فهو يشير فى البيت الثانى إلى الآيه القرآنيه من سوره يوسف:

«.... إِن کَانَ قَمِیصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الکَاذِبِینَ. وَإِنْ کَانَ قَمِیصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَکَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِینَ»(۳).

وهذه الصوره وظفها الشاعر لإظهار شجاعه أصحاب الحسين عليه السلام حين جعل قدَّ أعضائهم ولم يقل قمصانهم أو أهبهم من الإمام مما يدلل على المقابله الحقيقيه للموت وعدم مهابتهم له حتى صرعوا على أرض كربلاء، أما فى قصه يوسف عليه

۱- يوسف:۲۳.

۲- ديوان الشيخ صالح الكواز الحلى: ۲۴.

۳- يوسف:۲۶.

السلام فکان قد القمیص قضیه تعلقت بها براءه یوسف من عدمها، والجامع بین الصورتین (القدّ).

إنَّ هذا التوظیف للعینات المنتقاه من سوره یوسف علیه السلام من لدن الشاعر کان وراءه أمران:

الأول: استغلال معرفه شریحه کبیره من المتلقین لهذه القصه بتفاصیلها مما یسهل عملیه انتقاء بعض تلک التفاصیل وبخاصه البارز منها.

الثانی: إدراک الشاعر المفارقه الکبیره بین هذه العینات وما یقابلها من أحداث وقعت فی الطف، مما یثیر مشاعر المتلقین وأذهانهم، ویخلف صدمه المفارقه بإنتاجه معنی جدیداً یمکن أن نطلق علیه المعنی المعکوس الموازی للنص القرآنی، وسواء أکان المتلقی اعتیادی الثقافه أو علی قدر کبیر منها فإن الشاعر حقق مبتغاه باستعماله ذلک الأسلوب.

ومهما یکن من أمر فإنَّ الشاعر یتبع أبیاته المتقدمه بقوله(۱):

کل رأی ضرَّ أیوب فما رکضت

رجل له غیر حوض الکوثر العذب

فهو یلجأ إلی أخذ عینه من قصه أیوب علیه السلام المبثوثه فی القرآن لیوظفها فی تجسید مشاعره تجاه الحسین علیه السلام وأصحابه وما جری لهم فی واقعه الطف، فموقف أیوب علیه السلام الذی ذکره الله تعالی بقوله:

«وَاذْکُرْ عَبْدَنَا أَیُّوبَ إِذْ نَادَی رَبَّهُ أَنِّی مَسَّنِیَ الشَّیْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ. ارْکُضْ بِرِجْلِکَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ»(۲).

فأیوب حین مسَّه الشیطان بضر دعا ربَّه لیذهب عنه هذا الضرّ فاستجاب لدعائه الله تعالی فوفر له مغتسلاً بارداً وشراباً، إن هذا الموقف الحمیم لم یکن مع الحسین علیه

۱- دیوان الشیخ صالح الکواز الحلی: ۲۴.

۲- سوره(ص):۴۱۴۲.

السلام وأصحابه، فلما أصابهم الضرّ لم يدعوا كما دعا أيوب ليكشف عنهم الضر، وإنما وجدوا فی ضرهم هذا تقرباً من الله، وفی سبیله.

ولا ریب فی أن هذه العینه المنتقاه من قصه أیوب لربما لم یطّلع علیها کثیر من المتلقین مما یثیر فی أذهانهم مجموعه من التساؤلات أکثر مما یثار فی أنفسهم الإعجاب والتأمل، وبهذا فالنص سیکون بحاجه إلی قارئ متفحص للقصص القرآنی الدینی لیتمکن من فهم النص والاستمتاع فی قراءته.

ثمَّ یأخذ الشاعر عینات قرآنیه أخری، وهذه المرَّه من قصَّه موسی علیه السلام فیوظفها فی أحوال الحسین علیه السلام فی یوم الطف، فهو یقول (۱):

وأنسین من الهیجاء نار وغی

فی جانب الطف ترمی الشهب بالشهب

فیمموها وفی الإیمان بیض ضبا

وما لهم غیر نصر الله من إرب

تهش فیها علی آساد معرکه

هشَّ الکلیم علی الأغنام للعشب

فالمقابله واضحه فی البیت الأول مع الآیه القرآنیه فی قوله تعالی:

«فَلَمَّا قَضَی مُوسَی الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَاراً قَالَ لِأَهْلِهِ امْکُثُوا إِنِّی آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّی آتِیکُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَهٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّکُمْ تَصْطَلُونَ»(۲).

وشتان ما بین النارین من الاستئناس والتقرب، وشتّان أیضاً بین هش الکلیم علی أغنامه وذلک فی قوله تعالی علی لسان موسی علیه السلام:

«قَالَ هِیَ عَصَایَ أَتَوَکَّأُ عَلَیْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَی غَنَمِی وَلِیَ فِیهَا مَآرِبُ أُخْرَی»(۳).

وبین هش الحسین وأصحابه فی واقعه الطف بسیوفهم المشهوره علی أعدائهم.

۱- دیوان الشیخ صالح الکواز الحلی: ۲۴.

٢- القصص: ٢٩.

٣- سوره (ص): ١٨.

ويتبع هذه القرآنيه بقرآنيه أخرى، فنجده يقول بعد هذه الأبيات (١):

ومبتلين بنهر ما لوارده

من الشهاده غير البعد والحجب

فلن تُبَل ولا في غرفه أبداً

منه غليل فواد بالظما عطب

حتى قضوا فغدا كل بمصرعه

سكينه وسط تابوت من الكثب

فليبك طالوت حزناً للبقيه من

قد نال داود فيه أعظم الغلب

فالشاعر يشير إلى قصه طالوت وأصحابه عندما ابتلاهم الله تعالى بنهر، فقال تعالى:

«فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ»(٢).

فهذه القصه تشابهت أحداثها مع أحداث واقعه الطف من حيث ابتلاء الله للحسين عليه السلام وأصحابه بنهر، والنهر هنا الثبات على العقيده والتضحيه من أجل الدين ونصره ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا ريب في انهم نصروه وقضوا صرعى وكان كل منهم سكينه وسط تابوت من الكثب، وهذا التشبيه أيضاً كان إحدى علامات طالوت وقدومه، وذلك في قوله تعالى:

«وَقَالَ لَهُمْ نِبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلآئِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ»(٣).

١- ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي: ٢٥.

٢- البقره: ٢٤٩.

٣- البقره:٢٤٨.

ثمَّ يـدعو الشاعر (طالوت) إلى الحزن على البقيه من آل محمـد والعتره الطاهره إشاره إلى الإمام زين العابـدين على بن الحسـين عليه السـلام، وراح ينظر إلى عماته وأخواته وهنَّ على تلك الحاله بعد قتل الحسـين عليه السـلام ومن معه، وقد صوَّر الشاعر هذا الأمر بطريقه قرآنيه فقال(۱):

يرنو إلى (الناشرات) الدمع طاويه

أضلاعهن على جمر من النوب

و(العاديات) من الفسطاط ضابحه

و(الموريات) زناد الحزن فى لهب

و(المرسلات) من الأجفان عبرتها

و(النازعات) بروداً فى يد السلب

و(الذاريات) تراباً فوق أرؤسها

حزناً لكل صريع بالعرا ترب

فالألفاظ (العاديات، المرسلات، النازعات، الذاريات) هى أسماء سور قرآنيه فضلًا عن (الناشرات، الموريات)(۲) التى جاءت فى سيـاق السور ذاتهـا، وقـد جاءت كلها فى إطار القسم الإلهى الـذى يؤكـد أنَّ وعـد الله واقع لا محاله فى يوم ترجف فيه الراجفه، ولكن الإنسان كنود كافر بنعم الله وبـذلك اليوم، ومن هنا نلمح التقارب الدلالى فى البنيه المعمقه للنص وهو أنَّ الذى حدث مع نسـاء الوحى والرسـاله فى واقعه الطف على يـد هؤلاـء الظـالمين لا يمر دون عقاب إلهى، ويوم العقاب الـذى ترجف الراجفه فيه واقع بهم لاـ محـاله. على أن من الواضـح فى البنيه السـطحيه للنص تعامـل الشـاعر مـع هـذه الألفـاظ بمعناهـا الظـاهرى من دون مرجعياتهـا القرآنيه، ولكننا نميل إلى البنيه المعمقه، لأنَّ تقنيات الشاعر فى الأداء، وبخاصه فى تعامله مع المرجعيه القرآنيه تجعلنا قول ذلك.

ومهمـا يكن من أمر، فـإنَّ الشـاعر ينتقى أنموذجـاً نسائياً من واقعه الطف وهو (أم الرضـيع) ليقابله بأنموذجين نسائيين من القرآن الكريم؛ وورد الأنموذج الأول إشارياً فى

۱- ديوان الشيخ صالح الكواز الحلى: ۲۵.

۲- الناشـرات فى قوله تعالى من سوره المرسلات (الآيه ۳): (فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفاً. وَالنَّاشِرَاتِ نَشْراً)، أما الموريات ففى قوله تعالى من سوره العاديات الآيه ۲: (وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً. فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً).

القرآن وهو (أم إسماعيل)(۱)، أما تفاصيله التی اعتمدها الشاعر فکانت مرجعیاتها سنیَّه متمثله بأحادیث الرسول محمد صلی الله علیه وآله وسلم(۲)، أما الثانی الذی وردت تفاصیله فی القرآن الکریم فکان (أم الکلیم)(۳) کنایه عن (أم موسی)، فنراه یقول(۴):

وربَّ مرضعه منهنَّ قد نظرت

رضیعها فاحص الرجلین فی الترب

تشوط عنه وتأتیه مکابده

من حاله وظماها أعظم الکرب

فقل (بهاجر) (إسماعیل) أحزنها

متی تشط عنه من حر الظما تؤب

وما حکتها ولا (أم الکلیم) أسی

غداه فی الیم ألقته من الطلب

فالشاعر یصف حال النساء الثلاث، وموقفهنَّ من أولادهنَّ ومشاعرهنَّ الحزینه علیهم، ولکن الأحداث تختلف مع کل واحده منهنَّ، فهو یقول:

هذی إلیها ابنها قد عاد مرتضعاً

وهذه قد سقی بالبارد العذب

فهو یصور النهایه السعیده للنبیین الولیدین، ولکن الأحداث مع أم الرضیع لم تکن کذلک، فقال مبیناً ذلک:

فأین هاتان ممن قد قضی عطشاً

رضیعها ونأی عنها ولم یؤب

بل آبَ مذ آبَ مقتولاً ومنتهلاً

من نحره بدم کالغیث منسکب

ثمَّ يوضح طبيعه المشاركه بينها وبين تلك النساء يقول:

شاركنها بعموم الجنس وانفردت

عنهنَّ فيما تخص النوع من نسب

فالشاعر يحاول من بدايه القصيده أن يجعل هوَّه دلاليَّه معكوسه بين القرآنيه وما

١- قال تعالى فى سوره إبراهيم الآيه ٣٧ على لسان إبراهيم عليه السلام: (رَّبَّنَا إِنِّى أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ).

٢- ينظر على سبيل المثال لا الحصر: قصص الأنبياء: ٢٠٣ – ٢٠٥.

٣- القصص ١٠١٣.

٤- ديوان الشيخ صالح الكواز الحلى: ٢٥.

جری فی واقعه الطف، وقد نجح فی ذلک، وأثار المتلقی فکراً وشعوراً، وأحدث فی نفسه صدمه المعنی المعکوس بصوره ملفته.

ویتخذ صالح الکواز الحلی من الطرح القرآنی رمزاً امتدادیاً للمعادین لرساله محمد صلی الله علیه وآله وسلم المتمثل ب(حماله الحطب)، فنراه یقول(۱):

وصبیه من بنی الزهراء مربقه

بالحبل بین بنی حماله الحطب

فهؤلاء المعادون للامتداد الرسالی المتمثل بالصبیه من بنی الزهراء (علیهم السلام) هم الامتداد لبنی حماله الحطب المشار إلیهم فی قوله تعالی:

«وامرأته حمّالهَ الحَطَبِ. فی جِیْدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدِ»(۲).

ثمَّ یشیر إلی عمق امتداد الرسالی لبنی الزهراء فی القرآن الکریم، فنراه یسترسل قائلًا:

لیت الألی أطعموا المسکین قوتهم

وتالییه وهم فی غایه السغب

حتی أتی (هل أتی) فی مدح فضلهم

من الإله لهم فی أشرف الکتب

فسوره (الإنسان) التی ابتدأها الله تعالی بقوله:

«هَلْ أَتَیْ عَلَیْ الإنْسَانِ...»(۳).

قد نزلت فی البیت العلوی، وفیها یطعمون المسکین وتالییه الیتیم والأسیر ولم یدخل فی جوفهم طعام قط مده ثلاثه أیام، فأثابهم الله تعالی علی ذلک بإنزاله سوره (الإنسان) أو (هل أتی) فی حقهم وبیان إکرامه لهم، فاستغل الشاعر هذا الأمر فی بیان ما حلَّ بأولادهم وأحفادهم علی ید أعدائهم المتمثلین ببنی حماله الحطب، وبیَّن الفرق الامتدادی بصوره قرآنیه، وهذه الصوره المصطنعه بأسلوب المقارنه تبعث المتلقی علی الحزن والبکاء وأیضاً تبعثه علی الغضب والثوره علی من فعل مثل هذه الأفعال

۱- دیوان الشیخ صالح الکواز الحلی: ۲۷.

٢- المسد: ۴۵.

٣- الإنسان:١.

الشنيعه بأهل بيت الرساله، وقبيل نهايه قصيدته يوضح سبب قتل الحسين عليه السلام ومن معه فى واقعه الطف بضرب مثالين قرآنيين، فنراه يقول(۱):

والقاتلين لساداتٍ لهم حسداً

على علا الشرف الوضاح والحسب

والفضل آفه أهليَّه ويوسف فى

غيابه الجب لولا الفضل لم يغب

وصفوه الله لم يسجد له حسداً

إبليس لمّا رأى من أشرف الرتب

فالسبب الحسد الذى أضمره هؤلاء للحسين عليه السلام لما امتلك من فضل منَّ الله به عليه كما منَّ على يوسف عليه السلام وصفوه الله كنايه عن آدم عليه السلام، فكان دليله دامغاً وحجه منطقيه مستوحاه من القرآن الكريم، ولا ـ ريب فى ان هذين المثالين معروفان لدى المتلقى، فاستغلَّ الشاعر هذا الأمر فى إتيانه دليلًا على ما ذهب إليه؛ وفى ختام قصيدته يخاطب سادته من بنى الهادى متوسلًا بهم بقوله:

يا سادتى يا بنى الهادى ومن لهم

بثى وحزنى إذا ما ضاق دهرى بى

ثمَّ يتسلسل فى دعائه وتوسله وبيان منزلتهم عند الله سبحانه وتعالى، وهذه الرؤى ذات مرجعيات سنّيَّه (أحاديث النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأفعاله) فضلًا عمّا أثر من أحاديث الأئمه الاثنى عشر (عليهم السلام) وتؤكد علو شأنهم ومنزلتهم الساميه عند الله تعالى، وكلامه المتقدم مستوحى من قوله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام:

«قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّى وَحُزْنِى إِلَى اللّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ»(۲).

وهكذا يتضح اعتماد الشاعر فى بناء قصيدته على القرآنيه من بدايه قصيدته حتى نهايتها مما ينبئ عن وعى وقصديه بهذه البنائيه، فضلًا عن تنوع استثماره القرآنى فوجدنا النص الموازى المعاكس للنص القرآنى، ووجدنا الرمز، وضرب المثال، وأيضاً الدعاء، وهذه الآليات اعتمدها الشاعر فى صياغه قصيده تختلف بناءً وموضوعاً ولغه عن

۱- ديوان الشيخ صالح الكواز الحلى: ۲۷.

۲- یوسف:۱۲۴.

القصیده العربیه المعروفه بمکونات بنائها الفنی، مما ینبئ عن اتجاه جدید فی تطور القصیده العمودیه وإن کنا لا نعدم اعتماد کثیر من القصائد علی القرآنیه ولکن لیس بهذا الکیف وکذلک النوع والأداء، وهذا ما یحسب للشاعر صالح الکواز الحلی.

ومهما یکن من أمر فقد استغلَّ شاعرنا قرآنیه مرجعها قصه موسی علیه السلام، وقد مرَّ أنموذج منها، ومن تلک النماذج قوله فی إحدی مقدمات طفیاته وتحدیداً البیت الثالث منها قوله(۱):

فتخال موسی فی انبجاس محاجری

مستسقیاً للقوم ماء جفونی

فالقرآن الکریم یؤکد هذه القصه بالقول:

«وَأَوْحَیْنَا إِلَی مُوسَی إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاکَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَهَ عَیْناً»(۲)،

ولا ریب فی انَّ اتکاء الشاعر علی القرآنیه فی تشکیل صوره جدیده متلونه الأبعاد عمیقه الرؤی تجلب نظر المتلقی وتثیر فیه لذه الإبداع هی آلیه أخری یعتمدها الشاعر. ویعید الشاعر إنتاج الصوره القرآنیه المتقدمه ولکن بأبعاد جدیده وذلک فی قوله مبیناً أثر قتل الحسین فی موسی (علیهما السلام)(۳):

کلمت قلب (کلیم الله) فانبجست

عیناه دمعاً دماً کالغیث منهمعا

وکذلک نراه فی قوله مشبهاً وقوع الحسین علی أرض معرکه الطف، ورفع رأسه علی الرمح بصوره قرآنیه تدعو إلی ألإعجاب والاندهاش، کقوله(۴):

کأنَّ جسمک موسی مذ هوی صعقاً

وإنَّ رأسک (روح الله) مذ رفعا

۱- دیوان الشیخ صالح الکواز الحلی: ۴۵.

۲- الأعراف:۱۶۰.

۳- دیوان الشیخ صالح الکواز الحلی: ۳۱.

۴- م.ن.

فصدر البيت يرجع بنا إلى قوله تعالى:

«وَخَرَّ موسَى صَعِقاً»(۱).

أما العجز فمرجعه إلى قوله تعالى فی عيسى عليه السلام:

«وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً. بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ»(۲).

على أن مثل هكـذا صور دقيقه الأبعاد تحتاج إلى متأمل ومتفحص حتى يـدرک طبيعه التقارب والتشابه بين طرفی التشبيه ومدى التباعـد المعمق فی هـذا التقارب الظاهری، وعليه فمتلقی هـذه الصوره يعجب بها ومن ثَمَّ يـذهب ذهنه ليرصد طبيعه تحركها فی داخله وما يثيره هذا التحرک من انفعال وما يجسده من شعور.

ويعمد الشاعر إلى ذكر أقوام ضرب بهم المثل فی القرآن وهم قوم (ثمود) وقوم (تبع) فجعلهم امتداداً رمزياً للذين قتلوا الحسـين عليه السلام وذلک فی قوله(۳):

وتتبعت أشقى ثمود وتبعٍ

وبنت على تأسيس كل لعين

ويتبع هذا القول بمثال قرآنی على عظم فضل الزهراء عليها السـلام ووليدها الحسـين عليه السـلام بعد أن ذكر أشـقى ثمود ومهَّد للمستمع بقوله(۴):

ما كان ناقه صالح وفصيلها

بالفضل عند الله إلا دونی

فتعامل الشاعر مع النص القرآنی على أساس الرمزيه وضرب المثال، فقدسيه ناقه صالح وفصيلها الوارد ذكره فی قوله تعالى:

«كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا.إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا. فقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا. فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا. وَلا يَخَافُ عُقْبَاهَا»(۵).

۱- الأعراف:۱۴۳.

۲- النساء: ۱۵۷ – ۱۵۸.

۳- ديوان الشيخ صالح الكواز الحلی: ۴۷.

۴- م.ن:۴۸.

٥- الشمس: ١١ – ١٥.

لم يكن بأفضل من الزهراء عليها السلام ووليدها الحسين الذى قتلوه ولم يراعوا حرمه انتسابه إلى الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ويمكن توضيح البنيه المعمقه التى نستوضحها من أبيات الشاعر بمخطط دلالى:

وتجدر الإشاره إلی استعمال الأسماء (ثمود، تبع، عاد...) من لدن بعض الشعراء القدامی(۱) لیضرب بهم المثل فی عدم البقاء وحتمیه الموت علی بنی الإنسان مهما شادوا أو عمَّروا فلا بدَّ أن یأتی الیوم الذی لا مهرب منه ولا محیص، ولکننا نجد شاعرنا صالح الکواز الحلی قد تعامل مع هذه المسمیات تعاملاً جدیداً اختلف عمّا تعاور الشعراء علیه، وهذا الأمر یبدو لنا جدیداً بعض الشیء، مما یمکن أن نحسبه خصیصه تمیَّز بها الشاعر الحلی.

۱- من القدماء ممن نجد عنده هذه الطریقه وهی معروفه فی الرثاء الأسود بن یعفر النهشلی فی قصیدته التی مطلعها: نام الخلی وما أحس رقادی والهم محتضر لدی وسادی ینظر: دیوانه: ۲۵. ونجدها أیضاً عند عدی بن زید العبادی فی قصیدته التی یبدؤها: أین أهل الدیار من قوم نوح ثم عاد من بعدهم وثمود ینظر: دیوانه: ۱۲۲. ونجدها عند أبی العتاهیه فی قصیدته التی یبدؤها: المنایا تجوس کل البلاد والمنایا تفنی جمیع العباد ینظر: أبو العتاهیه أشعاره وأخباره: ۱۱۲.

المبحث الثانی: تقنیات القرآنیه فی طفیات الشیخ صالح الکواز الحلی

اشاره

مما لا شک فیه هو اختلاف سبل الإفاده والتعامل مع القرآنیه علی صعید احتلالها جزءاً ما فی بنیه النص، فهی أیضاً تمثل لبنه من لبناته المهمه التی لا یمکن تجاوزها، وتبعاً لـذلک یمکن تحدیـد تقنیات القرآنیه فی طفیات الشیخ صالح الکواز الحلی بتقنیتین هما:

أولاً: القرآنیه المباشره غیر المحوَّره

اشاره

ویمکن تعریفها بأنها أخذ مباشر من القرآن الکریم من دون أن یحور الشاعر لفظاً أو دلاله منه، وهو ما عرف ب(الاقتباس المباشر)(۱)، یلجأ إلیه الشاعر– فی الغالب – لیدعم ما ذهب إلیه، ولیقرّب ما ابتعد، ولیوضح ما أغمض من صوره.

علی أنَّ هذه التقنیه مما یسهل رصدها فی النصوص الشعریه واکتشاف مرجعیتها، وبخاصه علی "المتلقین ذوی الثقافه المحدوده فضلًا علی تهوین عملیه فک الشفره النصیه وإجراء المقاربه الدلالیه بین النص الجدید (الآخذ) والنص القدیم (المأخوذ) لتکون عملیه

۱– ینظر: الأدب الأندلسی من الفتح حتی سقوط غرناطه: ۱۰۸.

إبلاغ النص واستقباله هينه لينه على المتلقين "(۱).

من الشواهد الإجرائيه فی الطفيات قوله تعالى:

«عمَّ يتسَاْءَلُوْنَ عَنِ النَبَأ العَظِيْمِ»(۲).

فقد وظَّف الشاعر (النبأ العظيم) فی شعره مخاطباً فيه الإمام على عليه السلام وهو ما عرف عند الشيعه خاصه هذا اللقب(۳)، فقال(۴):

يا أيها النبأ العظيم إليک فی

ابناک منی أعظم الأنباءِ

ومن الاقتباس النصی يختار الشاعر الآيه الكريمه لقوله تعالى:

«يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَهٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ»(۵).

فيقول متأثراً بواقعه الحسين عليه السلام فی العاشر من المحرَّم (۶):

ولتذهل اليوم منکم کل مرضعه

فطفله من دما أوداجه رضعا

فيشبه يوم استشهاد الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه بيوم القيامه الذی أشار إليه القرآن الكريم لهوله وعظمته تذهل کل مرضعه عن رضيعها.

ومن القرآنيه النصيَّه المباشره قوله عز وجل فی سوره يوسف:

«فَلَمَّا اسْتَيْأَسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيّاً»(۷).

ظف الشاعر (خلصوا نجياً) فی قوله(۸):

۱- تأصيل النص: ۱۸۲.

۲- النبأ: ۲۰۱.

۳- الميزان فی تفسير القرآن:۲۰/۱۶۳.

۴- ديوان الشيخ صالح الكواز الحلی: ۱۷.

٥- الحج: ٢٢.

٦- ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي:٣٢.

٧- يوسف:٨٠.

٨- ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي:٤٦.

وقفوا معی حتی إذا ما استیأسوا

خلصوا نجیاً بعد ما ترکونی

ومن التقنیه المباشره غیر المحوره تتضح فی قوله (عز وجل):

«هَلْ أَتَی عَلَی الإنسَانِ حِینٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ یَکُن شَیْئاً مَّذْکُوراً»(۱).

فی قول الشاعر(۲):

حتی أتی (هل أتی) فی مدح فضلهم

من الإله لهم فی أشرف الکتب

ومن الشواهد الأخری علی هذه التقنیه ما ورد فی قوله تعالی:

«کلّا إنَّ کتَاْبَ الفُجَّارِ لَفِیْ سِجِّیْن»(۳).

فاستعار الشاعر لفظه (سجّین) ووظفها فی قوله(۴):

تلک الرزایا الباعثات لمهجتی

ما لیس یبعثه لظی سجِّینِ

وفیما یأتی جدول بمواضع القرآنیه المباشره غیر المحوره فی طفیات الشیخ صالح الکواز الحلی:

جدول القرآنیه المباشره غیر المحوره فی طفیات الشیخ صالح الکواز الحلی

النص المأخوذ (القرآن الکریم)

النص الآخذ (البیت الشعری)

رقم الصفحه فی الدیوان

تسلسل البیت فی الصفحه

«وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْیَنَ وَجَدَ عَلَیْهِ أُمَّهً مِّنَ النَّاسِ یَسْقُونَ» (القصص ۲۳)

لم أنس إذ ترك المدينه وارداً

لا ماء مدين بل نجيع دماء

١٧

۴

«عمَّ يتساءلون عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ»

١- الإنسان:١.

٢- ديوان الشيخ صالح الكواز الحلى:٢۶.

٣- المطففين:٧.

۴- ديوان الشيخ صالح الكواز الحلى:۴۶.

ص: ١٧٥

(النبأ ١ – ٢)

يا أيها النبأ العظيم إليك فى ابناك منى أعظم الأنباء

١٧

٨

«قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ»

(يوسف ٢٦)

فانظر لأجسادهم قد قدَّ من قبل أعضاؤها لا إلى القمصان والأهب

٢٤

٧

«فالعاصِفَاْتِ عَصْفَاً. فالنَّاشِرَاتِ نَشْراً»

(المرسلات٢ – ٣)

يرنو إلى الناشرات الدمع طاويه أضلاعهنَّ على جمر من النوب

٢٥

٧

«والعادِيَاتِ ضبْحًا. فالمُورِيَاتِ قدحًاْ»

(العاديات ١ – ٢)

والعاديات من الفسطاط ضابحه والموريات زناد الحزن فى لهب

٢٥

٨

«والمرسلاتِ عرفاً»(المرسلات ١)

«والنازعاتِ غرقاً» (النازعات ١)

والمرسلات من الأجفان عبرتها والنازعات بروداً فى يد السلب

٢٥

٩

«والذاريات ذرواً» (الذاريات ١)

والذاريات تراباً فوق أرؤسها

حزناً لكل صريع بالعرا ترب

٢٥

١٠

«امْرَأَتُهُ حَمَّالَهَ الْحَطَبِ. فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ»

(المسد ٤ – ٥)

وصبيه من بنى الزهراء مربقه بالحبل بين بنى حماله الحطب

٢٦

٣

«هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ» (الإنسان ١)

حتى أتى (هل أتى) فى مدح فضلهم من الإله لهم فى أشرف الكتب

٢٦

٦

«قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَابَهِ الْجُبِّ»

(یوسف ۱۰)

والفضل آفه أهلیَّه ویوسف فی غیابه الجب لولا الفضل لم یغب

۲۷

۳

«قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّی وَحُزْنِی إِلَی اللّهِ»

(یوسف ۱۲)

یا سادتی یا بنی الهادی ومن لهم بثی وحزنی إذا ما ضاق دهری بی

۲۷

۶

ص: ۱۷۶

«يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ» (الحج ٢)

ولتذهل اليوم منكم كل مرضعه فطفله من دما أوداجه رضعا

۳۲

۱۵

«فَلَمَّا اسْتَيْأَسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيّاً»

(يوسف ۸۰)

وقفوا معى حتى إذا ما استيأسوا خلصوا نجياً بعد ما تركونى

۴۶

۴

« كَلاّ إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ»

(المطففين ۷)

تلك الرزايا الباعثات لمهجتى ما ليس يبعثه لظى سجين

۴۶

۱۱

ثانياً: القرآنيه المباشره المحوَّره

اشاره

يمكن تعريف هذه التقنيه بأنها أخذ من القرآن الكريم مع تحويره لفظياً أو دلالياً تبعاً لحاجه الشاعر، وهو ما عرف ب(الاقتباس غير المباشر، أو الإشارى)(۱) وفى هذه التقنيه مجال أرحب للشاعر فى صوغ أفكاره ومشاعره ومقاربتها بالقرآنيه، فضلاً عن إمكانيه التحرك إيقاعياً بصوره أكبر مما فى القرآنيه المباشره غير المحوَّره، وتبعاً لطريقه التحوير وصياغتها يكمن إبداع الشاعر أو إخفاقه.

ومن الشواهد على القرآنيه المباشره المحوَّره فى طفيات الشيخ صالح الكواز الحلى قوله تعالى:

«لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً»(٢).

فأخذ الشاعر (شرعه ومنهاجاً) ووظفها فى قوله (٣):

إن لم تسدوا الفضا نقعا فلم تجدوا

إلى العلا لكم من منهج شرعا

ويستعير الشاعر أسماء بعض السور، ويحورها لتتلاءم مع ما يطرحه من تصوير، فنراه يأخذ اسم (المدثر) و(المزمل) وهما اسمان لسورتين قرآنيتين معروفتين، ويوظفهما

١- ينظر: الأدب الأندلسى من الفتح حتى سقوط غرناطه: ١٠٨.

٢- المائده:٥.

٣- ديوان الشيخ صالح الكواز الحلى:٣٢.

بصوره لا تخلو من إبداع، فهو يقول واصفاً شهداء الطف (عليهم السلام)(۱):

(مدَّثرين) بكربلا سلب القنا

(مزملين) على الربى بدماء

ونراه يحور قوله تعالى:

«واشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا»(۲).

بصوره لطيفه عندما قال(۳):

وإن سراج العيش حال انطفاؤها

فقد أشعلت نار المشيب ذبالها

ونرى الشاعر يوظف مجموعه من الآيات متمثله بقصه النبى يونس عليه السلام الوارده فی قوله تعالى:

«وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ. فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنْ الْمُدْحَضِينَ. فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ. فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ. لَلَبِثَ فِی بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ. فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاء وَهُوَ سَقِيمٌ. وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ»(۴).

فهو يعمد إلى هذه القصه ويقوم بتحوير النص القرآنی بما يتلاءم والصوره التی رسمها لشهداء الطف وهم على أرضها مجدَّلين، واستغرقت منه أربعه أبيات، فنراه يقول فيها(۵):

ما ساهموا الموت الزؤام ولا اشتكوا

نصباً بيوم بالردى مقرون

حتى إذا التقمتهم حوت القضا

وهی الأمانی دون خير أمين

۱- ديوان الشيخ صالح الكواز الحلی:۱۸.

۲- مريم:۴.

۳- ديوان الشيخ صالح الكواز الحلی:۳۸.

۴- الصافات: ۱۳۹ – ۱۴۶.

٥- ديوان الشيخ صالح الكواز الحلى: ٤٧.

نبذتهم الهيجاء فوق تلاعها

كالنون ينبذ بالعرا ذا النون

فتخال كلًا ثمَّ يونس فوقه

شجر القنا بدلاً عن اليقطين

وهـذا التصـوير لاـ ريب فى أنَّه يـدل على إمكـانيه فنيه، وكـذلک لغـويه مكنته من هـذا التصوير الـذى يعجب المتلقى بتقابلاـته المصطنعه.

ونجـد له نصاً آخر لم يبتعـد عن النص القرآنى كـثيراً، ولربمـا اضـطره الـوزن إلى ذلـک، وهو قوله تعـالى فى قصه موسـى عليه السلام:

«فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء»(۱).

فأخذه أخذاً لا يخلو من طرافه، إذ قال(۲):

قد كان موسى والمنيَّه إذ دنت

جاءته ماشيه على استحياء

وفيما يأتى جدول بمواضع القرآنيه المباشره المحوره فى طفيات الشيخ صالح الكواز الحلى:

جدول القرآنيه المباشره المحوره فى طفيات الشيخ صالح الكواز الحلى

النص المأخوذ (القرآن الكريم)

النص الآخذ (البيت الشعرى)

رقم الصفحه فى الديوان

تسلسل البيت فى الصفحه

«فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء»

(القصص ۲۴)

قد كان موسى والمنيَّه إذ دنت

جاءته ماشيه على استحياء

١٧

٥

«وخرَّ مُوْسَى صَعِقاً» (الأعراف ١٤٣)

فهناك خرَّ وكل عضوٍ قد غدا

منه الكليم مكلم الأحشاء

١٧

٧

« يَا أَيُّهَا المدَّثِّر. قُمْ فَأَنْذِرْ» (المدثّر ١ - ٢)

١- القصص: ٢٤.

٢- ديوان الشيخ صالح الكواز الحلى: ١٨.

ص: ۱۷۹

«يَاْ أَيُّهَا المزَّمِّلُ. قُمِ الَّليْلَ إلاَّ قَلِيْلا»

(المزمل ١ – ٢)

مدثرين بكربلاء سلب القنا

مزملين على الربى بدماء

١٨

٣

«وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ»

(النساء ١٥٧)

كأنَّ عليه ألقى الشبح الذى

تشكل فيه شبه عيسى لصالب

٢٣

٣

«وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ»

(يوسف ١٨)

لى حزن يعقوب لا ينفك ذا لهب

لصرع نصب عينى لا الدم الكذب

٢۴

٣

«أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» (يوسف ١٢)

وغلمه من بنى عدنان أرسلها

للجد والدها فى الحرب لا اللعب

۲۴

۴

«وَرَاوَدَتْهُ الَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ»

(یوسف ۲۳)

ومعشر راودتهم عن نفوسهم

بيض الضبا غير بيض الخرد العرب

۲۴

۵

«ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ»

(ص ۴۲)

كل رأى ضرَّ أيوب فما ركضت

رجل له غير حوض الكوثر العذب

۲۴

۸

«قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى» (طه ۱۸)

تهش فيها على آساد معركه

هش الكليم على الأغنام للعشب

۲۴

١٢

«فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ» (البقره ٢٤٩)

ومبتلين بنهر ما لوارده

من الشهاده غير البعد والحجب

٢٥

٢

«وَقَالَ لَهُمْ نِبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ» (البقره ٢٤٨)

حتى قضوا فغدا كل بمصرعه

سكينه وسط تابوت من الكثب

٢٥

۴

«فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي» (القصص ٧)

وما حكتها ولا (أم الكليم) أسى

غداه فى اليم ألقته من الطلب

٢٥

١۴

«وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إَلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً» (الإسراء ٦١)

وصفوه الله لم يسجد له حسداً

إبليس لما رأى من أشرف الرتب

٢٧

۴

«وَطَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ»

(التوبه ۹۳)

وتلكم شبهه قامت بها عصب

على قلوبهم الشيطان قد طبعا

۳۰

۹

«وخرَّ موسى صَعِقاْ» (الأعراف ۱۴۳)

«وَمَا قتَلُوهُ يقيناً. بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ»

(النساء ۱۵۷ - ۱۵۸)

كأنَّ جسمك موسى مذ هوى صعقا

وإنَّ رأسك روح الله مذ رفعا

۳۱

۸

ص: ۱۸۰

«قُلْنَا يَا نَارُ كُونِى بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ»

(الأنبياء ۶۹)

ونار فقدک فی قلب الخلیل بها

نیران نمرود عنه الله قد دفعا

۳۱

۱۲

«فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً» (الأعراف ۱۶۰)

کلمت قلب کلیم الله فانبجست

عیناه دمعاً دما کالغیث منهمعا

۳۱

۱۳

«بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً»

(النساء ۱۵۸)

ولو رآک بأرض الطف منفرداً

عیسی لما اختار أو ینجو ویرتفعا

۳۱

۱۴

«كُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً» (المائده ۵)

إن لم تسدوا الفضا نقعاً فلم تجدوا

إلى العلا لكم من منهج شرعا

٣٢

١٢

«واشتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباَ»(مريم ۴)

وإن سراج العيش حان انطفاؤها

فقد أشعلت نار المشيب ذبالها

٣٨

٨

«قالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ» (يوسف ١٨)

وقوض بالصبر الجميل فتى به

فقدن حسان المكرمات جمالها

۴٠

٣

«فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ. فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ. وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ. فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ»

(القارعه ۶ – ٩)

وما ضرَّ ميزانى ثقال جرائمى

إذا كنت فيها مستخفاً ثقالها

۴١

١٧

«وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَهٍ»

(الحاقه ۶)

فكأنَّ الرياح منه استعارت

يوم عاد عدوا فأضحت رماما

۴۳

۱۱

«أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً» (الأعراف ۱۶۰)

فتخال موسى فى انبجاس محاجرى

مستسقياً للقوم ماء جفونى

۴۵

۹

«قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ» (يوسف ۷۲)

فكان يوسف فى الديار محكم

وكأننى بصواعه اتهمونى

۴۶

۵

«وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ. فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنْ الْمُدْحَضِينَ. فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ. فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ. لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ. فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ. وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ»

ص: ١٨١

(الصافات ١٣٩ – ١٤٦)

ما ساهموا الموت الزؤام ولا اشتكوا

نصباً بيوم بالردى مقرون

حتى إذا التقمتهم حوت القضا

وهى الأمانى دون خير أمين

نبذتهم الهيجاء فوق تلاعها

كالنون ينبذ بالعرا ذا النون

فتخال كلًا ثمَّ يونس فوقه

شجر القنا بدلاً عن اليقطين

٤٧

٦

٧

٨

٩

«كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا. إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا»

(الشمس ١١ – ١٢)

«وَأَصْحَابُ الْأَيْكَهِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ» (ق ١٤)

وتتبعت أشقى ثمود وتبع

وبنت على تأسيس كل لعين

۴۷

۱۵

«فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا»

(الشمس ۱۳)

ما كان ناقه صالح وفصيلها

بالفضل عند الله إلا دونی

۴۸

۸

الخاتمه

وفی نهایه المطاف نذکر أهم النتائج التی توصل إلیها البحث، وهی علی النحو الآتی:

۱ . القرآنیه من المفاهیم الإجرائیه الجدیده علی الساحه النقدیه، ولعلَّ مکمن الجده فیه رصد تحرک القرآنیه علی مستوی بناء القصیده الفنی، أو الرؤی والأنساق، وهذا الأمر ما لم یلتفت إلیه کثیر ممن خاضوا فی هذا المضمار.

۲ . کانت البنائیه القرآنیه فی طفیات الشیخ صالح الکواز الحلی واضحه بینه کشفت عن استثمار أمثل من لدن الشاعر.

۳ . استطاع الشاعر أن ینشئ نصاً موازیاً للقرآنیه یقوم علیها، ولکنه یجری بعکس اتجاهها مما ینبئ عن قصدیه فی تشکیل القصیده علی هذا النحو، فیتعدی ذلک مجرد الاقتباس إلی ما هو أبعد منه، وهو ما اصطلحنا علیه (النص الموازی المعاکس).

۴ . تنوعت الآلیات القرآنیه فی الطفیات علی مستوی البناء، فمنها النص الموازی المعاکس الذی ألمحنا إلیه، ومنها الرمز، وضرب المثل، والدعاء، وابتکار الصوره، مما یشیر إلی إمکانیات فنیه کبیره للشاعر فی استثمار تلک القرآنیه فی تصویر واقعه الطف أحداثاً وشخوصاً ومواقفاً.

۵. کـان لتنوع الآلیات القرآنیه واسـتثمارها فی بناء القصـیده أثره فی تشـکیل جدیـد للقصـیده اختلف عمّا هو معروف فی بنائها المعتاد، الأمر الذی نعده ملمحاً أو اتجاهاً تفرَّد به الشاعر الحلی.

۶. کـان ضـرب المثـل بالأقوام البائـده ک(عاد، وثمود، وتبع) فی موضوع الرثاء طریقاً اتخـذه الشـعراء القـدامی، أما شاعرنا فقد تعامل معها تعاملاً اختلف عما تعاوروا علیه، إذ ضخَّ فیه روحاً جدیده، مکنه منها ما طرحه القرآن الکریم وما طرحته واقعه الطف من تجلیات شعوریه وفکریه عند الشاعر.

۷. کانت القرآنیه المباشره غیر المحوره فی الطفیات أقل من القرآنیه المباشره المحوره مما یکشف عن تعامل الشاعر مع القرآن علی أساس حرکی أکثر مما هو سـکونی، وهـذا یتقابل مع ما حرکته فی داخله واقعه الطف فکراً وشـعوراً وأنتـج لنا هذه القرآنیه التی یمکن أن نطلق علیها أنها قرآنیه طفیَّه أو حسینیَّه.

وأخیراً، نحمد الله العلی القدیر علی حسن معونته لإتمام هذا البحث، الذی قصدنا به القربه منه، وإظهاراً لإمکانیات شاعر حسـینی غیَّبته الأیام عن ذاکره البحث والدراسه، فوجدنا أنفسنا مدینین له بالوفاء وحسن الذکر.

الإجراء الرابع: ديوان الشيخ (محسن أبو الحب الكبير)- دراسه فی الموضوع الشعری

اشاره

مقدمه الإجراء

الحمـد لله رب العالمين والصـلاه والسـلام على اشـرف الأنبياء والمرسـلين أبى القاسم محمـد، وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الغر الميامين

وبعد...

لاـ ريب فى ان الأـرض التى حوت خطباً تأريخيـا جليلًا كمـدينه كربلاء قادره على إنجاب عمالقه فى مختلف المجالات يكونوا بمستوى الحدث الذى جرى عليها.

ومن هنا فقد أنجبت كربلاء ولازالت كثيراً من فطاحله العلم والأدب، وكانت بحق أرضا معطاء مباركه منذ أن حلَّ جسد الحسين عليه السلام فيها.

وبرزت شخصـيات منهـا كـان همّهـا الوحيـد خـدمه الحسـين عليه السـلام وقضـيته التى بثهـا فى واقعه الطف الأليمه، فوظفوا كل إبداعاتهم لإحيائها وترسيخها فى النفوس.

ومن تلك الشخصـيات التى لفتت عين عصرها الخطيب البارع والشاعر المبرز الشيخ محسن أبو الحب الكبير الذى أوقف خطابته وشعره فى خدمه قضيه الحسين عليه السلام، وكان بحق علماً بارزاً فيهما.

وقد سلطنا الضوء على شخصيته الشعريه التى أشاد بها كثير من الباحثين

الأجلاء، سالكين فی دراستنا له منهجاً وصفیا رکزنا فیه علی موضوعات شعره التی طرقها لتکون بادره أولی لتسلیط الضوء أکثر علی هذه الشخصیه ومعطیاتها الفنیه. وفی ضوء ذلک جاء تقسیمنا البحث علی تمهید ومحاور مثلت الموضوعات الشعریه فی الدیوان. ضم التمهید فقرتین الأولی: ملامح من حیاه الشاعر والثانیه منزلته الأدبیه. أما المحاور فقد راعینا فیها طبیعه شعر الشاعر وکثره طرقه لهذا الموضوع أو ذاک فکان موضوع (الطفیات) ونقصد بها قصائده فی رثاء الحسین علیه السلام وأهل بیته وأصحابه الذین استشهدوا معه فی واقعه الطف أول تلک الموضوعات وأکثرها أهمیه وبروزاً فی دیوان الشاعر، ثم تلاه شعر المناسبات والاخوانیات، ومن ثم الرثاء بصوره عامه، ومن ثم (شعر الاستنهاض) وهی قصائد الشاعر فی استنهاض الإمام الثانی عشر من أئمه أهل البیت علیهم السلام، وتلاه المدیح، وأخیرا موضوعات أخری کالهجاء، والغزل، والوصف، والحکمه. وألحقنا بهذه المحاور جداولاً توضیحیه بالموضوعات الشعریه والقصائد والمقطعات والنتف الشعریه التی حواها الدیوان فضلاً عن البحر الشعری والقافیه والتصریع وعدمه لتلک القصائد أو المقطعات أو النتف، قاصدین إعطاء صوره متکامله للموضوعات الشعریه ومدی حجمها فی دیوان الشاعر.وتلا هذه الجداول خاتمه ضمت أبرز النتائج التی توصل لها البحث.

وأخیرا فان ما عملناه کان واجباً حتمه الإنتماء المتبادل والمنهج الحق فی التواصل الفکری والعقائدی، فضلًا عن انتماء الأرض، راجین أن نکون قد قدمنا صوره للشاعر وشعره واضحه تستحق الإعجاب ومن ثم تستحق الدراسه والبحث.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمین.

التمهید

۱ . ملامح من حیاه الشاعر

استقطبت کربلاء بما امتلکت من معانی روحیه سامیه، وقیم ومثل أخلاقیه قل نظیرها فی التاریخ العدید من الجموع الزاحفه نحوها بهدف الزیاره أو السکنی بجوار قبر الحسین علیه السلام فضلاً عن سعیهم للتزود العلمی والدینی أو الاثنین معاً، مما أدی عبر تاریخ کربلاء الحضاری إلی ظهور أسر علمیه بقی أفرادها بهذه المدینه جیلاً بعد جیل ینقلون معهم التراث الفکری والعطاء العلمی والأدبی للآباء والأجداد، ویحافظون علی طابع أسرهم العلمی ومسلکها الروحی عقباً بعد عقب(۱).

ومن هذه الأسر أسره أبی الحب التی استوطنت مدینه کربلاء فی القرن الثانی عشر الهجری، وهی تنتسب لقبیله (آل خثعم) التی کانت تقطن الحویزه، واشتهر أفرادها بالفضل، والأدب، ونظم الشعر. ومن أعلامهم البارزین بالخطابه والشعر الشیخ محسن بن الحاج محمد أبو الحب الذی ولد فی کربلاء ونشأ بها ترعرع(۲).

وقد اختلف فی سنه ولادته فمنهم من ذکر انها سنه ۱۲۳۵ه(۳)؛ وقیل أنها سنه

۱- ینظر تاریخ الحرکه العلمیه فی کربلاء: ۲۱۶، ۲۱۷.

۲- ینظر معجم خطباء کربلاء: ۲۴۷، تاریخ الحرکه العلمیه فی کربلاء: ۲۳۶، تراث کربلاء: ۱۵۶. والبیوتات الأدبیه فی کربلاء: ۲۷۲۸، ودیوان أبی الحب الشاعر العراقی الکبیر:۷.

۳- الحرکه العلمیه فی کربلاء: ۲۳۶.

١٢٤٥ه(١)، وقد رجَّح محقق ديوانه وقريبه الدكتور جليل أبو الحب أنها سنه ١٢٢٥ه الموافق ١٨٠٤م (٢)؛ ويعود سبب تلقيبه ب(أبو الحب) بفتح الحاء إلى انه ابتلى بمرض السعال وضيق الصدر، فعمل له بعض الأطباء حباً يهون عليه ما كان يجده من ألم المرض فكان يحمله معه ويعطى منه من ابتلى بذلك الداء فعرف ب(أبو الحب) (٣)؛ كما قيل على سبيل الظن ان احد أجداد هذا الرجل كان من تجار الحبوب ومختص ببيع نوع معين منها مما أدى ذلك إلى اكتسابه هذا اللقب(٤).

اما لقب (الكبير) فأطلق عليه للتفريق بينه وبين حفيده الشاعر الشيخ محسن أبو الحب الصغير، وهذا اللقب أطلق عليه بعد وفاته حينما بزغ نجم حفيده فى سماء الشعر والخطابه كجده الكبير(٥).

أما ما يتعلق بعلمه وأدبه فقد ترعرع المترجم فى كنف أبيه فأولاه رعايه وتوجيهاً الا أن يد المنون اختطفت أباه وهو ما يزال طفلاً صغيراً فنشأ يتيماً؛واختلف إلى مجالس العلم والأدب فى القرن الثالث عشر الهجرى فى كربلاء لينهل من معينها الذى لا ينضب ويبصر بنفسه حماسه الشعراء والأدباء فى مساجلاتهم ومناظراتهم وصقل مواهبه بها... (٦)ومن هؤلاء الشعراء محمد على كمونه(ت١٢٨٢ه) والحاج جواد بدقت الأسدى (ت١٢٨١ه) وآخرين غيرهم من الخطباء والوعاظ فما زال يختلف إلى أنديتهم ويقطف من أزهار أحاديثهم، ويجنى من ثمر علمهم، ويتلقف منهم ما ينثرون

١- البيوتات الأدبيه فى كربلاء: ٢٧، وديوان أبى الحب الشاعر العراقى الكبير:٧.

٢- ديوان الشيخ محسن ابو الحب الكبير: ١٣، ١٤.

٣- م.ن: ١١، ١٨.

٤- ينظر الحركه الأدبيه المعاصره فى كربلاء: ٤. والشعر القومى لدى محسن أبو الحب الصغير، مجله جامعه كربلاء: ٢٥٤.

٥- ينظر البيوتات الأدبيه فى كربلاء:٢٧.

٦- ينظر م.ن. وديوان الشيخ محسن أبو الحب الكبير:١١.

حتی ناهز الثلاثین وإذا به قد نبغ فی الشعر وبرز فی الخطابه(۱).

وللمترجم دیوان مخطوط بعنوان (الحائریات)(۲)یقع فی (۱۹۸صفحه) وثمان وتسعین ومائه صفحه من القطع المتوسط خطی موجود عند عائلته..(۳)؛ وقام بتحقیقه الدکتور جلیل کریم أبو الحب وأصدره بطبعته الأولی سنه ۱۴۲۴ه الموافق سنه ۲۰۰۳م وهی المعتمده فی دراستنا.

ویغلب علی شعر الشاعر الناحیه الدینیه ویکاد یکون جله فی رثاء الحسین علیه السلام وآل الحسین علیه السلامفهو یعد من أدب الحسین(۴).

ومن روائعه التی حفظها المنبر الحسینی قصیدته التی رثا بها الإمام الحسین علیه السلام التی فیها هذا البیت الشهیر(۵):

إن کان دین محمد لم یستقم

إلا بقتلی یا سیوف خذینی

ولازال القراء وخطباء المنبر الحسینی یرددوه، فضلًا عن احتضان کثیر من اللافتات التی تعلق أیام عاشوراء له وقد ظن انه للإمام الحسین علیه السلام نفسه مما کشف عن براعه الشاعر فی تمثیل صوت الإمام وهو علی تلک الحاله فی یوم الطف.

أما وفاته فقد ذکر أنها کانت فی العشرین من شهر ذی القعده لیله الاثنین سنه ۱۳۰۵ه الموافق ۱۸۸۷م ودفن إلی جوار مرقد السید إبراهیم المجاب فی الروضه الحسینیه المطهره، وعمره حین ذاک ثمانون سنه؛ وأعقب عده أولاد أفضلهم الشیخ محمد حسن والد الشیخ محسن أبو الحب الصغیر(۶).

۱- دیوان الشیخ محسن أبو الحب الکبیر: ۱۱، ۱۷، ۱۸.
۲- ینظر تراث کربلاء: ۱۵۶، ومعجم خطباء کربلاء:۲۴۵، وتاریخ الحرکه العلمیه فی کربلاء: ۲۳۶.
۳- دیوان الشیخ محسن أبو الحب الکبیر:۱۸ – ۱۹.
۴- م.ن، وتاریخ الحرکه العلمیه فی کربلاء: ۱۳۶.
۵- دیوان الشیخ محسن ابو الحب الکبیر: ۱۶۹.
۶- ینظر أعیان الشیعه: ۴۳/۲۰۲،وأدب الطف: ۵۷، ومعارف الرجال: ۱۸۲،ودیوان الشیخ محسن أبو الحب الکبیر:۱۲، ودیوان أبی الحب الشاعر العراقی الکبیر:۷.

۲ . المنزله الأدبیه للشاعر

اشاره

حظی شاعرنا بمنزله أدبیه رفیعه فی عصره فقد ذکره کثیر من المؤلفین وأصحاب التراجم، واثنوا علی موهبته الشعریه والخطابیه فقد کان – رحمه الله – خطیباً وشاعراً متمکناً فی کلیهما. ذکره صاحب کتاب أعیان الشیعه بقوله: "..احد الأدباء الوعاظ الذاکرین للشهید فی کربلاء المشهورین وله قراءات مشهوره فی ذکر مصیبه الحسین علیه السلام..."(۱)؛ ولعل لفظه (القراءات) تعنی أطوار النعی التی کان یستعملها فی مجالس العزاء الحسینی. وقال فیه صاحب معارف الرجال انه "کان فاضلًا أدیبا بحاثه ثقه جلیلا، ومن عیون الحفاظ المشهورین والخطباء البارعین، له القوه الواسعه فی الرثاء والوعظ والتاریخ،وکان راثیاً لآل رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وشاعراً مجیداً، حضرت مجلس قراءته فلم أر أفصح منه لساناً ولا ابلغ منه أدبا وشعراً"(۲) وقال فیه صاحب البیوتات الأدبیه فی کربلاء ما نصه:"... شاعر شغل الأوساط الأدبیه صیته، وعم المجالس العلمیه ذکره، وطبقت أرجاء المدینه شهرته شاعر بارز وواعظ قدیر.."ثم قال فیه" انه شاعر المأساه، أوقف شاعریته علی تصویر معرکه الطف المشرقه تصویراً رائعاً ورهن نفسه علی ان یکون القیثاره الخالده لان یرنم وقائع البطوله والبساله التی کشفت عنها ارض الدماء الزکیه فقد راح المولعون بهذا النهج من خطباء وشعراء یتغنون بغرر قصائده ویعقدون الأندیه والمجالس رغبه منهم فی تردید هذه الألحان وتمجیداً بذکری أبی الشهداء وإعجابا بمعانی الفداء وستظل هذه القیثاره موئل عشاق الطفوف"(۳). ووصفه صاحب معجم رجال الفکر والأدب بانه "فاضل أدیب وخطیب شهیر وشاعر لاـ یشق له غبار، احد شعراء کربلاء وحفاظها المشهورین فی عصره"(۴).

۱- أعیان الشیعه: ۴۳ / ۲۰۲.

۲- معارف الرجال: ۱۸۱ – ۱۸۲.

۳- البیوتات الأدبیه فی کربلاء:۲۷.

۴- معجم رجال الفکر والأدب فی کربلاء: ۱۷۸.

ومما تقدم نلمس المنزله الكبيره المرموقه التى تمتع بها شاعرنا الشيخ محسن أبو الحب الكبير بين أبناء عصره فكان خطيباً بارعاً وشاعراً مبدعاً وكشف ذلك عن امكانات لغويه وكذلك فكريه صقلت مواهبه ولفتت إليه الأنظار، وكان قدوه خطابيه وقدوه شعريه فاثر فى معاصريه من الأدباء والخطباء تأثيرا كبيراً.

محاور الموضوعات الشعريه فى ديوان محسن (أبو الحب) الكبير

لعل من نافله القول ان لكل شاعر ميلاً نحو موضوع شعرى معين يجد نفسه فيه أكثر من سواه من الموضوعات، ولربما وظف جلَّ شعره فى موضوع واحد كان همه الشاغل ووكده الوحيد مما يجلى الموضوعات الأخرى من دائره الضوء فى ديوانه الشعرى؛ ولا يعنى هذا بالضروره عدم إمكانيته النظم فى تلك الموضوعات بقدر ما هو اكتشاف الذات فى هذا الموضوع وتحقيق وجوده فيه فضلاً عما يراه من التزام مذهبى أو عقائدى فى هذا الغرض او ذاك.

وعند استقرائنا ديوان الشيخ محسن (أبو الحب) الكبير وجدناه لم يحد عن هذه المقدمه، فقد وظف شعره فى خدمه قضيه الحسين عليه السلام كما وظف خطابته فيها، فكان موضوع الطف وما جرى فيه من قتل وسبى للحسين وأهل بيته وأنصاره الموضوع الأبرز فى ديوانه، ومن ثم غطى موضوع الطف بقيه أغراض الشاعر التى جاءت بصوره اقل وضوحاً منها مما جعل بعض قارئى شعره ينعتونه بأنه شاعر المأساه الحسينيه وان جل شعره فى الحسين عليه السلام مما يعكس الصوره الواضحه التى اتجهها الشاعر فى رسم ملامحه الشعريه والموضوعيه. وفيما يأتى عرضاً للموضوعات الشعريه التى احتواها ديوانه ونبدؤها بالأكثر حضوراً ثم الأقل فالأقل وهى:

١ الطفِّيَّات: نسبه إلى الطف وهى "القصائد المتضمنه وصفاً لواقعه الطف وما جرى فيها من فاجعه حلت بالحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه ولاريب فى ان

هـذا المصـطلح يشـمل جميع القصائـد التى بكت الحسـين عليه السـلام وتفجعت بمقتله فى تلك الواقعه الأليمه منذ حلولها سـنه إحدى وستين للهجره والى الآن "(۱).

ونجد عند الشاعر محسن أبو الحب الكبير فضلًا عن الطفيات مجموعه من قصائد الرثاء الخاصه برجالات الطف غير الحسين عليه السـلام كأخيه العباس عليه السلام وابنه على الأكبر عليه السلام والحر الرياحى عليه السلام أو تلك التى خصت أصحاب الحسين عليه السلام بشكل عام مما يمكن إطلاق تسميه القصائد المصاحبه للطفيات عليها.

ويمكن عـد القصائـد الخـاصه بـذكر مسـلم بن عقيـل عليه السـلام منهـا، اذ يعـد أيضـا من رجالات الطف على الرغم من عـدم استشـهاده فى ارض المعركه، فهو بدايه الشـراره لانطلاق أحداث الطف، اذ انقلب أهل الكوفه على الحسـين عليه السـلام وترجم هذا الانقلاب بقتل سفيره مسلم بن عقيل عليه السلام مما يمكن ان نقول بأنه أول شهيد فى معركه الطف.

ونلاحظ هذه المعانى والعلاقات قد طرقها شاعرنا محسن أبو الحب الكبير إذ يقول فى قصيده فى رثاء مسلم عليه السلام(۲):

وأعظم ما كان فى قلبه

من الهمّ ذكرُ الحسين النبيلِ

وفيما يقول(۳):

لأبكى مصابك سبط الرسول

وكان بكاه بعين الرسولِ

۱- طفيات الشـريف الرضـى دراسه فى اللغه الشعريه، مجله جامعه كربلاء:۱۲۸ وينظر هذا المصـطلح وتقعيده فى: طفيات الشيخ صالح الكواز الحلى دراسه موضوعيه تحليليه، مجله جامعه كربلاء:۱۸۲۱۸۳.

۲- ديوان الشيخ محسن أبو الحب الكبير: ۱۱۶.

۳- م.ن:۱۱۷.

ص: ۱۹۵

وقال(۱):

ظمأت وآليت ان لاتعب

إلا من الكوثر السلسبيلِ

لعلمک ان ابن بنت النبیّ

یلقی المنیه صادی الغلیلِ

فکنت مواسیه قتلاً بقتل

وحرّ غلیل بحرَّ غلیلِ

فالأبیات توضح بشکل جلی الترابط الاستشهادی بین الحسین علیه السلام ومسلم بن عقیل علیه السلام والمواساه الحقیقیه القائمه بینهما والترابط الروحی والعقائدی الغیبی بینهما.

ومهما کان من أمر فقد استقرأت القصائد الطفیه والمصاحبه لها فی دیوان الشیخ محسن (أبو الحب)، وبلغت ثلاث وثلاثین قصیده شکلت أکثر من نصف قصائد الدیوان البالغه خمس وستین قصیده؛وتمتعت هذه القصائد فی الغالب بتکامل البناء والنسج فضلاً عن اتضاح إمکانیه الشاعر اللغویه والفنیه فیها. وغلّفت هذه القصائد بغلاف الحزن والغضب، الحزن علی ما أصاب الحسین علیه السلام وأهل بیته وأصحابه من قتل وسبی، وتحسره علی انه لم یشارک فی تلک الأحداث ویستشهد بین یدی الحسین علیه السلام؛ والغضب علی أعداء الحسین علیه السلام الذین لم یراعوا حرمه رسول الله وخانوا وصایاه؛وکذلک نجد فی ختامها توسلاً بمن رثاهم بل قل مدحهم کما یری هو من أهل البیت علیهم السلام واستشفاعاً بهم وطلباً لقضاء حوائجه.

وهذه المحاور شکلت ابرز ملامح موضوع الطفیه عند الشیخ محسن (أبو الحب) الکبیر فنری حزنه یتخذ أبعادا وألوانا عده تمثلت بوصفه مصرع الحسین علیه السلام وما مثله من قیم دینیه وخلقیه مقدسه،وما أضفی علیه من وصف لشجاعته وکرمه وظمئه فی ذلک الیوم العصیب، فنراه یقول فی أحدی طفیاته واصفاً یوم الطفوف بقوله(۲):

۱- م.ن.

۲- م.ن: ۴۲.

یوم الطفوف ولیس یوم غیره

یبدی العجائب فی الزمان ویعقبُ

یوم به بکت السماء تفجعاً

بدم فها هی للزماجر تنحبُ

ما إن بکت إلا لأن مقیمها

أضحی یظفرهُ الردی ویتّبُ

انه یوم لیس کبقیه الأیام، یوم بکت السماء دماً وأبدت أنینها وصیاحها علیه.

وفیها یقول(۱):

بأبی الذین جسومهم فوق الثری

رغماً بفیض دم المناحر تخضبُ

بأبی الذین رؤوسهم فوق القنا

تُهدی لأبناء السفاح وتجلبُ

بأبی الذین حریمهم فی کربلا

أضحت برغم ذوی الحمیه تسلبُ

هکذا الأحداث جرت علی الحسین وأهل بیته وأصحابه علیهم السلام، انها مأساه حقیقیه یتفجر الشاعر فیها ألما وحزناً ویتضح ذلک من خلال تکراره (بابی الذین) فی بدایه الأبیات منطلقاً منها لعرض ما یوجعه ویألمه.

ویعید هذا المعنی بصوره أخری مبتدئا إحدی طفیاته بقوله(۲):

یا وقعه ما صاح صائحها

حتی سمعنا فی السما الندبا

قتل الحسين فجددوا حزناً

وتجلببوا لمصابه ثوبا

من لم يذب من أجله كمداً

فلقد أصاب من الصفا قلبا

وارى الصفا ينهد منصدعاً

هو حين يذكر يومه الصعبا

يوم يجدده الزمان لنا

فيعود يابس حزننا رطبا

فالشاعر يعلن الحداد على الحسين عليه السلام بعدما سمع ندب السماء وبكائها ويطلب تجديد الحزن على مقتله والتوشح بالسواد، وما هذا العمل الا وفاء للصفا كنايه عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المصطفى وهذا اليوم يجدده الزمان ولا يبلى بل

١- م.ن.

٢- م.ن:٤٠.

يجدد الدمع ويجدد الحزن ويجعله رطباً كالزرع الذى جاءه الربيع فاهتز وربى.

ونراه يذكر ذلك اليوم وحرارته فى القلوب بصوره رائعه أخرى فهو يقول فى بيت تخلصه وبعده(۱):

لولا البقيه من أبناء فاطمه

ما كان يوماً لطلاب الندى أملُ

أحيوا رسوم الهديمن بعدماطمست

آثارها ومحاها الحادث الجللُ

لا كان يومهم فى كربلاء ولا

طافت عليه به الركبان والرسلُ

يوم من الدهر لم تفتر نوائحه

عن المناح ولم تبرد لها غللُ

يوم به أسلس الهدّار مقوده

واسترنب الليث حتى اصطاده الوعلُ

أما تريالشمس تهوى نحو مغربها

حمراء تحسبها بالدمع تكتحلُ

اما ترى صفحات الجو مظلمه

كأنها برداء الحزن تشتملُ

نعم وحقك ما فى الدهر من كبد

الا به من بقايا ذكره شعلُ

فالشاعر يرى فى الحسين عليه السلام ومن معه فى ذلك اليوم انهم قد قاموا بإحياء الدين بعدما حاول الأعداء طمسه. وهذا

الحادث الكربلائى تعالى فى الـذكر بين الركبان والرسلُ، ولم يهدأ الدهر من نوائحه ولم تبرد فيه الغلل العاطشه ثم يوضح صوره ذلك اليوم الذى اختلت فيه مقاييس الأشياء والطباع حتى أصبح الليث أرنبا يجرى ليصطاد الوعل؛ ويأخذ بسؤال الآخر (الملتقى) ليضـمن الإجابه الحقيقيه التى أعلنها؛ فقـد رأى فى احمرار الشـمس عند غروبها صوره الدمع والاكتحال به، ورأى فى ظلمه الجو رداءً حزينا تشـتمل عليه صـفات ذلك الجو، ثم يصل إلى مبتغاه مؤكداً إياه بالقسم (وحقك) الموجه للملتقى اذ أعلن ان كل ما فى الـدهر من كبـد ومعاناه يرجع شـررها من ذلك اليوم الرهيب؛ وفى طفيه أخرى يعيـد إنتاج هذه الصوره ويعطيها ملامحاً أكثر أبعادا وألوانا فقال بعد ما رأى ان النواح والبكاء على آل على عليه السلام

١- م.ن: ١١٩

من السنن التی ینبغی الإدمان علیها وشهادته علی ذلک اکبر ودلیله أبین وهو(۱):

هذه أعین السماء وهذی

أعین الأرض ودمعها ما توانا

لم تبارح بکاؤها مذ درت

ان حسیناً ذاق الردی ظمآنا

لا أری للفرات عذراً وان

غار مدی الدهر ماؤه غضبانا

ما سمعنا ولا رأینا قتیلًا

مات والماء حوله عطشانا

فالشاعر یری کل الاشیاء التی من حوله تبکی حسیناً فمن الواجب ان لا یجفو الإنسان عن البکاء والحزن علی آل علی علیهم السلام والا کان أجفی الوری واعد الأعداء لهم فی نظر الشاعر، ولا ینکر لطافه المعانی التی طرقها وصورها فی هذه الأبیات.

ویعد الشاعر هلال محرم وأیام عاشور سببا للبکاء والحزن، بل ان قلبه مفتون بتجدید الأسی کلما هلّ محرم فنراه یقول(۲):

جاءت تفجِّر أکبدا وعیوناً

أیام عاشورا بکاً وحنینا

ما قیل هلّ محرم الا انثنی

قلبی بتجدید الأسی مفتونا

أو کان یوم منه الا کان لی

سبباً الی طول البکاء سنینا

ثم یخاطب محرماً بنبره غاضبه وکأنه یحمله مسؤولیه هذا الحزن المتجدد فی کل عام:

لا مرحباً بك يا محرم لم تدع

قلباً على بشرٍ به مأمونا

ونجده فی طفیه أخری یستغیث بوقعه کربلاء ویعدها أُما لکل محزونه وحزین(۳):

غوثاه من ذکراک وقعه کربلا

یا أمَّ کلِّ حزینه وحزینِ

ثم یسترسل فی طرح عذاباته منها فیقول:

۱- م.ن:۱۶۰.

۲- م.ن:۱۵۹.

۳- م.ن: ۱۶۹.

ليس اللديغ سوى لديغک لا الذى

أمسى يكابد نهشه التنين

وعسى اللديغ أصاب حيناً راقياً

إلا لديغک ماله من حين

حتى القيامه وهى دون عذابه

بلظى همومک لا لظى سجين

لاقى الحسين بک المنون واننى

لاقيت فيک عن الحسين منونى

هكذا يسوق الشاعر الدليل على حزنه وغضبه من تلک الواقعه الأليمه التى لاقى الحسين فيها المنون ومن ثم وجد الشاعر فى منون الحسين عليه السلام منوناً له وأى منون منون الحسره والأسى والحزن على سيد الشهداء الذى يتحدث عن تضحيته فى ذلک اليوم قائلًا:

فى يوم ألقى للمهالک نفسه

كيما تكون وقايه للدين

وبيوم قال لنفسه من بعدما

أدى بها حق المعالى بينى

أعطيت ربى موثقاً لا ينقضى

الا بقتلى فاصعدى وذرينى

ان كان دين محمد لم يستقم

الا بقتلى يا سيوف خذينى

هذا دمى فلترو صاديه الظبا

منه وهذا للرماح وتينى

ولاريب فى ان الشاعر تمازج روحيّاً مع موقف الحسين عليه السلام وذاب فيه الى درجه انه استنطق الموقف بعد ما قرأ الأحداث والظروف التى أحاطت بابى عبد الله فكان واقع حال متجسد،وصوت حق مرتفع مثّل صدى ما أراد الإمام بموقفه وأقواله التى رافقت ذلك. ومن القصائد المصاحبه للطفيات قصيدته فى رثاء أبى الفضل العباس عليه السلام، وفيما يصطنع الشاعر مقارنه تشبيهه جميله بينه وبين أبيه الإمام على عليه السلام فقال(١):

اذا كان ساقى الناس فى الحشر حيدرٌ

فساقى عطاشى كربلاء أبو الفضل

على ان ساقى الناس فى الحشر قلبهُ

مريع وهذا بالظما قلبهُ يغلى

١- م.ن:١٢۴١٢۵.

فالمقارنه تقابليه شرطيه فما دام هناك ساقى فى الحشر وهو حيدرٌ كنايه معروفه للإمام على عليه السلام فهناك ساق لعطاشى كربلاء وهو أبو الفضل عليه السلام؛ ويستدرك الشاعر ليخبرنا ان قلب ساقى الحشر مريع متألم اما قلب ساقى عطاشى كربلا فهو متحرق بالظمأ ويغلى به وقد جعل الشاعر هذين البيتين بدايه مشحونه بالتوقع فمهد لأسباب ذلك العطش فيقف عليه وهو ماء الفرات ليسأله كما وقف الشاعر القديم وسأل الطل ولم يجبه! ولكن ماء الفرات يجيبه على معاتبته وأسئلته فقال(۱):

وقفت على ماء الفرات ولم أزل

أقول له والقول يحسنه مثلى

علامك تجرى لا جريت الوارد

وأدركت يوماً بعض عارك بالغسل

اما نشفت أكباد آل محمد

لهيباً وما ابتلّت بعلّ لا نهل

من الحق ان تذوى غصونك ذبّلًا

أسى وحياءً من شفاهم الذبل

انها معاتبه مره كشفت عن عمق حزن الشاعر وألمه لما أصاب آل الرسول من قتل وسبى وقد جاء عتابه كحزنه رقيقاً مؤلماً، ثم يجيب الفرات على أسئلته وعتابه:

فقال استمع للقول ان كنت سامعاً

وكن قابلًا عذرى ولا تكثرن عذلى

الا ان ذا دمعى الذى انت ناظر

غداه جعلت النوح بعدهم شغلى

برغمى أرى مائى يلذّ سواهم

به وهم صرعى على عطش حولى

جزى الله عنهم فى المؤاساه عمّهم

أبالفضل خيراً لو شهدت أبا الفضلِ

فلم يكن حال الفرات بأحسن حال من الشاعر على ما أصاب آل محمد عليهم السلام، ولعل الشاعر كما أسلفنا منطلق من ان كل الوجود بما امتلك من صفاء ونقاء وخير يبكى على الحسين وأهل بيته لما أصابهم فى واقعه الطف فهم الخير والنقاء والرحمه الالاهيه المبعوثه للوجود جميعاً فلا عجب بعد ذلك ان يتألم ماء الفرات وينتحب لما أصابهم.

۱- م.ن:۱۲۵.

ونجد الشاعر في قصيده مصاحبه أخرى خصّ فيها ابن الإمام الحسين على الأكبر عليه السلام قال فيها مستوحياً موقف الحسين عليه السلام على ما اصاب ابنه وخطابه لله سبحانه وتعالى بقوله(۱):

أترضى الهى عن معاشر اجمعوا

على قطع رحمى ثم قتلى حلّلوا

فكن شاهدى انى بعثت لهم

شبيه رسول الله من ليس يجهل

شبيه رسول الله ربى بعثته

فكن شاهدى يامن عليه أعول

ولعل تكرار (شبيه رسول الله) في بيتين تدل على خوف الحسين عليه السلام على ابنه من أعدائه وحزنه عليه وهو محاط بهم، كما تدل على التأكيد على الامتداد الرسالى بينه وبين جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وعدم مراعاه الأعداء على الرغم من معرفتهم الشبه بينه وبين جده صلى الله عليه وآله وسلم وهذا الأمر مستوحى من قول الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء عندما خرج إليهم ابنه على الأكبر لقتالهم اذ قال: "اللهم اشهد انه قد برز إليهم غلام أشبه الناس خلقاً وخلقاً ومنطقاً برسولك، وكنا إذا اشتقنا إلى نبيك نظرنا إليه،.."(۲)وفيها يصف شجاعه على الأكبر في المعركه وكرّه على الأعداء بقوله(۳):

فكرَّ وكرّ الموت يعدو أمامه

على عجلٍ والموت إذ ذاك أعجلُ

وناهيك قرمٌ عمّه وأبوه من

علمت فقل في أمره كيف يعملُ

ففي البيت الأول صوره متحركه للموت مشخصه اظهر من خلالها إقدام على الأكبر عليه السلام وعدم مهابته الموت على الرغم من عدوه أمامه، ثم يعرج على شجاعته فهو بطل متميز وكيف لا يكون ذلك وأبوه وعمّه مشهود لهما في الإقدام في

۱- م.ن:۱۳۱.

۲- مقتل أبي مخنف:۱۶۲.

۳- ديوان الشيخ محسن أبو الحب الكبير:۱۳۱.

الحرب والطعن فی الأعداء.

ونجد الشاعر یخاطب أصحاب الحسین علیه السلام وینعتهم بالحواریین لابن فاطمه علیها السلام محاوله منه لإعطاء أبعاد دینیه قرآنیه لهم بمقارنتهم بحواری ابن مریم عیسی علیهم السلام حیث نعتهم بحواری ابن فاطمه علیها السلام فنراه یقول(۱):

أحبتی مالکم حالفتم التُرُبَا

لا طاب بعدکم عیشی ولا عذبا

انتم لعمری حواری ابن فاطمه

إذ لم یجبه سواکم ساعه انتدبا

أنفقتم فی سبیل الله أنفسکم

فنلتم فوق ما أَمَّلْتم رتبا

ثم یعمد إلی مقاربه أخری یصطنعها بینهم وبین فتیه الکهف ویجعلهم أعلی مرتبه وشرفاً منهم:

ما فتیه الکهف أعلی منکم شرفاً

أنتم أشدُّ وأقوی منهم سبباً

ناموا وما نمتم لهفی کنومهم

أنی وقد قطِّعت أعضاؤکم إربا

فروا وما قابلوا والله من أحد

وما فررتم وقد قابلتم اللجبا

کان الرقیم لهم کهفاً یضمهم

ولم یکن کهفکم الا قناً وظبا

فهو یعمد لأخذ عینات موضوعیه من قصه أصحاب الکهف وربطها بصوره موضوعیه أخری حدثت فی واقعه الطف، وقد انتقی من تلک الأحداث ما کان علیه أصحاب الحسین یوم عاشوراء فوصفهم بالشده والقوه فی الاعتقاد والتمسک بعقیدتهم، وناموا

كما نام أصحاب الكهف ولكن نومهم جاء بعد ان قطعوا إربا فى سبيل الله تعالى وفى نصره ابن بنت نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ثم انهم لم يفروا وواجهوا عدوهم إلى ان قضوا فى حين فرّ أصحاب الكهف مما كان سيقع بهم من بطش أعدائهم ثم فرّوا إلى الرقيم ليحتموا به عن أعين أعدائهم بينما لم يفر أصحاب الحسين وكان كهفهم تلك القنا وتلك الظبا التى وقعت فى أجسادهم وعليها.

۱- م.ن:۴۷.

ومن قصائده المصاحبه للطفيات قصيدته فى بطل من أبطال الطف وهو الحرّ الرياحى عليه السلام اذ قال فيه(۱):

الا يا قتيلًا زعزع المجدُ قتله

فأضحى عليه المجد ذا مقله عبرا

لئن ساء عينى تحجِّبك الغبرا

لقد سرَّ قلبى ان تصافحك الخضرا

وما لرياح لا تهبَّ رياحها

حواصب تستقصى لموتورها وترا

أما شملتها بعد موتک ذلَّه

نعم سلبتها بعدک العزَّ والفخرا

لقد جاء الشاعر بصور متحركه جميله استوفى بها موضوعه، فقد جعل للمجد عيناً باكيه على الحر، ثم أوضح بصوره تقابليه ما ساءه وما سره من موقفين موقف الحر وقد حجبته الغبراء عن عينه وهو موقف حزين باكى، اما موقفه الأخر فهو ما قدمه يوم الطف؛ ثم يعمد فى البيت الذى بعده إلى المجانسه التامه بين الرياح الحقيقيه وقبيله الحر بنى رياح الذى أراد منها ان تهب لقتيلها وتطلب ثاره من قتلته فقد شملتها الذله من بعده وسلبت العز والفخر بعد مقتله.

۳ . شعر المناسبات والاخوانيات

يعبِّر هذا الشعر فى الغالب عن حالات انفعاليه معينه تفرضها طبيعه المناسبه وظرفها، وغالبا ما يأتى على نتف او مقطعات قصيره، مما يعنى سرعه إنتاجها وقله العنايه الفنيه بها. وعند استقراء هذه الأشعار فى ديوان شاعرنا تبين اهتمامه بهذا الشعر وبإنتاجه، إذ تعلق فى اغلبه بمناسبات دينيه وأخرى إنهاء أعمال بناء أو ترميم فى احد مراقد أهل البيت عليهم السلام أو تهنئه أو رد على من جادله أو عارضه، وتكون المناسبه محفزه على المديح أو الرثاء والإبتهاج أو الجدل العقائدى أو الوصف؛ ومن أهم أشعار المناسبات عنده احتفاؤه بيوم الغدير فقد رصد له أربعه قصائد امتازت بالطول،

۱- م.ن:۷۹.

ويمكن إطلاق تسميه (الغديريات) عليها، قال فى إحداها مخاطباً أمير المؤمنين بقوله(۱):

بك يا أبا القمرين كم من أُمَّه

سعدت وكم من أُمَّه لم تسعدِ

يا بانى الإسلام بل يا هادم

الأصنام يا ضرغام يا رى الصدى

من يسع يسع كما سعيت إلى العلا

أولا فأحرى أن يقال له اقعدِ

كم رام ان يرديك جمّ عديدهم

هيهات من لعلاك نال هو الردى

وتلاك سبطا احمد وتلاهما

حجج المهيمن سيداً عن سيِّدِ

ورثوا مكارمك التى أورثتها

فهموا بنوك وكلَّهم بك مقتدِ

حملوا احتمالك فى الحياه وكلهم

وردوا حياضك حبذا من موردِ

هم أنجم الدنيا وهم أقمارها

وبحورها الفعم التى لم تنفدِ

فالشاعر يذكر ان السعاده فى الدارين تتمثل فى إتباع الأمه لأبى القمرين كنايه عن الإمام على والد الحسن والحسين عليهم السلام، فهو البانى للإسلام والهادم للأصنام وهو المثال الذى يجب ان يتخذ للسعى إلى العلا وكم حاول المتطاولون ان ينالوا منه ومن علاه ولكنهم فشلوا وذهب الله بهم وبكيدهم. ان هذه السنه التى تحدث عنها قد لزمها ولداه (سبطا احمد) كنايه عن الحسن

والحسین من بعده ثم امتد إلی أئمه أهل البیت جمیعاً سیداً عن سید وتحملوا ما تحملوا من مصاعب الحیاه ومکارهها حتی وردوا حیاض الجنه التی وردها من قبلهم جدهم الإمام علی علیه السلام، ثم یصفهم بالأنجم والأقمار والأبحر الزاخره المفعمه بالخیر والعطاء للبشریه جمعاء والتی لا تنفد أبدا.

وقال فی أخری مخاطباً من ینکر ولایه الامام علی علیه السلام ومستنکراً(۲):

أو لم یکن یوم الغدیر ألم یکن

جبریل فیه بالزواجر ینزلُ

أو لم یقل من کنت مولاه فذا

مولاه بعدی ویلکم لاتجهلوا

هذا هو الباب الذی من قبل ذا

کُلفتم ان تدخلوه فادخلوا

۱- م.ن:۷۳.

۲- م.ن:۱۲۷.

الأنبياءُ جميعهم قبلی کذا

فعلوا فمالی بعدهم لا افعلُ

ولکل بیت فی الأنام دعامه

ودعامه الإسلام هذا فاعقلوا

والله ما أنا بالذی أَمَّرتَهُ

الله أمَّره علیکم فاقبلوا

لقد جعل الشاعر الکلام یدور علی لسان النبی صلی الله علیه وآله وسلم وکیف أوصی المسلمین ان یلزموا علیاً فهو مولاهم من بعده، وهو الباب الذی یأخذ منه کل خیر منزل فلا تترکوه، ثم أعطی الأمر بعداً رسالیا من حیث ان الأنبیاء جمیعاً یعلمون بإمامته وآمنوا بها فما لاشک فیه ان یفعل فعلهم وهو أمر الله تعالی ولیس أمر بشر مهما کان، ثم ان الأمر أمر أمارته علیکم هو من الله لا دخل لی بها فالتزموا الأمر ولا ترفضوه وتتخلوا عنه، وأعطاهم ممهداً للأمر الأخیر دلیلًا عقلیاً حین قال ان لکل بیت دعامه ودعامه الإسلام (هذا) کنایه عن علی علیه السلام فاعقلوا الأمر ولا تتبعوا أهواءکم فتضلوا وتنقلبوا علی الأعقاب. ثم یوظف الشاعر مجموعه من الأحادیث النبویه المبارکه فضلاً عما جاء فی خطبه الرسول صلی الله علیه وآله وسلم فی یوم الغدیر فی فضل علی ومولاته فنراه یقول علی لسان الرسول صلی الله علیه وآله وسلم:

و أنا المدینه وابن عم بابها

هل من سوی الباب المدینه تدخلُ

أنا من علیٍّ وهو منِّی ثلما

هارون من موسی فلا تتعلَّلوا

یا قوم ان نبوَّتی ما لم تکن

فیها ولایه حیدر لا تکملُ

ان تسعدوه تسعدوا أوتنصرو

ه تنصروا أو تخذلوه تخذلوا

و أقول هذا والقلوب كأنها

تغلى عليّ من الحراره مرجلُ

إيَّاكم ان تجحدوا إيَّاكم

ان تخذلوا إيَّاكم ان تنكلوا

هذا الكتاب وعترتى فتمسكوا

بهما وان لم تفعلوا لم تقبلوا

والشاعر أراد من خلال هذا التوظيف ان يؤكد على مشروعيه خلافه الإمام،

وانه الامتداد الحقيقى لرساله السماء، وان لم تقبلوا هذا الأمر لم يقبل منكم أى عمل آخر لأنكم عصيتم الله حين عصيتم رسوله.

إن هـذه (الغـديريات) اتخـذت طابعاً عقائـدياً مذهبياً لذلك التجأت إلى العرض التاريخى والى الأدله النقليه والعقليه لبيان أحقيه خلافه الإمام (على) عليه السـلام، ومن ثم فان الكوارث التى وقعت بعد ذلك كان مرجعها إلى نكران هذا الأمر والتزام غيره، وما حلَّ على أهل بيت الرساله وهم عتره الرسول من مصائب ونكبات كانت دليلًا دامغاً على عـدم رعايه وصايا الرسول فيهم ومن ثم عصيانه لأمر السماء.

ونجد عنده قصيده متكونه من خمسه وخمسين بيتاً فى مناسب انتهاء العمل بالروضه الكاظميه منها قوله(۱):

هذى قصور جنان الخلد بارزه

للناظرين ليزدادوا بها عبرا

صبحاً وليلًا إذا ما جئتها أبدا

ترى النّيرين الشمس والقمرا

ثم يقول(۲):

هذه منائر لا بل ذى دعائم

للسبع الشداد فأمعن عندها النظرا

ان قلت ذى ارمٍ فاقت على ارم

أو قلت جنه عدن لم تقل أشرا

والقبتان إذا ماشمت نورها

قلت الكليم رأى نار الهدى سحرا

فالشـاعر يصف انبهـاره وتعجبه مما قـد رأى من بناء متين وراح ينتقى له أوصافا قرآنيه، فالمنابر صارت دعائم للسـبع الشـداد، ثم ذكر إرَم التى وصفها القرآن بالعظمه(۳) فهى أعظم من إرَم فهى جنه عـدن على هذه الأرض،وما القبتان اللتان بها الا نور اهتدى به موسى الكليم وآنس به(۴).

۱– م.ن:۹۶.

۲- م.ن:۹۷.

۳- إشاره إلی قوله تعالی: (ارم ذات العماد * التی لم یخلق مثلها فی البلاد) الفجر:۷۸.

۴- إشاره إلی قوله تعالی: (إنِّی آنستُ نارا سآتیکم منها بخبرٍ) النمل:۷.

وقال فی قصیده أخری متکونه من أربعه وثلاثین بیتاً فی العلم الذی اهدی إلی الروضه العباسیه(۱):

یا من رأی علمَ الإسلامِ منشورا

بدا فجلَّل آفاق السما نورا

واخجل النیرین الزاهرین معاً

فعاد نورهما فی الأفق دیجورا

أهداه ناصر دین الله مبتدئا

مازلت ناصر دین الله منصورا

ذی رایه العدل والتوحید یحملها

العباس فی کربلا أیام عاشورا

فهو ینطلق من هذه المناسبه لیمدح العباس ویذکر علو شأنه ومنزلته المرموقه فضلًا عن مدحه للذی أهدی هذا العلم ونصبه فی الروضه العباسیه وهو (ناصر الدین القاجاری).

وله أربعه أبیات فی زفاف احمد کاظم الرشتی تعبر عن مجامله واضحه من لدن الشاعر لهذه الشخصیه الدینیه(۲):

اما تری القمریَّ فی سجعه

أجَّج نیران الهوی والغرامْ

وعندلیب الیمن فی لحنه

أنعش نفسی بل واحیا الرمامْ

لخیر عرس یومه مقمر

فلا ظلام بعد هذا یشامْ

وساعه رب الوری شاء ان

تقترن الشمس ببدر التمامْ

فالأبيات لطيفه تنم عن عاطفه صادقه، وان لم تخل من مبالغه تطلبها موقف المجامله.

وله قصيده لم يرو منها سوى بيت واحد فى تهنئه السيد مرتضى سادن الروضه العباسيه بعدما اعيدت له السدانه عام ۱۲۹۸ه قال(۳):

يا آخذى المفتاح من شبلها

ردوا الأمانات إلى أهلها

۱- ديوان الشيخ محسن أبو الحب الكبير:۹۵.

۲- م.ن: ۱۳۷ ۱۳۸.

۳- م.ن: ۱۳۸. وعجز البيت مأخوذ من قوله تعالى: (إن الله يأمركم أن تؤدُّوا الأماناتِ إلى أهلها) النساء:۵۸.

وقال قصیده بلغت الواحد وخمسین بیتاً فی زیاره السلطان ناصر الدین القاجاری لمرقد الإمام الحسین مطلعها(۱):

کمل السرور فطبق الأمصارا

وأضاء حتی استوعب الاقطارا

وتهللت سحب السماء فأغدقت

مطراً نسینا بعده الأمطارا

وقال ذاکراً هذه الزیاره:

هذا ملیک الأرض زار ملیکه

خیر البریه مرقدا ومزارا

لم ترضه الأرض البسیطه منزلاً

حتی بنی فوق المجره دارا

أرسی سلیمان البساط علی الهوی

ثم استزاد فسخَّر الأطیارا

ونراک سخَّرت البلاد وأهلها

وملکت دون عبیدها الأحرارا

ما ذاک الا ان حذوت مثاله

وکسبت من مقداره مقدارا

فالأبیات واضحه المبالغه فخمه الأسلوب ناسبت مقدار هذه الشخصیه التی استبشر الشاعر بها وجعل ما وصلت إلیه من عظمه وجاه مستمد من سیرها علی نهج الحسین علیه السلام وکسبت مقدارها ومنزلتها من مقدار الحسین علیه السلام ومنزلته السامیه.

ومن خلال ما تقدم وما استقرئ من أشعار فی هذا الموضوع الشعری یتبین لنا ان شعر المناسبات له أهمیته عند الشاعر ولم یکن طارئا او ثانویاً بدلیل تدبیجه القصائد الطوال فی هذه المناسبه او تلک واهتمامه بفخامه الأسلوب وجزالته.

۴. الرثاء

تطالعنا فی دیوان الشیخ محسن (أبو الحب) الكبیر مجموعه من القصائد الرثائیه بلغت عشره قصائد ونتفتین متكونه كلاً منهما من أربعه أبیات. وتوزع الرثاء بین رثاء أهل البیت علیهم السلام، ورثاء مجموعه من الشخصیات العلمیه والأدبیه فی

۱- م.ن:۸۹.

عصره فضلاً عن رثاء والدته؛ وتميز رثاؤه بشكل عام بصدق العاطفه والشعور، وإبداء الحزن واللوعه على المرثى، من ذلك ما رثى به فاطمه الزهراء عليها السلام بقوله(۱):

كم ليله باتت وليس

سوى الحنين لها حشيَّه

حتى اذا ماتت وما

ماتت مكارمُها السنيَّه

بأبى التى دفنت وعُفِّىَ

قبرُها السامى تقيَّه

ثم يتوسل بها إلى الله ويرجو ان تغيثه من جور الزمان وغيره فيقول مخاطباً إياها:

يا بنت خير العالمين

وصفوه الله الصفيَّه

أرجوك لى غوثاً

إذا مدَّ الزمان يداً إليَّه

ولحاجه أو فاقهٍ

لا يشمتُ الأعداءُ فيَّه

هذا ما يريده الشاعر من وراء عرضه لظلامه فاطمه عليها السلام ورثائها؛ انه لا يريد كسباً مادياً وانما يعالج قضيه رصد لها عمره وحياته ولا يطلب من ورائها الا الشفاعه ودفع البلاء عنه فى دنياه.

ونراه يرثى الامام على عليه السلام ويخاطبه بقوله(۲):

أ للإسلام بعدك من محامٍ

إذا ما حلَّ ساحته اضطرابُ

أ للأيتام بعدك من كفيل

إذا ما عضَّها للدهر نابُ

لقد فقدوا أبا براً رؤوفاً

بفقدك يوم ساربك الركابُ

أرى شقَّ الثياب عليك عاباً

ومثلك لا تشقُّ له الثيابُ

واقسم لو جميع الناس ماتوا

بموتك لم يكن فى ذاك عابُ

١- م.ن:١٧٨.

٢- م.ن:٣٦.

انهـا مشاعر صادقه يسـجلها الشاعر بلوعه وألم على ما أصاب الإمام على وأى فقـد يصل بموته فهو للإسـلام محامٍ وللأيتام كفيل وهو أب بر رؤوف للجميع لـذا لم ير عيبـاً ان تشق عليه الثيـاب كعـاده من يفقـد شـخصاً عزيزا عليه؛ ثم يقسم لو انً جميع النـاس يموتون بموته لم يكن عيباً عليهم.

إن رثاءه لأهل البيت يحمل فى جنباته قضـيه مبـدئيه عمادها الوفاء لهم وإحياء لذكرهم وذماً لأعدائهم ومبغضـيهم لذا فرثاؤه لهم يختلف عن رثائه للأشخاص الآخرين ومنهم والدته التى رثاها بقوله(١):

أشكو إلى الرحمن لوعتك التى

أودعتها فى قلبى الملسوعِ

ولقد كسانى الحزن بعدك مطرفاً

أبد الليالى ليس بالمنزوعِ

ما كنت أول ذاهب بين الملا

لكن صبرى عنك غير مطيعِ

فرثـاؤه ظاهره التفجع والتحسـر على ما أصابه من فقـد أمه وقـد ألبسه الحزن ثوباً لا ينزع، وصبره وتجلـده لا يؤاتيه ولا يطيعه على الرغم من محاوله تأسيه بقوله انها لم تكن بأول ذاهب يخطفه الموت،ولكن ألمه ولوعته كانتا اشد وطأه عليه بسبب عدم حضوره تشييعها اذ كان خارج البلاد لذلك قال:

غابت وغبت وليت أنى لم اغب

أو ليتها طلعت علىَّ طلوعِ

ما مرَّ يوم فراقها بى ليله

الا وفارق ناظرىَّ هجوعى

وأشد ما فى القلب منها انها

عدمت غداه رحيلها تشييعى

ويل المحبِّ إذا نوى أحبابه

ظعناً وفاز سواه بالتوديعِ

ومن رثائه لبعض العلماء والشيوخ الذين توفوا فی عصره رثاؤه لشيخ العراقيين عبد الحسين الطهرانی(۲) معظماً فقده، مبيناً ان موته كان خساره كبيره وحسره عظيمه فی

۱- م.ن:۱۰۳.

۲- هو مرجع دينی مجتهد، أنابه ناصر الدين شاه القاجاری لكی يشرف علی عماره المشاهد فی كربلاء والكاظميه وسامراء، توفی سنه ۱۲۸۶ه بالكاظميه ونقل جثمانه الی كربلاء ودفن فی غرفه خاصه فی الصحن الحسينی الشريف.ينظر: تراث كربلاء: ۲۷۶۲۷۸، وديوان الشيخ محسن أبو الحب الكبير:۳۹.

الصدر فنراه يصفه بقوله (۱):

أبو المعالى إذا ما رمت تعرفه

ينبيك عنه لسان الطرس فى الكتبِ

أحى الندى بعد ما عادت معالمه

كالروض جانب عنه باكر السحبِ

ما أجدبت سنه الا وأخصبها

بصيّب من ندا كفيه منسكبِ

وراح يخاطبه بقوله:

عبد الحسين وكم عبد بطاعته

مولاه فاق على الأبناء فى الرتبِ

عبدٌ ولكنه حرٌّ لنسبته

إلى الحسين وهذا واضح النسبِ

كفاه أن عمود الدين ناصره

حباه مرتبه فاقت على الرتبِ

وقال فى رثاء الشيخ مرتضى الأنصارى(۲) مشيداً بمنزلته العلميه ومدى حزن الناس ليس فقط فى العراق بل امتد إلى إيران أيضا(۳):

ما آيه الا وكان دليلها

ما حجه الا وكان بيانها

لبست له ارض العراق سوادها

حتى كست بسوادها ايرانها

عجبت رعاياه عليه بالبكا

حتى أراع عجيجها سلطانها

فقد أبدى الحسره واللوعه على هذه الشخصيه الدينيه التى امتد تأثيرها ليس على العراق فحسب وانما امتد إلى إيران وقد عجت الناس بالبكاء والتفجع عليه حتى أراع ذلك ذوى السلطان والنفوذ.

١- ديوان الشيخ محسن أبو الحب الكبير:٣٨.

٢- هو المرجع الأعلى يوم ذاك، ويعد مجددا ومعيدا لنظام الحوزه العلميه، توفى سنه ١٢٨٢ه. ينظر: ديوان الشيخ محسن أبو الحب الكبير:١٦٧.

٣- ديوان الشيخ محسن أبو الحب الكبير:١٦٧.

۵. شعر الاستنهاض

والمقصود به تلك القصائد أو الأشعار الخاصه الموجهه إلى الإمام الثانى عشر من أئمه أهل البيت عليهم السلام لاستنهاضه والتعجيل بخروجه وطلب نصرته والانتقام من الظالمين الذين ملؤوا الأرض ظلماً وجوراً فيحل بهم القصاص العادل وينفذ إراده السماء فيهم.

وقد أصبح استنهاض الإمام محمد المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف من المقصاد التى يتوخاها الشاعر الشيعى حينما يرثى الإمام الحسين عليه السلام بوجه خاص أو يذكر أئمه أهل البيت ومصائبهم بوجه عام ثم بدأ يستقل غرضاً قائماً بذاته أى تشكلت (قصيده الاستنهاض) بمفاصلها البنائيه؛ ولاريب فى ان لذلك أسبابه ودواعيه التى من أهمها الواقع السياسى السيئ الذى يعيشه الشاعر مما يتيح لتلك الأشعار ان تمثل رفضاً سياسياً واضحاً، فضلاً عن كونها تنفسياً نفسياً عما يصطرع فى نفسه من آمال وأحلام ورؤيه الواقع بأفضل ما يكون.

وقد شاعت فى حقبه الشاعر كثير من تلك القصائد(۱)، واستقرأت فى ديوانه خمس قصائد امتازت بالطول.

اما مضامين هذه القصائد فانها تمحورت على عده محاور أهمها الرفض السياسى للواقع المعاش الذى اشرنا إليه ونرى الشاعر محسن ابو الحب يصرح بغضبه ونقمته على الحكام الجائرين الذين يتحكمون فى مصائر الناس بدون حق فهو يقول(۲):

أ فى كل يوم فاجراً وابن فاجر

يحكم فينا باديات معايبه

تروح بنا الدنيا وتغدو منيره

ويملكها من ليس تخفى مثالبه

۱- ينظر على سبيل المثال لا الحصر ديوان السيد حيدر الحلى:۱/۶۵، ۷۳، ۸۸،۱۱۱وديوان الشيخ صالح الكواز الحلى: ۱۱۲، وديوان ابن كمونه:۳۸.

۲- ديوان الشيخ محسن أبو الحب الكبير:۵۲.

ویقول فی الأخری(۱):

إلی الله نشکو الیوم فقد نبینا

وغیبتک اللاتی یضیق لها الصدرُ

عسی الله بعد الیوم یبدل عسرنا

بیسرک ان العسر یعقبه الیسرُ

أحاطت بنا الأعداء من کل جانب

و لا وزر نأوی إلیه ولا إزرُ

مللنا وملتنا بطول قراعها

فحتی متی نحن القطا وهم الصقرُ

فالشاعر یتمثل روح الجماعه وهو یخاطب الإمام الغائب ویشکو فقد النبیصلی الله علیه وآله وسلم وغیبته التی ضاق بها الصدر لطولها، وهو یدعو الله ویتمنی علیه ان یبدل العسر الذی نحن فیه إلی یسر وهو مصداق الآیه المبارکه:

«فانَّ مع العُسرِ یُسراً، إنَّ مع العُسرِ یُسراً»(۲).

فهذا الأمر وهذه الدعوه متأتیه من واقع الأعداء المحیطین بنا من کل جانب ولم یبق مکان نلتجئ إلیه غیره، وقد مللنا مقارعه الأعداء ولم نزل نحن القطا الضعیفه أمامهم وهم الصقر الکاسر. ان هذه الأبیات لتکشف عن الواقع الألیم الذی یعیشه الشیعه فی کل مکان وفی کل زمن.

وقال مخاطبا الإمام الغائب طالبا منه الاستغاثه(۳):

أ غثنا بالذی سواک شرعاً

فقد بلغ العدو بنا المراما

أما وأبیک لا یرضی وترضی

إذا ما قمت منتضیا حساما

طغت حتى الكلاب الجرب لما

أطلت فداك أنفسنا المقاما

لقد شابت نواصينا انتظاراً

ولم نشدد لنصركم جزاما

١- م.ن:٨٢.

٢- الشرح:٥٦.

٣- ديوان الشيخ محسن أبو الحب الكبير:١٣٩.

إن ضيق الصدر وسوء الوضع العام يجعل الشاعر يضيق ذرعاً بالحكام الجائرين وينعتهم بالكلاب الجرب، فضلاً عن مشاعره الجائشه بالترقب والانتظار وطلب الاستغاثه.

اما المحور الآخر الذى تضمنته قصائد الاستنهاض هو عرض مظلوميه أهل البيت عليهم السلام وقد خص منها مظلوميه فاطمه عليها السلام والإمام على عليه السلام، وركز الحديث طويلاً فى الحسين عليه السلام وما جرى عليه وعلى أولاده وصحبه على صعيد كربلا فنراه يخاطب الإمام بقوله(۱):

أقص عليك اليوم أخبار ما جرى

وأنت الذى لايعد عن علمك الذرُ

لمن أعين سالت نجيعاً بكربلا

زماناً وجفَّت ثمّ ساعدها القطرُ

لمن جثث فوق الرمول تلاعبت

عليهاعوادى الخيل لاجازها العقرُ

لمن أرؤس فى كل مجلس ريبه

تلذ لمرآها لشاربها الخمرُ

هكذا يقص على الإمام الغائب أحداث كربلاء وما جرى عليها من فواجع، وهو باستذكاره هذا يحفز الإمام على اخذ الثار ممن قتل الحسين عليه السلام وأهل بيته ونراه يؤكد هذا المعنى بقوله فى مفتتح قصيدته(۲):

متى تدرك الثار الذى انت طالبه

متى تملك الأمر الذى أنت صاحبه

ويقول مخاطبا الإمام الغائب(۳):

ودع عنك ما نال الحسين فانَّه

أجلُّ وأعلى ان تعدَّ مصايبه

وماذا الذى أنسى وما أنا ذاكر

وهذا بأعلى العرش يزعق نادبه

ولا تسألن من بعده كيف أصبحت

حلايله بين العدى ونجايبه

١- م.ن:٨٣.

٢- م.ن:٥٢.

٣- م.ن:٥٤.

إن الشاعر يعرض مصائب أهل البيت عليه لتكون مـدعاه لخروجه وتعجيل ذلك فضـلاً عن مواساته وتعزيته بما حلّ على أجداده من مصائب يشيب لها الوليدُ.

اما المحور الآخر الذى رصد هو مشاعر الشاعر الصارخه وقد لمسناها فى المحورين المتقدمين ولكننا نراها أيضا فى خاتمه قصائده الاستنهاضيه وقد خفت حده الانفعال وراح الشاعر يبث همومه ويطلب حوائجه من الإمام؛ فنراه يقول فى ختام إحدى قصائده الاستنهاضيه(۱):

ذا بعض ما نالكم فانهض فداك أبى

كل الرزايا بكم ينجاب غيهبها

أنت البقيه من قوم اكفَّهم

عمَّ البريه بالإحسان صيِّبها

كم نعمه لك لا اسطيع اشكرها

وكيف شكرى ولا اسطيع احسبها

وحاجه لى أخرى سوف انزلها

بربع جودك فانظر كيف توهبها

لابدّ منها فقد أمسيت فى قلق

منها وها أنا منك اليوم أطلبها

عليك منى سلام الله متصل

ما هبّ من نسمات الريح أطيبها

فالشاعر يذكر ان نظمه لحاجه أقلقته ويطلب استيفاءها من الإمام، وكأن وراء نظمه هذه القصيده او تلك من القصائد الاستنهاضيه وحتى الطفيه هى لحاجه عند الشاعر اما دنيويه او أخرويه كطلبه الشفاعه والعفو من النار وتخفيف الذنوب؛ ونراه يقول مخاطباً الإمام(۲):

بابى أنت لا ترعنى بخطب

انا والله اضعف الناس حالا

جد بما ارتجيه أنت لعمرى

أكرم الناس للعفاه نوالا

واعنِّى على زمانى أنى

لا أرى غيركم لنفسى ثمالا

وسلامى عليك يترى مدى الده

ر وما هاجت الرياح الرمالا

١- م.ن:٥٧.

٢- م.ن:١٢۴.

وشبیه بهذه الخاتمه یختم الأخری بقوله(۱):

فخذ بیدی فقد ثقلت ذنوبی

علیّ فلم أطق منها القیاما

وکن لی ملجأ من کل خطب

وکن لی من ید البلوی عصاما

وکن بی راضیاً فی الحشر عبداً

فانی قد رضیتک لی إماما

وبلغک المهیمن کل یوم

صلاتی والتحیه والسلاما

ومهما یکن من امر فان قصیده الاستنهاض أخذت ابعاد متعدده ناسبت طبیعه الأحداث التی یواجهها الشاعر والأخطار المحیطه به، فکانت تعبیراً عن صرخه سیاسیه عقائدیه فی إطار ذاتی نفسی.

۶ . المدیح

ومن الموضوعات الحاضره فی الدیوان المدیح إذ بلغ أربع قصائد وخمس نتف، توجه فی معظمه لمدح الرسول صلی الله علیه وآله وسلم وأهل بیته علیهم السلام، وتوجه فی بعض منه لمدح بعض الشخصیات الدینیه والأدبیه فی عصره؛ اما قصیدته فی الرسول صلی الله علیه وآله وسلم فقد کانت خلیطاً من مدح ورثاء،وانتقل فیها لمدح سبطیه الحسن والحسین علیهما السلام وقد ابتدأها بقوله (۲):

تجردت للمجد یا احمدُ

وجُرِّد جوهرک المفردُ

ولیس یجاریک غیر السحاب

فما أنت فی نیله أوحدُ

رضیناک دون الوری سیداً

كريماً ونحن له اعبدُ

وفيها يقول(۳):

فمن أحرز السبق فى المكرمات

متى نار ضيفانه تخمدُ

۱- م.ن:۱۴۰.

۲- م.ن:۷۶.

۳- م.ن:۷۷.

فتی کان بین جمیع الوری

حواری عیسی له تشهدُ

جری سیبه مرفداً للسحاب

بما کان من سیبه یرفدُ

فیا وحشه الدهر من بعده

ویا سعد لحد به یلحدُ

لروح الجنان سمت روحه

وقد ضمٌ جثته المسجدُ

فالشاعر یری فی الرسول صلی الله علیه وآله وسلم جمیع الخصال المثالیه التی اتسم بها منذ نعومه أظفاره حتی شب فتی یشهد له الجمیع بالمکرمات حتی المسیحیون قد شهدوا له بها فان سحاب خیره قد عم الجمیع؛ ثم یخبرنا بوحشه الدهر من بعده وقد سعد اللحد لانه یضم خیر الأنام والمرسلین وکانت روحه فی الجنان اما جسده الطاهر فقد حواه المسجد المبارک؛ ثم ینتقل إلی مدیح (البدرین) ویقصد بهما الحسن والحسین سبطا رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فقال(۱):

خذا بیدی وانصرانی فقد

جفانی نصیری والمنجدُ

فإنکما اعتصامی إذا

تعاورنی الحدث الانکدُ

وحاربنی الناس حتی القریب

فلا منجد فیه استنجدُ

إذا ما الأقارب قد باعدت

فما بعدها یصنع الأبعدُ

فهذا لسانى احصدا حلوه

فحسن الثنا خير ما يحصدُ

حلاً فاحصداه كحب الحصيد

وغير كما مره يحصد

ففى هذه الأبيات تستوضح طبيعه العلاقه بين الشاعر وأهل البيت عليهم السلام إنهم يمثلون له باباً من أبواب استجابه الدعاء عند الله تعالى، وانهم شفعاء له ينصروه فى دنياه على مكارهها وما يتعرض له من سوء،وفى أخراه حيث يخلصوه من نيران جهنم وجليل وقوع المكاره فيها ولا بأس ان يذكر ان شعره فيه الحلو وفيه المر بمعنى فيه الجيد وفيه الردىء ويطلب منهما ملتمسا ان يأخذا حلوه فالمر لغيرهم.

١- م.ن.

ومن قصائده المدحیه ما وجه للإمام علی علیه السلام فنراه یقول(۱):

قصّر القومُ عن بلوغ مداکا

فلذا حاولوا انحطاط علاکا

لا ورب السماء لم یک فیما

حاولوه إلا ارتفاع ذراکا

کان دین النبی حقاً ولکن

لم یکن واضح الهدی لولاکا

لم تزل ناصحاً له وأمینا

وأخا حیث دونهم آخاکا

فالشاعر یعرض دور الإمام علی علیه السـلام فی نصـره الإسلام ودحر الکافرین، ومحاوله المنافقین ان ینالوا من هذا الدور والحط منه، ثم یعرض أحقیته فی الخلافه من بعد الرسول صـلی الله علیه وآله وسـلم الذی أقامه علیهم وأشـهدهم علی ذلک فی موقف طالما أکد علیه الشاعر هو (یوم الغدیر) وإنکار القوم لتلک البیعه فهو یقول:

کان إنکارهم لبیعتک الغرا

ءَ خطباً یزعزع الافلاکا

ثم یقسم:

قسما بالذی اقامک دون ال

خلق طراً لدینه سماکا

لو أطاعوک لارتقوا کلّ عالٍ

لم تؤمل له السها إدراکا

ثم یعرض مـا قاسـاه الإمام علی علیه السـلاممن الم وحسـره علی ما أصاب الرسول صـلی الله علیه وآله وسـلم وزوجته فاطمه وما

واجهه من محن واصطبار عليها، ثم يخاطب الإمام عليه السلام قبيل نهايه قصيدته بقوله(۲):

أنت أعلى قدراً واعظم صبراً

ولذا جل فى القلوب بلاكا

ثم يدعو أئمته عليه السلام كعادته فى القصائد الموجهه إليهم:

بابى انتم وأمى كراماً

لا أرى لى بغيرها استمساكا

خلصونى مما أخاف فانى

عدت ضعفاً اغالط المسواكا

۱- م.ن:۱۱۴.

۲- م.ن:۱۱۵.

واجعلونی من همکم یوم لا یر

جو امرئ من عظیم هم فکاکا

لم نزل نستقی بحور نداکم

وکذلک الکرام حقاً کذاکا

ومن مدیحه ما نجده موجهاً إلی ابنی احد وجهاء کربلاء وعلمائها وهو السید کاظم الرشتی الحائری فنراه یقول مخاطبهما(۱):

قصیرٌ عن مدیحکما لسانی

قلیلٌ فی ثنائکم بیانی

ولو انی ملأت الأرض نظماً

بمدحکما ونثراً ما کفانی

إذا کان المعزُّ هوی خضوعاً

لعزِّکما لما مدح ابن هانی

فالملاحظ المبالغه فی هذا المدیح فلم ینظم الا من اجل المجامله والتودد واستقطاب الآخر، فهذه القصیده متوزعه بین غرضین وافق بینهما الشاعر بطریقه ملفته فابتدأها بالمدح ثم أعقبه رثاء والد المعنیین ثم رجع إلی التهنئه والمبارکه علی زواج احد أبناء السید کاظم الرشتی، وهذا یجعل الشاعر فی موقف حرج استطاع ان یتخلص منه بطریقه لطیفه فنراه ینتقل من الرثاء الی المدیح بقوله:

مضیت ولم تکن تمضی إلی ان

رأیت بنیک أولی بالمکانِ

فرحت ولم تُرح الا شهیداً

لما لاقیت من عصب الشنانِ

ولاریب فی انها مقدره فنیه امتلکها الشاعر واستطاع من خلالها ان یخرج لنا هذه القصیده.

۷. موضوعات شعریه أخری

من الموضوعات الأخری التی تطالعنا فی دیوان محسن (أبو الحب) الکبیر الهجاء،فنجد عنده قصیده متکونه من سبعه وعشرین بیتاً یهجو شخصیه یبدو أنها بارزه فی عصره وجد فیها امتداداً للظالمین الذین ظلموا محمداً وآله علیهم السلام،

۱- م.ن:۱۶۲.

فنراه يخاطب تلك الشخصيه بقوله(۱):

تبكى الحسين ولو شهدت قتاله

مزَّقت جثته بكل حسامِ

سلبت (حرمله) اللعين سهامه

وكفيته قتل الرضيع الظامى

ويخاطبه فيها قائلا:

وأقول ان الهجو فيك عباده

والمدح إثمٌ ليس كالآثامِ

وسكتُ عن أشياء لو أبرزتها

غنَّت بها الأطيارُ فى الآجامِ

فهجاؤه لم يكن يقصد الشخصيه بقدر ما يعيب عليها مواقفها الفاضحه ولم تخل من تهجّم وسخريه واضحه.

ونجد أيضا من الموضوعات الشعريه الأخرى الغزل فنجد له بيتين مستقلين هما قوله(۲):

حملت براحتها الشهاب لتهتدى

نهج السبيل وليتها لا تهتدى

أتقلُّ مصباحاً وضوء جبينها

يزرى بضوء الكوكب المتوقدِ

فالبيتان اعتياديان فى التصوير، فتشبيه جبين المرأه الحسناء بضوء الكوكب المتوقد من التشبيهات التى تعاورها الشعراء قديماً، ومن أبياته الغزليه قوله(۳):

لا تحسبوا انى كففت تعففاً

نَظری إلیها أو مخافه لائمِ

لکننی عاینت أسهم لحظها

تتری فخفت علی حشای الهائمِ

فالملاحظ ان غزله هو تقلید فنی أکثر من کونه نابع من تجربه حقیقیه، وکذلک ما نجده فی بعض مقدمات قصائده من غزل، فهو یفتتح قصیدته النونیه فی رثاء الحسین علیه السلام بمقدمه غزلیه جاء فیها(۴):

۱- م.ن:۱۵۱.

۲- م.ن:۷۶.

۳- م.ن:۱۴۱.

۴- م.ن:۱۶۸۱۶۹.

ان كنت مشفقه عليَّ دعينى

ما زال لومک فى الهوى يغرينى

لا تحسبى انىِّ للومک سامع

انى اذاً فى الحبِّ غير أمين

بينى وبين الحب عهد كلما

رام العواذل نقضه تركونى

ألبسته ثوب الوقار تجملاً

كى لا ترى بى حاله المجنون

ان جنَّ خل العامريه يافعاً

فلقد جننت ولم يحن تكوينى

فحديث اللائمه فى الحب وجنونه فى من يحب هو حديث تمهيدى ناسب توجهه العقائدى فى رثاء الحسين عليه السلام ومن سقط على صعيد كربلاء، فالحب هنا حب عقائدى أخروى أكثر من كونه دنيوى،ثم يضرب لنا مثلا فى الحب مشهورا وهو مجنون ليلى العامريه.

ومن الموضوعات الأخرى التى تطالعنا فى الديوان الوصف والحكمه أذ تخللت قصائده، فنجد من الوصف قوله فى كتاب نهج البلاغه(۱):

هذا الكتاب كتاب الله انزله

على لسان علىٍّ أفصح العربِ

اخو الكتاب الذى جاء النبى به

كلاهما عن نبىٍّ او وصىٍّ نبى

فالشاعر لا يجد فرقاً كبيراًبين كتاب الله ونهج البلاغه سوى ان الأول انزل على نبى صلى الله عليه وآله وسلم وهذا على (وصى

النبی)؛ ولعل فی هذا القول مبالغه لا یستسیغها الا من آمن بأئمه أهل البیت وبعصمتهم علیهم السلام.

ومن حکمیاته المبثوثه فی قصائده(۲):

زعم الأولی ان السرور ثلاثه

الماءُ والخضراءُ والحسناءُ

صدقوا ولکن السرور ثلاثه

السیفُ والملساءُ والجرداءُ

تجنی بهنّ مآثراً ومآثراً

تبلی الدهور وما لهن بلاءُ

۱- م.ن:۵۵۵۶.

۲- م.ن:۲۷.

مثلت هذه الأبيات وجهه نظر الشاعر فى الحياه وقد خالف وجهه نظر شاعر آخر.

ومن مقدمات قصائده الحكميه(١):

اصبر لعل الذى ترجوه قد قربا

فقد ينال الفتى بالصبر ما طلبا

لا تبغين طيب عيش فى الزمان فقد

آل الزمان بأن يجفو وان صحبا

ان المعالى وان بانت مقاصدها

فليس يدركها الا الذى تعبا

أرفق بنفسك كى لا تفنها ضجراً

فلست تملكها نفعاً ولا عطبا

فقد جعل هذه الحكم التى وجهها للشخصيه التى جرَّدها من نفسه بدايه تمهيديه ليضرب المثل عليها بأئمه أهل البيت الذين وصلوا إلى أعلى المراتب فى السمو والمجد على الرغم مما قاسوه فى حياتهم من ظلم وجور.

١- م.ن:٣٢.

جداول الموضوعات الشعريه

١. جدول الطفيات والمصاحبه للطفيات

التسلسل

رقم القصيده فی الديوان

عدد الأبيات

البحر الشعری

القافيه

التصريع

عدم التصريع

١

١

٦٩

الكامل

دواءُ

مصرعه

٢

٣

٣٤

البسيط

طلبا

مصرعه

٣

٧

٢٥

الكامل

الندبا

غير مصرعه

٤

٨

٤٢

الكامل

يلعبُ

مصرعه

٥

١١

٥٥

البسيط

عذبا

مصرعه

٦

١٢

٥٧

الطويل

الحوالبا

مصرعه

٧

١٦

٤٥

الطويل

مذاهبه

مصرعه

٨

١٧

٢٤

المتقارب

صاحِ

غير مصرعه

٩

١٨

٣٩

الكامل

جراحها

مصرعه

١٠

١٩

٤١

الكامل

التجديدُ

مصرعه

١١

٢٠

٥٠

البسيط

مردودِ

مصرعه

١٢

٢١

٧٧

الخفيف

حديدا

مصرعه

١٣

٢٣

٢٤

الطويل

أجدُ

مصرعه

١٤

٢٩

١٩

الطويل

زهرا

مصرعه

١٥

٣٠

٣٦

الطويل

شرارُها

مصرعه

١۶

٣٢

۵٣

الطويل

المقادرُ

مصرعه

١٧

۴٠

٣٧

الطويل

يعى

مصرعه

١٨

۴۴

۴۶

البسيط

نعا

مصرعه

ص: ۲۲۴

۱۹

۵۲

۵۱

المتقارب

مسيلِ

مصرعه

۲۰

۵۳

۳۶

البسيط

الجَدَلُ

مصرعه

۲۱

۵۴

۳۵

الكامل

الجميلا

غير مصرعه

۲۲

٥٦

٣٥

الطويل

الفضْلِ

غير مصرعه

٢٣

٥٨

٦١

الطويل

يقْتَلُ

مصرعه

٢٤

٥٩

٢١

الطويل

بمعزَْلِ

غير مصرعه

٢٥

٦٠

٦٢

الكامل

حالی

مصرعه

۲۶

۶۶

۵۰

الوافر

المرامِ

مصرعه

۲۷

۷۲

۵۶

البسیط

سَقَمِ

مصرعه

۲۸

۷۳

۵۵

الخفیف

کلیمُ

مصرعه

٢٩

٧۴

٢٧

الكامل

حنينا

مصرعه

٣٠

٧۵

٣١

الخفيف

فآنا

مصرعه

٣١

٨٠

۶٢

الكامل

يغريني

مصرعه

٣٢

٨١

٨٧

الكامل

جثمانا

غير مصرعه

٣٣

٨۴

٧٨

البسيط

أحصيها

مصرعه

لنتائج الجدول:

١ . عدد أبيات الطفيات والمصاحب لها بلغ ألفا وخمسمائه وعشرين بيتاً. مما شكل نسبه ۵٢ ٪ من مجموع أشعار الديوان.

٢ . من بين ثلاث وثلاثين قصيده ست قصائد فقط لم تصرع.

٣ . بلغت عدد القصائد التى نظمها الشاعر على بحر الكامل عشره وكذلك الطويل عشره، أما البسيط فسبع والخفيف ثلاث والمتقارب ثلاث والوافر قصيده واحده.

۴ . بلغت عدد القصائد التى نظمها الشاعر على قافيه اللام سبع والباء ست والدال أربع والنون أربع والراء ثلاث والميم ثلاث والحاء اثنتين والعين اثنتين وأخير الياء بلغت واحده.

۵ . بلغت أطول طفيه لديه سبع وثمانين بيتاً واقصرها تسع عشر بيتاً.

ص: ٢٢٥

٢. جدول موضوع شعر المناسبات والاخوانيات

التسلسل

رقم القصيده فى الديوان

عدد الأبيات

المناسبه

البحر الشعرى

القافيه

التصريع

عدم التصريع

١

١٠

٢٨

هنأ بها بعض العلويين

الكامل

الطيبا

مصرعه

٢

٢٢

٥٥

يوم الغدير

الكامل

احمدِ

غير مصرعه

۳

۲۴

۱۳

عند زيارته الجوادين

البسيط

الهادى

مصرعه

۴

۳۴

۵۱

زياره ناصر الدين القاجارى

الكامل

الأقطارا

مصرعه

۵

۳۶

٥٦

يوم الغدير

الخفيف

بالأميرِ

غير مصرعه

۶

۳۷

۳۴

فی العلم الذی اهدی إلی الروضه العباسیه

البسیط

نورا

مصرعه

۷

۳۸

۵۵

انتهاء العمل فی الروضه الکاضمیه

البسیط

الشجرا

مصرعه

۸

٤٧

١٢

الانتهاء من عمل الجدار الشمالى للروضه الحسينيه

الرجز

خلوفها

مصرعه

٩

٥٧

٧٨

يوم الغدير

الكامل

المرسلُ

مصرعه

١٠

٦٩

٧٢

يوم الغدير

البسيط

نقموا

غير مصرعه

١١

٧٨

٦٣

رداً على احد النواصب

الطويل

مثلنا

غير مصرعه

نتائج الجدول:

١- بلغ مجموع الأبيات خمسمائه وسبعه عشر بيتا مشكله نسبه ١٨٪ من مجموع أشعار الديوان.

٢- اهتم الشاعر بمناسبه يوم الغدير وأخذت حيزا من اهتمامه بلغ ثلاثه قصائد طويله، اما بقيه قصائده فتوزعت بين تهنئه واستقبال وفرحه بانتهاء عمل، ورد عقائدی على الظالمين.

ص: ٢٢٦

٣- جاءت أربع قصائد على بحر البسيط وثلاث قصائد على الكامل وجاءت ثلاث قصائد على الأبحر: الخفيف والطويل والرجز.

٤- جاءت أربع قصائد على قافيه الراء وست قصائد توزعت على القوافی الباء والدال والفاء واللام والميم والنون.

٥- جاءت سبع قصائد مصرعه وثلاث غير مصرعه.

٣. جدول موضوع الرثاء

التسلسل

رقم القيصده فی الديوان

عدد الأبيات

المرثی

البحر الشعری

القافيه

التصريع

عدم التصريع

١

٥

٥٦

الإمام علی عليه السلام

الوافر

إيابُ

مصرعه

٢

۶

٣٩

الشيخ عبد الحسين الطهرانى

البسيط

الكَرَبِ

مصرعه

٣

٣٣

٣٣

فى بعض أحبته

الطويل

بدرُ

مصرعه

۴

۴٢

۴٠

والدته

الكامل

ضلوعى

مصرعه

۵

۴۳

۴۸

السید مهدی القزوینی

البسیط

دَعَا

مصرعه

۶

۴۶

۲۷

الحاج جواد بدکت

الطویل

إلْفَا

غیر مصرعه

۷

۶۷

۵۰

اهل البیت علیهم السلام

الکاما

هیامی

مصرعه

۸

۶۸

۲۳

السید حسین المجاهد

الطویل

المقوَّما

مصرعه

۹

۷۹

۲۵

الشیخ مرتضی الانصاری

الکامل

لسانها

مصرعه

۱۰

۸۳

۵۲

الزهراء علیها السلام

الكامل

رِيِّهْ

مصرعه

نتائج الجدول:

۱ . بلغت مجموع القصائد الرثائيه ثلاثمائه وثلاثه تسعين بيتاً مشكله نسبه ۱۴٪ من أشعار الديوان.

۲ . شكلت ثلاث قصائد فی رثاء الإمام علی والزهراء وأهل البيت عليهم السلام، الاتجاه العقائدی فی الرثاء، وجاءت سبع قصائد لشخصيات دينيه وعلميه وأدبيه فضلاً عن والدته مثلت رثاء الآخر.

۳ . جاءت أربع قصائد علی الكامل وثلاث علی الطويل واثنان علی البسيط وواحده علی الوافر.

۴ . قصيده رثائيه واحده لم تصرع والبقيه مصرعه.

۵ . اما القوافی فكانت قصيدتان لكل من الباء والعين والميم وواحد لكل من الراء والفاء والنون والياء.

۴ . جدول بقصائد الاستنهاض بالإمام الحجه عجل الله تعالی فرجه الشريف

التسلسل	رقم القصيده فی الديوان	عدد الأبيات	البحر الشعری	القافيه	التصريع	عدم التصريع
۱	۱۳	۵۹	الطويل			

صاحبُه

مصرعه

٢

١٥

٣٨

البسيط

يعقبُها

مصرعه

٣

٣١

٤٩

الطويل

الدهرُ

مصرعه

٤

٥٥

٥٤

الوافر

الجبالا

مصرعه

٥

٦٤

٥٦

الوافر

انسجاما

مصرعه

نتائج الجدول:

١- بلغ مجموع الأبيات مائتين وسته وخمسين بيتاً مشكله نسبه ٩٪ من أشعار الديوان.

ص: ٢٢٨

٢- جاءت قصيدتان منها على بحر الطويل وثلاث قصائد جاءت على الأبحر البسيط والخفيف والوافر.

٣- جاءت قصيدتان على قافيه الباء وثلاث قصائد على القوافى والراء واللام والميم.

٤- جاءت جميع القصائد الاستنهاضيه مصرعه.

٥. جدول موضوع المديح

تسلسل

رقم القصيده فى الديوان

عدد الأبيات

الممدوح

البحر الشعرى

القافيه

التصريع

عدم التصريع

١

٢٦

٤١

الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والحسن والحسين عليه السلام

المتقارب

المفردُ

مصرعه

٢

٤٩

١٥

أبو الفضل العباس عليه السلام

المتقارب

ترتقى

مصرعه

٣

٥٠

٤١

الإمام على عليه السلام

الخفيف

علاكا

مصرعه

٤

٧٧

٢٥

السيد كاظم الرشتى

الوافر

بيانى

مصرعه

نتائج الجدول:

١ . بلغ مجموع أبيات المديح مائه وسبعه وسبعين بيتا مشكله نسبه ۴ ٪ من أشعار الديوان.

٢ . ضمت أربع قصائد مدحاً لشخصيات أهل البيت عليهم السلام، وقصيده واحده جاءت فی شخصيه علميه دينيه.

٣ . جاءت قصيدتان على بحر المتقارب وقصيده واحده على بحر الكامل والخفيف والوافر.

۴ . استعمل الشاعر قافيه الدال فی قصيدتين واستعمل قافيه القاف والكاف والنون فی ثلاث قصائد.

۵ . صرع الشاعر أربع قصائد مدحيه ولم يصرع فی واحده.

ص: ۲۲۹

۶. جدول قصائد الهجاء

تسلسل

رقم القصيده فی الديوان

عدد الأبيات

الممدوح

البحر الشعری

القافيه

التصريع

عدم التصريع

۱

۴۱

۱۱

هجاء من عادی علياً

الكامل

ضياعها

غير مصرعه

۲

۷۰

۲۷

هجاء احد النواصب

الكامل

الإسلامِ

غير مصرعه

نتائج الجدول:

١ . بلغ مجموع الأبيات ثمانيه وثلاثين مشكله نسبه ١ ٪ من أشعار الديوان.

٢ . القصيدتان جاءتا على بحر الكامل.

٣ . تنوعت القافيه بين العين والميم.

٤ . كلتا القصيدتين لم تصرعا.

٧ . جدول بالمقطعات التى حواها الديوان وأغراضه الشعريه

٧ . جدول بالمقطعات* التى حواها الديوان وأغراضه الشعريه

التسلسل

رقم المقطوعه فى الديوان

عدد الأبيات

الموضوع الشعرى

البحر الشعرى

القافيه

التصريع

عدم التصريع

١

٤

٧

المدح

البسيط

الكتبُ

غير مصرعه

٢

٤٨

٩

المدح

البسيط

أخلاقا

مصرعه

٣

٥١

٦

الهجاء

الوافر

أقولُ

غير مصرعه

٤

٧١

٥

اخوانيات

البسيط

الخيمِ

مصرعه

٥

٨٢

٩

الهجاء

البسيط

تهواه

غير مصرعه

* المقطوعه ما كانت متكونه من سته أبيات إلى تسعه أبيات.

٨ . جدول بالنتف التى حواها الديوان وأغراضها الشعريه

٨ . جدول بالنتف* التى حواها الديوان وأغراضها الشعريه

التسلسل

رقم النتفه فى الديوان

عدد الأبيات

الموضوع الشعرى

البحر الشعرى

القافيه

التصريع

عدم التصريع

١

٢

٢

المدح

الكامل

العلياءُ

غير مصرعه

٢

٩

٤

الرثاء

المتقارب

منصبا

غير مصرعه

٣

١٤

٢

الوصف

البسيط

العربِ

غير مصرعه

ص: ٢٣٠

٤

٢٥

٢

الغزل

الكامل

تهتدى

مصرعه

٥

٢٧

٢

المدح

الطويل

يقصدُ

غير مصرعه

٦

٢٨

٤

الهجاء

الطويل

النكرِ

غير مصرعه

٧

٣٥

٢

المدح

الطويل

عاذرا

غير مصرعه

٨

٣٩

۴

المدح

الرجز

الاوانسْ

غير مصرعه

٩

۴۵

٢

المدح

الكامل

اعرفُ

غير مصرعه

١٠

٦١

٤

الرثاء

الطويل

سائلِ

غير مصرعه

١١

٦٢

٤

الاخوانيات

السريع

الغرامْ

غير مصرعه

١٢

٦٣

١

الاخوانيات

السريع

أهلها

غير مصرعه

١٣

٦٥

٢

الغزل

الكامل

لائمِ

غير مصرعه

١٤

٧٦

٢

الوصف

الوافر

عنِّى

غير مصرعه

* النتفه ما كان عدد أبياتها الأربعه فما دون ذلك.

نتائج جدولى المقطعات والنتف الشعريه:

١ بلغ مجموع أشعار المقطعات والنتف التى حواها الديوان ثلاثه وسبعين بيتا مما شكل نسبه ٢ ٪ من مجموع أشعار الديوان.

٢ تصدر موضوع المدح الجدولين وتلاه موضوعا الهجاء والاخوانيات ومن ثم الغزل والوصف والرثاء بنسب متفاوته.

٣ تصدر البسيط الجدولين وتلاه الطويل والكامل، ومن ثم الوافر والسريع بنسب متساويه.

٤ بلغت المقطعات والنتف المصرعه ثلاثا، والبقيه غير مصرعه.

٥ هناك إشارات من محقق الديوان إلى ان بعض النتف هى جزء من قصيده ضائعه، ينظر فى ذلك التسلسل: ٢، ١٠، ١١، ١٢، من جدول النتف فى ديوان الشاعر.

الخاتمه

من خلال مسیره البحث یمکن تسجیل النتائج الآتیه:

وظف الشاعر محسن أبو الحب الکبیر جل شعره فی قضیه الحسین علیه السلام ومن استشهد معه فی معرکه الطف ومن سبی من أهل بیته علیهم السلام؛ وسواء أکان ذلک فی قصائده الطفیه أو فی قصائده الأخری المتعلقه بأهل البیت علیهم السلام أو قصائده الاستنهاضیه.

تمتعت قصائده الطفیه بشکل عام بحراره العاطفه وصدق التصویر، وجاءت متکامله البناء والنسج.

اهتم الشاعر بشعر المناسبات والاخوانیات؛ فوجدنا عنده القصیده الطویله، والعنایه الفنیه بتلک القصائد، وجاء اهتمامه بالغا بمناسبه یوم الغدیر ونعتنا قصائده تلک ب(الغدیریات).

توزع الرثاء بین الرثاء العقائدی الذی خص به أئمه أهل البیت علیهم السلام، وبین رثاء الآخر من الشخصیات العلمیه والأدبیه فضلاً عن رثاء والدته.

اهتم الشاعر بشعر الاستنهاض الموجه إلی الإمام الثانی عشر من أئمه أهل البیت علیهم السلام ووجدنا له خمس قصائد متکامله کانت محاورها متمثله بالرفض السیاسی للواقع المعاش، وعرض مظلومیه أهل البیت وقصها علی الإمام الغائب،

وتمثل المحور الأخير بانفعالات الشاعر تجاه الأحداث التى يعيشها وصبره فى غيبه الإمام وعرض حاجاته الدنيويه والأخرويه وطلب استيفائها من الإمام الغائب عجل الله تعالى فرجه الشريف.

كان المديح فى معظمه موجهاً لأهل البيت عليهم السلام، وقد اختلط بموضوعات أخرى أهمها الرثاء، والامتعاض ممن عادى أهل البيت وكان سبباً فى مصائبهم ومحنهم.

وجاءت الموضوعات الأخرى اقل نسبةً من الموضوعات المتقدمه، فكان الهجاء والغزل والوصف والحكمه من الموضوعات التى طرقها الشاعر؛ وغالباً ما كانت نتفاً أو مقطوعات، أو متداخله مع الأغراض المتقدمه لذا لم نفرد لها جدولاً للإيضاح سوى الهجاء الذى رصدت له قصيدتين.

وأخيرا نحمد الله العلى العزيز على توفيقه لإتمام هذا البحث الذى رجونا به القربه منه، وخدمةً لشاعر كربلائى كبير يستحق الدراسه والبحث راجين ان نكون قد وفقنا لذلك.

ثبت مصادر ومراجع الإجراءات

اشاره

۱. القرآن الكريم.

۲. أبو العتاهيه أشعاره وأخباره، تحقيق: د. شكرى فيصل، مطبعه جامعه دمشق، ۱۳۸۴ه – ۱۹۶۵م.

۳. الإتقان فى علوم القرآن،جلال الدين السيوطى، دار الندوه الجديده، بيروت، ۱۹۵۱م.

۴. الأدب الأندلسى من الفتح حتى سقوط غرناطه، د. منجد مصطفى بهجت، مديريه دار الكتب للطباعه والنشر – بغداد، ۱۹۸۸م. د.ط.

۵. أدب الطف، أو شعراء الحسين عليه السلام من القرن الأول الهجرى حتى القرن الرابع عشر، جواد شبر، ط۱، مؤسسه التاريخ، بيروت، ۱۴۲۲ ه ۲۰۰۱ م.

۶. الأدب العربى فى كربلاء من إعلان الدستور العثمانى إلى ثوره تموز ۱۹۵۸ م؛ اتجاهاته وخصائصه الفنيه، د. عبود جودى الحلى، منشورات مكتبه أهل البيت، كربلاء، ۲۰۰۵ م، د. ط.

۷. الأسس الجماليه فی النقد العربی، عرض وتفسیر ومقارنه، د. عز الدین إسماعیل، ط ۳، دار الشؤون الثقافیه العامه، بغداد، ۱۹۸۶م.

۸. أعیان الشیعه، السید محسن الأمین العاملی، تحقیق: حسن الأمین، ط ۵، دار التعارف للمطبوعات، بیروت، ۱۴۲۰ ه ۲۰۰۰ م.

۹. الاغتراب فی حیاه وشعر الشریف الرضی، عزیز السید جاسم، ط ۲، دار الشؤون الثقافیه العامه، بغداد، ۱۹۸۷م.

۱۰. الإیضاح فی علوم البلاغه، للخطیب القزوینی (ت۷۳۹ه)، شرح وتعلیق وتنقیح: د. محمد عبد المنعم خفاجی، ط۳، دار الجیل - بیروت، د. ت.

۱۱. البابلیات، محمد علی الیعقوبی، ط ۲، دار البیان، مصر، ۱۹۵۱ م.

۱۲. بلاغات النساء، أبو الفضل بن أبی طاهر المعروف بابن طیفور (ت ۳۸۰ ه)، منشورات مکتبه بصیرتی، قم، د. ت. ط.

۱۳. بناء القصیده الفنی فی النقد العربی القدیم والمعاصر، مرشد الزبیدی، دار الشؤون الثقافیه العامه، بغداد، ۱۹۹۴م، د.ط.

۱۴. بناء القصیده فی النقد العربی القدیم (فی ضوء النقد الحدیث)، د. یوسف حسین بکار، ط ۲، دار الأندلس، بیروت، ۱۴۰۳ه - ۱۹۸۳م.

۱۵. البیوتات الأدبیه فی کربلاء، موسی إبراهیم الکرباسی، ساعدت نقابه المعلمین المرکزیه علی طبعه، ۱۳۸۷ه - ۱۹۶۸م.

۱۶. تاج العروس من جواهر القاموس، السید محمد المرتضی الحسینی الزبیدی (ت ۱۰۲۵ ه) منشورات مکتبه الحیاه، بیروت، د. ت. ط.

۱۷. تاریخ آداب العرب فی عصر بنی العباس وعصور الأندلس والمغرب والدوله الترکیه فی العراق والشام ومصر، کمال إبراهیم ومحمد بهجت الأثری ومصطفی

جواد، ١٩٧٢، د.ط.

١٨. تاريخ الأدب العربى قبل الإسلام، د.نورى حمودى القيسى، ود. عادل البياتى ود. مصطفى عبد اللطيف، مطبعه التعليم العالى بالموصل، ١٤١٠ه - ١٩٨٩م، د. ط.

١٩. تاريخ بغداد، الخطيب البغدادى (أبو بكر أحمد بن على ت٤٦٣ه)، مطبعه السعاده بمصر، ١٩٣١، د.ط.

٢٠. تاريخ الحركه العلميه فى كربلاء، نور الدين الشاهرودى، ط١، دار العلوم، بيروت، ١٤١٠ ه ١٩٩٠ م.

٢١. تاريخ الخلفاء، السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن ت٩١١ه)، تح: محمد محى الدين عبد الحميد، ط٣، مطبعه منير، بغداد، ١٩٨٧م.

٢٢. تأصيل النص قراءه فى ايديولوجيا التناص، د. مشتاق عباس معن،ط١،دار الكتب، صنعاء،١٤٢٤ه ٢٠٠٣م.

٢٣. تذكره الخواص، السبط ابن الجوزى (أبو الفرج عبد الرحمن ت ٦٥٤ه)، قدم له السيد محمد صادق بحر العلوم، منشورات المطبعه الحيدريه، النجف الأشرف، ١٣٨٣ه - ١٩٦٤م، د.ط.

٢٤. تراث كربلاء، سلمان هادى آلطعمه، ط٢، مؤسسه الأعلمى للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٣ ه - ١٩٨٣ م.

٢٥. التوجيه الأدبى، طه حسين وآخرون، مجهول مكان الطبع وتأريخه.

٢٦. الجامع الكبير فى صناعه المنظوم من الكلام والمنثور، ابن الأثير (ضياء الدين نصر الله بن الأثير الجزرى ت٦٣٧ه)، تحقيق: مصطفى جواد وجميل سعيد، مطبعه المجمع العلمى العراقى، بغداد، ١٩٥٦م،.د.ط.

٢٧. جرس الألفاظ ودلالتها فی البحث البلاغی والنقدی عند العرب، د. ماهر مهدی هلال، دار الرشید للنشر، سلسله دراسات (١٩٥)، بغداد، ١٩٨٠م، د.ط.

٢٨. الحرکه الأدبیه المعاصره فی کربلاء، السید صادق آلطعمه، ط١، مطبعه أهل البیت، کربلاء، ١٣٨٨ه ١٩٦٨م.

٢٩. دیوان ابن کمونه، الحاج محمد علی آل کمونه الأسدی الحائری (ت ١٢٨٢ ه) جمعه وعلق علیه محمد کاظم الطریحی، مطبعه دار النشر والتألیف، النجف، ١٣٦٧ ه - ١٩٤٨ م، د. ط.

٣٠. دیوان أبی الحب الشاعر العراقی الکبیر،العلامه الشیخ محسن أبو الحب خطیب کربلاء (الصغیر) ١٣٠٥ - ١٣٦٩ه، تحقیق: سلمان هادی آلطعمه، مطبعه الآداب، النجف، ١٣٨٥ه ١٩٦٦م.

٣١. دیوان الأسود بن یعفر، صنعه د. نوری حمودی القیسی، مطبعه الجمهوریه - بغداد، ١٣٩٠ه - ١٩٧٠م.

٣٢. دیوان الحاج جواد بدقت الأسدی (ت ١٢٨١ ه)، تح: سلمان هادی آل طعمه ط١، مؤسسه المواهب للطباعه والنشر، بیروت، ١٤١٩ ه - ١٩٩٩ م.

٣٣. دیوان السید جعفر الحلی المسمی (سحر بابل وسجع البلابل)، تح: الشیخ محمد حسین آل کاشف الغطاء، ط١، دار الأضواء، بیروت، ١٤٢٣ ه - ٢٠٠٣ م.

٣٤. دیوان السید حیدر الحلی، تحقیق: علی الخاقانی، ط٤، منشورات مؤسسه الأعلمی للمطبوعات، بیروت، ١٤٠٤ ه - ١٩٨٤ م.

٣٥. دیوان الشریف الرضی، دار صادر ودار بیروت، د. ط.

٣٦. دیوان الشیخ صالح الکواز الحلی (١٢٢٣ ه - ١٢٩٠ م)، عنی بجمعه وشرحه وترجمه أعلامه وسرد الحوادث التاریخیه المذکوره فیه: محمد علی الیعقوبی، ط١،

منشورات مكتبه ومطبعه الحيدريه، النجف، ١٣٨٤ ه.

٣٧. ديوان الشيخ محسن أبو الحب الكبير (ت ١٣٠٥ ه - ١٨٨٧ م)، تحقيق: جليل كريم أبو الحب، ط١، بيت العلم للنابهين، بيروت، ١٤٢٤ ه - ٢٠٠٣ م

٣٨. ديوان عدى بن زيد العبادى، حققه وجمعه محمد جبار المعيبد، دار الجمهوريه للنشر والطبع، بغداد، ١٩٦٥م.

٣٩. ذخائر العقبى فى منازل ذوى القربى، محب الدين أحمد بن عبد الله الطبرى (ت ٦٩٤ ه)، تقديم ومراجعه: جميل إبراهيم حبيب، منشورات مكتبه دار التربيه، بغداد، ١٩٨٤ م، د. ط.

٤٠. الرثاء فى الشعر الجاهلى وصدر الإسلام، بشرى الخطيب، مطبعه الإداره المحليه، بغداد، ١٩٧٧ م، د. ط.

٤١. الروضه المختاره المتضمن شرح القصائد الهاشميات للكميت بن زيد الأسدى، وشرح القصائد العلويات السبع لابن أبى الحديد المعتزلى، تقديم: صالح على صالح، منشورات مؤسسه الأعلمى للمطبوعات، بيروت، ١٣٩٢ه ١٩٧٢م.

٤٢. سر الفصاحه، ابن سنان الخفاجى (عبد الله محمد بن سعيد ت ٤٦٦ه)، تحقيق: عبد المتعال الصعيدى، القاهره، ١٩٥٢، د.ط.

٤٣. سيره النبى صلى الله عليه وآله وسلم، ألفها أبو عبد الله محمد بن اسحق بن يسار المطلبى (ت ١٥١ ه) وهذبها أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميرى (ت ٢١٨ ه)، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، مكتبه محمد على صبيح وأولاده بمصر، ١٣٨٣ ه - ١٩٦٣ م.

٤٤. شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحى الحنبلى ت١٠٨٩ه)، مكتبه القدسى، القاهره، ١٣٥٠ه.

۴۵. الشریف الرضی، د. إحسان عباس، دار صادر، بیروت، ۱۹۵۹م.

۴۶. الشریف الرضی بلاغیاً، د. مناهل فخر الدین فلیح، ط۱، دار الشؤون الثقافیه، الموسوعه الصغیره (۳۲۴)، بغداد، ۱۹۹۰م.

۴۷. الشریف الرضی دراسات فی ذکراه الألفیه، مجموعه من الباحثین، آفاق عربیه، بغداد، رقم السلسله (۷)، ۱۹۸۵م، د.ط.

۴۸. شعراء الحله،علی الخاقانی، ط۲، دار البیان، بغداد،۱۳۹۵ه ۱۹۷۵م.

۴۹. الشعر الجاهلی خصائصه وفنونه، د. یحیی الجبوری، دار التربیه للطباعه والنشر، بغداد، د.ت ط.

۵۰. الشعر والشعراء، ابن قتیبه (أبو محمد عبد الله بن مسلم ت ۲۷۶ه)، تحقیق: أحمد محمد شاکر، دار المعارف بمصر، ۱۹۶۶م، د.ط.

۵۱. عبقریه الشریف الرضی، د. زکی مبارک، ط۴، مطبعه حجازی، القاهره، ۱۹۵۲م.

۵۲. العمده فی محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشیق القیراونی (أبو علی الحسن الأزدی ت۴۵۶ه)، تحقیق: محمد محی الدین عبد الحمید، ط۴، دار الجیل، بیروت، ۱۹۷۲م.

۵۳. عیار الشعر، ابن طباطبا العلوی (محمد بن أحمد ت۳۲۲ه)، شرح وتحقیق: عباس عبد الساتر، ط۱، دار الکتب العلمیه، بیروت، ۱۴۰۲ه ۱۹۸۲م.

۵۴. الفهرست، محمد بن إسحاق أبو الفرج الندیم ت ۳۸۵ه، دار المعرفه، بیروت، ۱۳۹۸ه ۱۹۷۸م، د.ط.

۵۵. فی الأدب العباس، د. محمد مهدی البصیر، ط۳، مطبعه النعمان، النجف الأشرف، ۱۹۷۰م.

۵۶. القصائد الخالدات فی حب أهل البیت، محمد عباس الدراجی، ط۲، مکتبه الأمیر، بغداد، ۱۹۸۹م.

۵۷. قصص الأنبیاء، لأبی الفداء إسماعیل بن کثیر ۷۰۱ ۷۷۴ه، تحقیق: مصطفی عبد الواحد، ط۱، دار التألیف، مصر، ۱۳۸۸ه ۱۹۶۸م.

۵۸. قضایا الشعر المعاصر، نازک الملائکه، ط۱، منشورات دار الآداب، بیروت، ۱۹۶۲.

۵۹. کتاب الصناعتین الکتابه والشعر، أبو هلال العسکری (الحسن بن عبد الله بن سهل ت۳۹۵ه) تحقیق: علی محمد البجاوی ومحمد أبو الفضل إبراهیم، ط۲،دار الفکر العربی، د.ت.

۶۰. لسان العرب، محمد بن مکرم بن علی المعروف بان منظور الإفریقی المصری (ن ۷۱۱ ه)، دار المعرفه.

۶۱. لغه الشعر الحدیث فی العراق، د. عدنان حسین العوادی، دار الشؤون الثقافیه، بغداد، سلسله دراسات (۳۷۵)، ۱۹۸۵م. د.ط.

۶۲. لغه الشعر بین جیلین، د. إبراهیم السامرائی، ط۲، المؤسسه العربیه للدراسات والنشر، بیروت، ۱۹۸۰م.

۶۳. لغه شعر دیوان الهذلیین، علی کاظم محمد علی المصلاوی، رساله ماجستیر مطبوعه علی الآله الکاتبه، مقدمه إلی مجلس کلیه الآداب، جامعه الکوفه، ۱۴۲۰ه – ۱۹۹۹م.

۶۴. مثیر الأحزان، الشیخ شریف الجواهری، ط۱، دار المحجه البیضاء، بیروت، ۱۴۲۳ ه – ۲۰۰۲ م.

۶۵. مجمع البحرین، فخر الدین الطریحی (ت ۱۰۸۵ ه) تح: أحمد الحسینی، مطبعه

الآداب، النجف الأشرف، ۱۹۶۱ م، د. ط.

۶۶. مختار الصحاح، الرازی (محمد بن أبی بکر عبد القادر، ت۶۶۶ه)، دار الرساله، الکویت، ۱۴۰۲ه - ۱۹۸۲م. د.ط.

۶۷. مختصر المعانی، سعد الدین التفتازانی، مطبعه عبد الله أفندی، القاهره، ۱۳۰۷ه، د.ط.

۶۸. المدائح النبویه فی الأدب العربی، الدکتور زکی مبارک، ط۱، دار الجیل، بیروت ۱۴۱۲ه ۱۹۹۲م.

۶۹. المدائح النبویه فی أدب القرنین السادس والسابع للهجره، الدکتور ناظم رشید، ط۱، دار الشؤون الثقافیه العامه، بغداد،۲۰۰۲ م.

۷۰. المرشد إلی فهم أشعار العرب وصناعتها، د.عبد الله الطیب المجذوب، ط۱، مطبعه مصطفی البابی الحلبی، مصر، ۱۳۷۴ه- ۱۹۵۵م.

۷۱. مشاهیر شعراء الشیعه، عبد الحسین الشیشتری، ط۱، ستاره، قم، ۱۴۲۱ ه.

۷۲. معارف الرجال فی تراجم العلماء والأدباء، الشیخ محمد حرز الدین، تعلیق حسین حرز الدین، مطبعه الولایه، قم، د.ت.ط.

۷۳. معاهد التنصیص علی شواهد التلخیص، علی بن عبد الرحیم العباسی (ت ۹۶۳ ه)، تحقیق: محمد محیی الدین عبد الحمید، بیروت، ۱۳۶۷ ه، د. ط.

۷۴. معجم البلدان، شهاب الدین أبو عبد الله یاقوت بن عبد الله الحموی الرومی البغدادی ۶۲۶ ت ه، دار إحیاء التراث العربی، بیروت، ۱۳۹۹ه ۱۹۷۹م.

۷۵. معجم خطباء کربلاء، سلمان هادی الطعمه، ط۱، دار الصالحی، بیروت، ۱۴۱۹ ه - ۱۹۹۹ م.

۷۶. معجم رجال الفکر والأدب فی کربلاء، سلمان هادی الطعمه ، ط۱، دار المحجه البیضاء، بیروت، ۱۴۲۰ه ۱۹۹۹م.

۷۷. معجم الشعراء العراقیین المتوفین فی العصر الحدیث ولهم دیوان مطبوع، جعفر صادق حمودی التمیمی، ط۱، بغداد، ۱۹۹۱م.

۷۸. معجم النقد العربی القدیم، د. أحمد مطلوب، ط۱،دار الشؤون الثقافیه، بغداد، ۱۹۸۹م.

۷۹. مقاتل الطالبیین، أبو الفرج الاصفهانی (ت۳۵۶ ه)،قدم له واشرف علی طبعه: کاظم المظفر، ط۲، مؤسسه الکتاب للطباعه والنشر وومنشورات المکتبه الحیدریه ومطبعتها فی النجف،۱۳۸۵ ه ۱۹۶۵م.

۸۰. مقتل الحسین علیه السلام المشهور بمقتل أبی مخنف، لوط ابن یحیی بن سعید بن مخنف بن مسلم الازدی الغامدی، من منشورات المکتبه العامه، المطبعه العلمیه، قم،۱۳۹۸ه.

۸۱. مقدمه القصیده العربیه فی العصر الجاهلی، د. حسین عطوان، دار المعارف، مصر، ۱۹۷۴، د.ط.

۸۲. مناقب آل أبی طالب، الإمام الحافظ ابن شهر آشوب (ت ۵۸۸ ه) قام بتصحیحه وشرحه ومقابلته علی عده نسخ خطیه لجنه من أساتذه النجف الأشرف، المطبعه الحیدریه، النجف، ۱۳۷۶ ه - ۱۹۵۶ م، د.ط.

۸۳. المنتظم فی تأریخ الملوک والأمم، لابن الجوزی (أبو الفرج عبد الرحمن بن علی ت ۵۹۷ه)، ط۱، دائره المعارف العثمانیه، حیدر آباد، ۱۳۴۷ - ۱۳۵۹ه.

۸۴. المنظورات الحسینیه، الشیخ کاظم منظور الکربلائی، أعاد ترتیبه: علاء الدین الأعلمی، ط۱، مؤسسه الأعلمی للمطبوعات، بیروت ۱۴۲۷ه ۲۰۰۶م.

۸۵. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجنی ت ۶۸۴ه، تح: محمد الحبیب بن الخوجه، دار الکتب الشرقیه، تونس، ۱۹۶۶. د.ط.

۸۶. موسیقی الشعر، د.إبراهیم أنیس، ط۴، دار القلم بیروت، ۱۹۷۲.

۸۷. المیزان فی تفسیر القرآن, محمد حسین الطباطبائی، ط۳، منشورات الاعلمی للمطبوعات، بیروت،۱۹۸۴.

۸۸. نقد الشعر، لأبی فرج قدامه بن جعفر ت۳۳۷ه، تح: کمال مصطفی، ط۳، مکتبه الخانجی، القاهره، ۱۹۷۹م.

۸۹. نهج البلاغه، شرح الشیخ محمد عبده، منشورات مکتبه النهضه، بغداد، ۱۹۸۴م. د.ط.

۹۰. الوافی بالوفیات، الصفدی (صلاح الدین خلیل بن أیبک ت۷۶۴ه)، مطبعه وزاره المعارف، استنبول، د.ط.

۹۱. وفیات الأعیان، ابن خلکان (أبو العباس أحمد بن محمد ت۶۸۱ه)، تح: إحسان عباس، دار صادر، بیروت، د.ط.

۹۲. یتیمه الدهر فی محاسن أهل العصر، لأبی منصور الثعالبی ت ۴۲۹ ه، تح: محمد محی الدین عبد الحمید، مطبعه السعاده بمصر،۱۳۷۷ه، د.ط

۹۳. ینابیع الموده لذوی القربی، الشیخ سلیمان بن ابراهیم القندوزی الحنفی ت۱۲۹۴ه، تحقیق: سید علی جمال اشرف الحسینی، ط۲، دار الأسوه للطباعه والنشر، ۱۴۱۶ه.

البحوث والمجلات

٩٤. الشعر القومی لدی أبی الحب الصغیر ونظره فی تحقیق دیوانه، م.م عبد الأمیر کاظم عیسی، مجله جامعه کربلاء العدد الخامس کانون الأول ٢٠٠٣م.

٩٥. صور أخری من المقدمات الجاهلیه - اتجاهات ومثل، د. یوسف خلیف، مجله المجله، السنه (٩)، العدد (١٠٤)، آب، ١٩٦٥م.

٩٦. طفیات الشریف الرضی، دراسه فی البناء الهیکلی والموضوعی، علی کاظم المصلاوی، مجله بابل للعلوم الإنسانیه العدد العاشر، ٢٠٠٧م.

٩٧. طفیات الشریف الرضی دراسه فی اللغه الشعریه، د. علی کاظم محمد علی المصلاوی، مجله جامعه کربلاء المجلد الثانی العدد العاشر مایس ٢٠٠٥م.

٩٨. طفیات الشیخ صالح الکواز الحلی دراسه موضوعیه تحلیلیه، د. علی کاظم محمد علی المصلاوی، مجله جامعه کربلاء المجلد الخامس العدد الرابع کانون الأول ٢٠٠٧م.

المحتويات

نتائج الإجراء

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامى عام ١۴٢۶ الهجرى فى المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فى الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فى العلوم الإسلامية وتبعثرها فى أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين فى العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهى منظمة فى برامج إلكترونية وجاهزة فى مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبىّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ فى المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فى الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فى الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها فى ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمى البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

۴.CHM

۵.PDF

۶.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣۴۴٩٠١٢۵

هاتف المكتب في طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

